

الدكتور هاشم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

الفِعْلَانِ فَاَنْزِلْهُمَا

مؤسسة الرسالة

الدكتور هاشم السامرائي
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

الفعلان فانرا ابنيتنا

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران



تمهيد

هذا مبحث نحوي تناولت فيه مادة الفعل في العربية ، وذلك للمكان
المهم الذي يحتله الفعل في كلام العرب وللاهمية اللغوية لهذه المادة في التفكير
النحوي القديم .

وقد بدا لي أن هذه المادة قد شغلت حيزا كبيرا في كتب النحويين
الاقدمين ورسائلهم . غير أنهم على شدة اهتمامهم بالفعل قد شغلوا انفسهم
بمباحث أبعد ما تكون عن العلم اللغوي ، كما أدى بهم ذلك الى اهمال مسائل
كثيرة لم تدخل في منهجهم الذي رسموه لانفسهم .

وسأجلو في هذه الفصول جوانب من العلم النحوي القديم فافصل فيه
القول لاخلص الى حقائق نحوية تأخذ من القديم مادة فتنبنى عليها شيئا
جديدا .

وأنا اذ أقدم للباحثين في العربية هذه الفصول أرجو أن أوفق الى اقناعهم
الى حقيقة علمية هي : اننا الآن ندرس النحو التاريخي على نحو ما تركه لنا
النحاة الاقدمون دون ان نمسه بشيء ، على انه من الدراسات التاريخية كما
ندرس الكثير من العلوم القديمة .

ثم ان العلم اللغوي يقتضينا ان ندرس هذه المادة دراسة جديدة فنقدمها
لطلاب العلم على أنها شيء يقتضيه التطور العلمي .

وهذا الاسلوب في العلم النحوي من الحقائق المسلمة في كثير من
اللغات .

استوى في هذه الفترة علماً قائماً ذا أصول وفروع وعلل واحكام •

وهذه الأصول والعلل والاحكام قد انتزعوها بطرائقهم معتمدين على النظر القائم على القياس والرواية والاجماع شأنهم في ذلك شأن الفقهاء الذين سبقوهم في هذا المضمار •

وقد استوى العلم النحوي حتى اتضحت فيه مذاهب مختلفة وكان من ذلك نجاه البصرة ونجاة الكوفة •

لقد ذكر الباحثون المعاصرون ان مذهب أهل البصرة معتمد على القياس ، وأن مذهب أهل الكوفة معتمد على السماع والرواية ، كما أن مذهب المتقدمين من البصريين كان يعتمد على السماع الى جانب اعتماده على القياس ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد •

لقد استقرى الخليل بن أحمد وغيره من المتقدمين كلام العرب فتهياً لهم ان يأخذوا أنفسهم بالقياس • وكان مذهبهم في القياس مبنياً على التشابه بين المقيس والمقيس عليه ، غير أن القياس من مواد المنطق فلا عجب أن أصبح الاغراق فيه والعلو في سلوكه مبعداً للنحو عن الطبيعة اللغوية •

ولعل من المحتمل أن نقبل شيئاً من آقيسة الخليل لدنوها من المنهج اللغوي وان كنا لا نسلم بالقياس أساساً يبنني عليه منهج لغوي نحوي • قاس الخليل جزم الفعل « وأكن » في قوله تعالى : « لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين » على جر (سابق) في قول زهير :

بدا لي أنني لست مدرك ماضى ولا سابق شيئاً اذا كان جائياً

ففي الآية الكريمة كما في بيت زهير عطف على مادة سابقة تختلف عن المعطوف في الاعراب ، فقد عطف فعل مجزوم في الآية على سابق له منصوب ، وقد عطف اسم مجرور على آخر منصوب في « البيت » •

وقد علل جزم الفعل بتوهم أن ما قبله وهو جواب يجيء مجزوماً

كثيراً ، كما علل جر « سابق » بتوهم أنه قد عطف على شيء يكثر جره بالباء^(١) .

وهكذا قاس الجزم في الفعل على الخفض في الاسم لما عرض من الشبه الذي يعرض للمسالتين .

فأنت ترى ان الخليل وهو من المتقدمين من النحويين على اتصاله الشديد باللغة وعلى ادراكه الواسع لكلام العرب انساق في تلك الفترة المبكرة في منهج القياس الذي اتصف بالتكلف والاصطناع والبعد عن طبيعة العلم اللغوي الصحيح .

والنظر في النحو وتاريخه يدل على أن هذا المذهب قد بدأه السابقون لل خليل فقد اخذ به عبدالله بن ابي اسحق الحضرمي (المتوفى سنة ١١٧ هـ) فقد قالوا : انه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل^(٢) ، وذكروا أنه كان شديد التجريد للقياس .

وجاء الخليل وسلك الطريقة نفسها ثم جاء من بعده سيبويه والكسائي فأخذوا بالقياس حتى ان النحويين نسبوا للكسائي قوله :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل امرٍ يتتبع^(٣)

وهكذا خط المتقدمون الاساس المهم في البناء النحوي الذي اعتمد عليه اللاحقون اعتماداً تاماً فتوسعوا فيه توسعاً أفسد عليهم مادة النحو في مجموعها . فهذا ابو علي الفارسي يقول : « لأن أخطىء في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحب اليّ من أن أخطىء في مسألة واحدة قياسية »^(٤) . والى مثل هذا ذهب ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) الذي قال : « اذا

(١) سيبويه ، الكتاب ٤٥٢/١ .

(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٦ .

(٣) القفطي ، انباء الرواة ٢٦٧/٢ ، تاريخ بغداد ١٢/١١ .

(٤) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٢١٧ .

بطل أن يكون النحو رواية ونقلاً وجب أن يكون قياساً وعقلاً» (٥) .

وقد رأينا الكسائي قد أخذ بالقياس وهو من أئمة الكوفيين وكان من الحق ألا ينساق في سلوك هذا الطريق وذلك لأنه من أصحاب الرواية فهو أحد السبعة في القراءات ، والقراءة تعتمد على الرواية ، ومعنى هذا أنه كان ينبغي أن يعتمد على السماع ولا يأخذ نفسه بالأقيسة التي تتعد شيئاً فشيئاً عن طبيعة اللغة •

ويدلنا هذا أن النحويين عامة بصريين وكوفيين أخذوا أنفسهم بمنهج متشابه يعتمد على القياس كثيراً ولكنهم اختلفوا في التعليل ، والذين عرضوا لمسائل المخلاف بنوا بوضوح أن كلاً من الفريقين قد التجأ الى تعليلات بعيدة كل البعد عن طبيعة العلم اللغوي كما يفهمه أهل عصرنا هذا •

ولقد جر الأخذ بالقياس الى القول بالتعليل والتماس العلة في اثبات الأحكام والبحث عن « العامل » • وهذه نتيجة طبيعية لسلوك المنهج الذي سلكوه والذي اعتمد الاعتماد كله على التفكير الفلسفي الذي يأخذ بالمنطق •

وربما كان من جناية تلك العصور على كثير من أبواب المعرفة أن الدارسين قد أخذوا أنفسهم باعتماد المنطق ولم يلتفتوا أن لكل علم طبيعته التي تفرض نفسها ، وهكذا أفسد المنطق العلوم اللغوية بحيث أن مسألة العامل قد سيطرت على عقول النحويين ولا سيما المتأخرين منهم ، وانك لا تبعد عن الصواب إذا قلت : أن البحث في النحو في أبوابه الطويلة المختلفة بحث في العلل والعوامل ، والاثـر الذي تتركه العوامل في آخر الكلمة وهو ما دعي بـ « الاعراب » • وظاهرة الاعراب قد شغلت أبواب النحو جميعها حتى قالوا أن علم النحو الاعراب • ذكر الزمخشري في مقدمة « المفصل » ما مؤداه أن النحو هو الاعراب وكان « الاعراب » في تلك المقدمة يعني النحو بأكمله •

ونستطيع أن نبين هذا العبث من الغلو في التعليلات منذ أن بدأ هذا

(٥) ابن جني ، الخصائص ١ / ٣٦١ •

العلم يستوى على سوقه • جاء في الكتاب : « وقال الخليل : « انما » لا تعمل فيما بعدها كما أن (أرى) اذا كانت لغوياً لم تعمل • فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما ان نظير « أن » من الفعل ما يعمل » (٦) •

ومما اختص به سيبويه من تعليقات ما جاء من ذلك في « الكتاب » : « ليس في الاسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين • فاذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة • وليس في الأفعال المضارعة جزم كما أنه ليس في الاسماء جزم ، لان المجرور داخل في المضاف اليه ، معاقب للتنوين ، وليس ذلك في هذه الافعال • وانما ضارعت أسماء الفاعلين انك تقول : ان عبدالله ليفعل فيوافق قولك : لفاعل » (٧) •

ومن ذلك ايضاً قوله : « جعلوا تاء الجمع والنصب مكسورة لانهم جعلوا التاء التي هي حرف الاعراب كالواو والياء • والتنوين بمنزلة النون • لانها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فاجروها مجراها » (٨) •

هذه هي حال النحو في القرنين الاول والثاني الهجريين من حيث أساليب الفهم النحوي ، حتى اذا جاء القرن الثالث والقرون التي تلته تعقد هذا الفهم النحوي حتى أصبح التعليل النحوي عليه المول أو قل : ان الاحكام النحوية لا تستقيم الا اذا بنيت على العلة الموجهة •

وكان أبو العباس المبرد يظهر على خصومه بحجة العلة النحوية اني أخذ بها كثيراً • ومن اشتهاه مسألة العلة في منهجهم النحوي أنهم اخذوا يفردون لها كتباً • وفي كتب « طبقات النحويين » اشارات الى ذلك •

ولقد ذكرت في مطلع هذه المقدمة ان النحويين انقسموا الى طائفتين : بصريين وكوفيين • وان البصريين أخذوا بالقياس ، وان الكوفيين أخذوا بالسمع •

أما القول بأن الكوفيين اخذوا بالسمع فذلك يشير الى أنهم أهل

(٦) سيبويه الكتاب ٢٨٣/١ •

(٧) المصدر السابق ٣/١ •

(٨) المصدر السابق ٥/١ •

نظر صحيح ، ومعنى هذا أنهم استقروا كلام العرب وينوا نحوهم على ذلك . غير ان واقع الحال لا يصدق هذا الزعم وذلك ان الكوفيين من النحويين قد عالجوا المسائل على نحو لا يتعد عن طريقة اصحابهم البصريين بالنسبة لنا - نحن أهل هذا العصر - .

فهذا الفراء يقول لنا في « معاني القرآن » في قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه . . .) فان قال قائل ارايت الفعل اذا جاء بعد المصادر المؤنثة أيجوز تذكره بعد الأسماء كما جاز قبلها ؟ قلت : ذلك قبيح وهو جائز ، وانما قبح لان الفعل اذا أتى بعد الاسم كان فيه « مكني » - أي ضمير - من الاسم فاستقبحوا أن يضمروا مذكراً قبله مؤنث ، والذين استجازوا ذلك قالوا : انما يذهب به الى المعنى وهو في التقديم والتأخير سواء ^(٩) .

ومسألة « المكني » أي الضمير يعنى ان الفعل لا يخلو من فاعل ، وهذا يعنى ايضاً أن قولهم « حضر محمد » غير « محمد حضر » ففي الجملة الثانية لا يكون الفاعل (محمد) وانما هو ضمير في (حَضَرَ) وهو الذي دعاه الفراء بـ (مكني) ، وهذا يعني ايضاً أنه لم يختلف عن أصحابه البصريين الا في هذا المصطلح الجديد .

واذا نظرنا في كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » لابی البركات ابن الانباري اتضح ان الكوفيين ليسوا أهل سماع استقروا كلام العرب فبنوا عليه نحوهم ، بل انهم نحاة ذهبوا في نحوهم مذهب اصحابهم البصريين فعللوا وقدروا واختلفوا في التعليل واختلفوا في العامل وطبيعته . ومعنى ذلك ان الاسلوب المنطقي القائم على العامل والعلة والحكم متوفر لدى الباحثين من النحويين الكوفيين .

جاء في المسألة التاسعة والعشرين في « الانصاف » ما يأتي :

ذهب الكوفيون الى ان الظرف ينتصب على الخلاف اذا وقع خبراً

(٩) الفراء ، معاني القرآن ١/ ١٢٨ .

للمبتدأ نحو « زيد امامك وعمرو وراك » وما اشبه ذلك • وذهب ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين الى انه ينتصب لان الأصل في قولك « امامك زيد » « حل امامك » فحذف الفعل وهو غير مطلوب ، واكتفي بالظرف منه فبقى منصوباً على ما كان عليه مع الفعل • وذهب البصريون الى انه ينتصب بفعل مقدر والتقدير فيه : زيد استقر امامك ، وعمرو استقر وراك • وذهب بعضهم الى انه ينتصب بتقدير اسم فاعل ، والتقدير : زيد مستقر امامك ، وعمرو مستقر وراك •

اما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا : انه ينتصب بالخلاف وذلك لان خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ ، الا ترى انك اذا قلت « زيد قائم وعمرو منطلق » كان « قائم » في المعنى هو زيد ، ومنطلق في المعنى هو عمرو ، فاذا قلت « زيد امامك وعمرو وراك » لم يكن « امامك » في المعنى هو زيد ، ولا « وراك » في المعنى هو عمرو ، كما كان « قائم » في المعنى هو زيد ، و « منطلق » في المعنى هو عمرو فلما كان مخالفاً له نصب على الخلاف ليفرقوا بينهما^(١٠) •

وهكذا يذهب كل فريق من الفريقين مذهبه في الاحتجاج الذي يتصف بالتصنع والتكلف ويتبعد كل البعد عن المنهج اللغوي الصحيح الذي لا يحتاج الى هذه التعليلات والاحتجاجات •

هذا عرض سريع لمنهج النحاة الأقدمين على اختلاف مذاهبهم • وقد ورثنا « نحوهم » بعلله واحكامه ومنهجه البعيد عن العلم اللغوي الصحيح وضقنا به وصار الباحثون من المعاصرين يدرسونه ناقدين موجهين ، وطلع غير واحد من هؤلاء علينا بآرائهم النقدية واقتراحاتهم لبناء شيء جديد يقيم هذه العربية على قواعد جديدة • ولعلمهم في ذلك قد تأثروا باللغات الحديثة الاوربية وما فيها من نحو يختلف كثيراً في فهمه ومنهجه عما في العربية •

غير ان جماعة من هؤلاء المعاصرين الذين قصدوا الى نقد النحو القديم

(١٠) ابن الانباري ، الانصاف ١/ ١٥٢ •

وبنائه. بناء جديداً لم يأخذوا انفسهم بمنهج جديد قائم على الوصف وان كانوا قد ادعوا بادیء ذی بدء ان الوصف والتقرير منهجهم في آرائهم الجديدة •

وهكذا لم يستطيعوا الافلات من المنهج القديم ، فقد استبدلوا بالتعليلات القديمة وبالمنهج القديم تعليقات جديدة • والتعليل من اساسه شيء غريب في المادة اللغوية النحوية ، وهو يتناقض كل التناقض والمنهج الجديد المبني على الوصف •

ومن هذه المحاولات ما قام به الاستاذ ابراهيم مصطفى من اساتيد النحو البارزين في كتابه « احياء النحو » • ووسم الكتاب بـ « احياء النحو » اشارة الى أنه قطند ان يهذب النحو ويعيد بناءه على اساس جديدة ، ولذلك دعا الى نبذ القول بالعامل والقول بالعلة النحوية • ثم نظر الى المواد النحوية نظراً فبين فيها آراء جديدة تختلف عما عهدناه في كتب النحو القديم •

وهذه النظرات الجديدة لا تخرج عن التعليل والتفسير والاعتماد على شيء من صفات المنهج القديم •

ولننظر في رأيه في نصب اسم « إن » حيث قال : « لقد راقبنا إن » وخاصة في القرآن الكريم ووجدناها أكثر ما تستعمل متصلة بالضمير مثل : إنا ، إني ، إنك ، إنه •

ثم عرض الاستاذ ابراهيم مصطفى لبيان استعمال (إن) في القرآن الكريم وبين انها استعملت في ٦٢٠ آية متصلة بالضمير وفي ٤٤٤ آية متصلة بالظاهر كما اشار الى اتصالها بالموصول والاشارة • ثم عقب على هذا البيان بقوله :

ونعلم من اسلوب العرب أن الأداة اذا دخلت على الضمير مال حسهم اللغوي الى ان يصلوا بينهما فيستبدلون بضمير الرفع ضمير النصب ، لان ضمير الرفع لا يوصل الا بالفعل ، ولان الضمير المتصل أكثر في لسانهم ، وهم احب استعمالا له من المنفصل • قال ابن مالك •

وفي اختيار لا يجيء المنفصل اذا تأتي ان يجيء المتصل

ومن ذك كلمة « لولا » لا يكون الاسم الظاهر بعدها الا مرفوعاً
ايضاً ، ولكن العرب يقولون : لولاه ولولا هو ، ولولاكم ، ولولا اتم :
يستعملون ضمير النصب وضمير الرفع •

اما ضمير الرفع فوجه استعماله واضح والموضع موضعه ، واما ضمير
النصب فاستجابة لداعية الحس اللغوي من وصل الاداة بالضمير اذا وليها •
ثم يذكر الاستاذ ابراهيم مصطفى نظيراً لذلك في (عسى) واتصاله
بضمير الرفع والنصب على السواء ثم يخلص بعد ذلك الى تفسير ذلك
وتعليقه فيقول :

فهذا المسلك من العربية يفسر لنا ما نراه في استعمال العرب اسم إن
منصوباً وما نجده من أثر الرفع فيه ، اذ يجيء احياناً مرفوعاً ثم يعطف عليه
ويؤكد بالرفع ايضاً •

وذلك أنهم لما اكتروا من اتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه
بها ، وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الموضع للنصب ، فلما جاء الاسم
الظاهر نصب ايضاً •

وهذا موضع دقيق في العربية ولكنه صحيح مطرد عند الاختبار ، اثبتته
النحاة وسموه الاعراب على التوهم « (١١) » •

أقول : ان هذا التعليل لمسألة نصب « اسم إن » يذكرنا بأسلوب
الأقدمين في تعليل رفع المبتدأ مثلاً او نصب المفعول معه او غير ذلك من
الموضوعات •

والاستاذ ابراهيم مصطفى في غنى عن سلوك هذا السيل فيما لو أراد
أن يأخذ نفسه بالمنهج العلمي الحديث ، فليس هناك حاجة الى تعليل النصب وليس

(١١) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ٦٨ - ٧٠ •

من حكمة أن يقصد الى التيسير بهذا النوع من اساليب البحث •
وقد تأثر تلاميذ ابراهيم مصطفى بأرائه ومالوا اليها وبسطوها في كتبهم
وزادوا عليها فنادوا بالغاء العامل والعلل ويسروا ووجهوا ولكنهم لم يسلموا
من آثار المنهج القديم الذي لا يكتفي بالوصف والتقرير •
وأنا أخلص من هذه المقدمة فأقرر أنني سأستقري العربية ما وسعني
ذلك محاولا دراسة الفعل العربي زمانه وأبنيته بعد العرض لما تركه الاقدمون
في هذه الناحية ثم اختتم هذه المسألة بالبحث عن الجملة العربية •

الفعل وأقسامه

الفعل ركن مهم في بناء الجملة العربية • والجملة العربية اسمية او فعلية ذات طرفين هما المسند اليه والمسند • ولم يبحث النحويون الاقدمون في الجملة من حيث انها قضية اسنادية وان الفعل طرف في الاسناد الا قليلا • ولقد اهتم النحاة القدامى بمسألة الفعل في مباحثهم النحوية كما اهتم في الموضوع نفسه المحدثون في دراساتهم الحديثة • والاهتمام بالفعل يشغل مكاناً مهماً في سائر اللغات • وقد كان اهتمام الأقدمين بهذه المادة غيره عند المعاصرين • كان الاقدمون يرون ان الفعل صاحب العمل وهو عامل قوي بل هو اقوى العوامل فهو يرفع فاعلا وينصب مفعولا كما ينصب سائر ما اسموه بـ (الفضلات) كالمفاعيل والحال ونحو ذلك ، وأنه يعمل اينما كان متقدما ام متأخرا ظاهرا ام مقدرا •

أما اصحاب النظر اللغوي الصحيح من المحدثين فينكرون هذه المعرفة القديمة وهم يرون ان الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة وهو لا يعدو ان يكون حدثاً يجرى على أزمنة مختلفة تختلف في المضي كما تختلف في الحال والاستقبال كما يعرب عن اتفاق وتركيب هذه الازمنة ببعضها • وليست العربية بدعاً بين اللغات في هذا السبيل فقد دل الاستقراء على نضج الفعل العربي وقدرته على الاعراب عن دقائق الزمن • ولا بد ان نعرض لمحددات الفعل عند النحويين الأقدمين ، ذكر سيويو : واما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداث

الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع • فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحُمد وأما بناء ما لم يقع فانه قولك آمراً اذهب واقتل واضرب ومخبراً يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن» (١) •

وصاحب « الكتاب » في عرضه هذا يثبت ان الفعل مادة أخذت من (احداث الاسماء) ويريد باحداث الاسماء المصادر فهو يقول معقبا : والاحداث نحو الضرب والقتل والحمد (٢) •

وجاء في كتاب (الجمل) للزجاجي : « والفعل ما دل على حدث وزمان ماض او مستقبل نحو قام يقوم وقعد يقعد وما اشبه ذلك » (٣) •

وقد كرر الزجاجي هذا التعريف في كتابه « الايضاح في علل النحو » (٤) •

وهو في هذا التعريف قصر الفعل على الماضي والاستقبال وهو يرى ان فعل الحال في الحقيقة مستقبل لانه يكون اولا ، فكل جزء خرج منه الى الوجود صار في حيز الماضي ، ولهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو : زيد يقوم الآن ويقوم غداً • ولكن الزجاجي في (الجمل) يقول : « الافعال ثلاثة فعل ماض وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم فالماضي ما حسن فيه أمس نحو قام وقعد وانطلق وما اشبه ذلك ، والمستقبل ما حسن فيه غد كقولك أقوم ويقوم وما أشبه ذلك •

وأما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ كقولك : زيد يقوم الآن ويقوم غداً ••• فان اردت ان تخلصه للاستقبال أدخل عليه

(١) سيبويه ، الكتاب ٢/١ •

(٢) ومن هنا يبدو ان سيبويه جعل فعل الامر قسيما ثالثا للفعل وهو ما درج عليه البصريون في تقسيم الافعال • ثم انه قال بوضوح عن أخذ الافعال من المصادر وهو ما قال به البصريون كما سنعرض لهذه المسألة التي تؤلف مادة في الخلاف بين البصريين والكوفيين •

(٣) الزجاجي ، الجمل ص ١٧ •

(٤) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٣ •

السين او سوف « (٥) » .

وكأن الزجاجي في « الايضاح » غيره في « الجمل » فهو في الايضاح يلتفت الى مسائل أكثر عمقاً مما هي في (الجمل) فيقول مثلاً : « والافعال عبارة عن حركات الفاعلين وليست في الحقيقة افعالا للفاعلين وانما هي عبارة عن افعالهم ، وافعال المعبرين عن تلك الافعال » (٦) .

وفي (المفصل) للزمخشري : « ان الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان » (٧) .

وعلى هذا جرت الكتب المدرسية الحديثة في تعريف الفعل ، ولعل في هذا تسوية للفعل واشباه الفعل في العمل كالمصدر واسم الفاعل ونحو ذلك فهي دالة على أحداث مقترنة بزمان خاص وهذا معروف مشهور . وقال ابن يعيش في شرح المفصل : « لما كانت الافعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الافعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه ، انقسمت باقسام الزمان ، ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قبل ان الازمنة حركات الفلك فمنها حركات مضت ومنها حركة لم تأت ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية ، كانت الافعال كذلك : ماض ومستقبل وحاضر » (٨) .

وابن يعيش في هذا القول يذهب مذهباً بعيداً وهو لا ينهج نهجاً لغوياً فكأنه اراد ان يفلسف المسألة اللغوية وهي لا علاقة لها بهذا النظر العلمي وكأن النحوي لم يرد استقراء العربية لمعرفة اعراب الفعل عن الزمان بل انه اهتدى الى هذه الناحية من تأمله في الزمان الفلكي .

ويبدو أنهم لم يستقروا العربية استقراءً وافياً ليتبين لهم طرائق

(٥) الزجاجي ، الجمل ص ٢١ - ٢٢ . ومن المناسب ان نشير الى أن الزجاجي قد استعمل مصطلح الكوفيين وهو (الدائم) غير انه قصره على الحال وهو عند الكوفيين الدائم الذي يؤدي بصيغتي اسم الفاعل واسم المفعول . وهو يخالف اصحابه البصريين فلا يعد فعل الامر من اقسام الفعل .

(٦) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٣ .

(٧) الزمخشري ، المفصل ص ٢٤٣ .

(٨) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٤ .

استعمال الفعل • وأن كل ما فطنوا له هو اتفاقهم على ان الفعل من الاحداث المقترنة بزمان ما • غير أنهم لم يعطوا ايضاحات كافية عن حدود هذا الزمان • ولعل نسب هذا التقصير متأ من منهجهم في البحث النحوي فقد اهتموا بالعلة والعامل وما يترك العامل من اثر وهو ما دعي بـ الاعراب كما اسلفنا • كان اهتمامهم بالفعل من حيث كونه عاملاً بل أقوى العوامل يعمل ظاهراً ومقدراً متقدماً ومتأخراً ، ومن أجل ذلك لم يولوا مسألة الدلالة الزمانية حقها • وكأنهم تخلصوا في دراستهم للفعل بالتعلق بالاشكال (Forme) ، وذلك ان ما كان على (فَعَلَ) ونحوها دال على الماضي ، وما كان على (يَفْعُلُ) ونحوها دال على الحال والاستقبال • ولم يقفوا وقفات طويلة على هذه الصيغ ليروا كيف تنصرف الى حدود أخرى نعرب عن الخصوصيات الزمانية •

وقد استعملوا المصطلح (مضارع) ^(٩) مشيراً الى فعل الحال والاستقبال، وهذه التسمية تعرب عن انصراف النحويين الأقدمين عن حقيقة الفعل ووظيفته اللغوية الصحيحة في بناء الجملة وهو الخصوصية الزمانية • كونه مضارعاً يعني مشابهاً للاسم ، واذا كان قد شابه الاسم وضارعه فانما كان ذلك بسبب (الاعراب) فهو (يرفع) و (ينصب) و (يجزم) • والاعراب عندهم من خصائص الاسماء أي ان الاصل في الاسم عندهم ان يكون معرباً •

واهتمامهم بمسألة (عمل) الفعل في رفعه الفاعل ونصبه المفعول وسائر ما اسموه بـ (الفضلات) حملهم على اعتبار المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة واسم التفصيل اشباحاً للفعل ، وناحية الشبه هي ان هذه

(٩) ربما نستطيع أن نتبين أن مصطلح (المضارع) من مصطلحات البصريين فقد لمحوا في هذه الصيغة شبيهاً بالاسم من حيث قبوله ما أسموه بـ (علامات الاعراب) ، ومما يثبت هذا أن الكوفيين ومن أبرزهم الفراء لم يستعملوا هذا المصطلح فقد استعملوا (المستقبل اشارة للدلالة الزمانية ، كما استعملوا (يفعل) اشارة الى صيغته • • ومثل هذا أنهم استعملوا (الماضي) زماناً و (فعل) صيغة • انظر معاني القرآن للفراء (طبعة دار الكتب) ص ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٥ •

المواد تعمل عمل الفعل • ولم يكثرثوا للناحية الزمانية في استعمال هذه المواد ، وكان خيراً لهم لو أنهم الحقوا هذه المواد بالمادة الفعلية من حيث إفصاحها عن الزمان وإبرازه في حدود واضحة •

ومن أجل هذا كان الكوفيون أشد اتصالاً بالعلم اللغوي من خصومهم البصريين في تقسيم الفعل ، فقد قسموا الفعل باعتبار دلالة الزمانية الى ماض ومستقبل ودائم •

وقد ارادوا بالفعل الدائم اسم الفاعل المتطلب للمفعول • وهذا مما قال به الفراء كما أشار الزجاجي النحوي في « مجالس النحويين » فقد جاء : « قال ثعلب : كلمت ذات يوم محمد بن يزيد البصري فقال : كان الفراء يناقض ، يقول (قائم) فعل ، وهو اسم لدخول التنوين عليه • فان كان فعلاً لم يكن اسماً ، وان كان اسماً فلا ينبغي ان تسميه فعلاً • فقلت : الفراء يقول : (قائم) فعل دائم لفظه لفظ الأسماء عليه ، ومعناه معنى الفعل لأنه ينصب فيقال : قائم قياماً وضارب زيداً ، فالجهة التي هو فيها اسم ليس هو فيها فعلاً ، والجهة التي هو فيها فعل ليس فيها اسماً » (١٠) •

والفراء يشير في (معاني القرآن) الى هذه التسمية بـ (الدائم) غير مرة (١١) ، واذا كان الفراء قد لمح الفعلية في صيغة اسم الفاعل العامل فهو من غير شك يجرى اسم المفعول العامل هذا المجرى • وربما لمح في المصدر هذه الفعلية كما يبدو من خلال كلامه في (معاني القرآن) فقد ذكر : « وأنت تقول في الأفعال فتوحد فعلهما بعدهما فتقول : اقبالك وادبارك يشق عليّ ولا تقول : اخوك وابوك يزورني » (١٢) •

وهكذا فان الفعل عند الفراء مادة تشمل صيغاً عدة يربط بينها الدلالة الزمانية • فقد سمي اسم الفاعل فعلاً دائماً لانصراف هذه الصيغة نحو الحال والاستقبال •

(١٠) الزجاجي ، مجالس النحويين ص ٣٤٩ •

(١١) الفراء ، معاني القرآن ١/ ١٦٥ •

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ •

ولم ينكر البصريون هذه الدلالة الزمنية غير ان هذه الدلالة لم تبعد
اسم الفاعل عن رتبة الاسمية ، وذلك لقبوله التنوين الذي هو من خصائص
الاسماء عندهم •

وربما كان الفراء قد اهتم الى هذه الحقيقة الفعلية في هذه الأبنية
مما لمح الكسائي استاذ الذي تلمذ عليه وقرأ به •

فطن الكسائي الى هذا اللون الفعلي فجوز أن يعمل اسم الفاعل
بمعنى الماضي كما يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، سواء تمسك بجواز
نحو زيد معطي عمرٍ أمس درهماً وقرأ : « وجاعل الليل سكنا » (١٣) •
وكأن البصريين لم يقبلوا بما قال به الكسائي فقد قال السيرافي « ان الأجود
ههنا أن يقال : انما نصب اسم الفاعل المفعول الثاني ضرورة حيث لم يمكن
الاضافة اليه لأنه أضيف الى المفعول الاول » (١٤) •

وقالوا لا استدلال للكسائي في قوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه »
لانه حكاية الحال الماضية •

ولا ادري لِمَ لم يحمل الفراء المصدر العامل واسم المفعول العامل
على اسم الفاعل العامل ويسمى هذه المواد التي اشبهت الفعل من حيث
الدلالة الزمنية لا العمل افعالا دائمة • وكنت قد لمحت ذلك قبل ان ألم
بمقالة الفراء من النحاة الكوفيين •

ويبدو لي ان الفراء يسلم من مسألة « العمل » في الفعل واشباهه
وهو الرأي الذي قال به البصريون وسيطر على تفكيرهم اللغوي النحوي ،
وذلك أنه فرق بين اسم الفاعل العامل واسم الفاعل غير العامل ، فقد سمى
الاول منهما (فعلا دائما) في حين عد اسم الفاعل غير العامل من الاسماء
واطلق عليه (الاسم) (١٥) •

(١٣) الرضي ، شرح الكافية ٢/ ٢٠٠ •

(١٤) المصدر السابق •

(١٥) انظر معاني القرآن (طبعة دار الكتب) ٤٥/١ •

وربما اوضح الأمر للمتأخرين من النحويين في مسألة المصدر ففطنوا الى دلالة الزمانية واتصاله بالفعلية في هذا فقد قال ابن يعيش : « ان المصدر يدل على زمان اذ الحدث لا يكون الا في زمان ولكن زمانه غير متعين وجوده وانما الزمان من لوازمه وليس من مقوماته بخلاف الفعل فصارت دلالة المصدر على الزمان التزاماً وليست من اللفظ فلا اعتداد بها » (١٦) .

وقول ابن يعيش « وليست من اللفظ » اعتماد على اعتبار النحويين بصريين وكوفيين ابنية الفعل فما كان على « فَعَلَ » ونحوه فهو ماض ، وما جاء على « يفعل » ونحوه فهو حال او مستقبل . ومعنى ذلك ان النحويين الأقدمين اهتموا بهذه الابنية ولم يهتموا بالحقيقة الزمانية التي قد تختلف عن هذه الابنية ، وذلك أنه ليس كل ما جاء على (فَعَلَ) افاد الماضي وما جاء على (يفعل) افاد الحال والاستقبال . ثم انهم بهذا التقسيم لم يهتموا بدقائق الزمان وعلاقة زمن ما بآخر .

والى هذا يشير ابو حيان فيقول : « انه يدل على الحدث بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته أي كونه على شكل مخصوص ، لذلك تختلف الدلالة على الزمان باختلاف الصيغ . ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها » (١٧) .

ومن هنا نخلص الى ان البصريين والكوفيين قد اتفقوا في كثير مما يتعلق بالفعل واختلفوا في تقسيمه فقد مر بنا ان البصريين قالوا ان الفعل ماض ومستقبل وأمر كما جاء في « الكتاب » وتبين لنا ان الكوفيين قد أبعدوا الأمر من هذا التقسيم ولم يجعلوه قسيماً للماضي والمستقبل .

ويبدو لنا أن الكوفيين على حق في ابعاد الأمر أن يكون قسيماً للماضي والمستقبل وذلك ان « فعل الأمر » طلب وهو حَدَث كسائر الأفعال غير أن دلالة الزمنية غير واضحة ذلك ان الحدث في هذا « الطلب » غير واقع

(١٦) ابن يعيش ، شرح المفصل ٢/٧ .

(١٧) السيوطي الاقتراح ص ١٠ .

الا بعد زمان التكلم وربما لم يترتب على هذا الطلب ان يقع حدث من
الاحداث + ولهذا ذهب النحويون الاقدمون الى مسألة شبه النفي وحشروا
في هذه المقالة كل انواع الطلب ولذا فانهم رأوا العلاقة الوثيقة بين الحدث
الواقع في حيز النفي والحدث الواقع في حيز الطلب وذلك ان كلا منهما
غير حادث •

الفعل والزمن

ان من البديهي أن يعرب الفعل عن الزمان وأن يدل على أقسام هذا الزمان ودقائقه وذلك بصيغ وإبنية وتراكيب معروفة وهو أمر حادث في كثير من اللغات • وليست العربية بديعاً في ذلك بين اللغات فلا بد أن يدل على الزمان في إبنيتها الفعلية • غير أن الصعوبة في هذا الامر أن إبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير الى ذلك مصطلحاتها فقد عرفنا أنهم قسموا الفعل الى ماضٍ ومضارع (والمراد الحال والاستقبال) وأمر (وقد قلنا مقالتنا في هذا التقسيم البصري وكيف أن الامر لا يمكن أن يكون قسيماً للماضي والمستقبل) ، ومقالة الكوفيين في تقسيم الفعل الى ماضٍ ومستقبل ودائم ، ولكن الفعل في الاستعمال تهيأ له أن يجرى في طريق آخر فقد يشار ببناء (فَعَلَ) الى غير الزمن الماضي ، كما يشار ببناء « يفْعَل » و « فاعِل » الى دقائق زمنية واضحة •

وعلى هذا فليس صحيحاً ان نكرر ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من ان الزمان ليس شيئاً أصيلاً وان اقتران الفعل العربي به حديث النشأة^(١) • ونستدل من البحث في تاريخ النحو على ان الأقدمين فصلوا القول في هذا وأنهم استفادوا الاستدلال على الزمان من صيغ عدة •

حدث المرزباني عمن سمع الكسائي يقول : اجتمعت وأبسو يوسف

(١) المخزومي ، في النحو العربي (بيروت ١٩٦٤) ص ١٤٤ •

القاضي عند هرون الرشيد ، فجعل ابو يوسف يذم النحو ويقول : ما النحو ؟ فقلت و اردت ان اعلمه فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتلُ غلامك ، وقال له آخر : أنا قاتلُ " غلامك " أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية ، فاستحيى وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتلُ غلامك بالاضافة ، لأنه فعل ماضٍ ، فاما الذي قال : أنا قاتلُ غلامك فإنه لا يؤخذ ، لانه مستقبل ، لم يكن بعد ، كما قال الله تعالى : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » فلولاً ان التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً)^(٢) .

وهذا الخبر يشير الى اختلاف الزمان باختلاف التراكيب التي جرت في العربية . وقد أشرنا الى أن بناء (فَعَلَ) وبناء (يفعل) لا يمكن ان يدلّ على الزمان باقسامه وحدوده ودقائقه ؟ ومن هنا فان الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه ، وانما يتحصل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة . على اننا يجب ان نشير اشارة عامة الى ان الفعل ثلاثة : ماض وحال ومستقبل . واننا نستطيع ان نقرر ان صيغة (فَعَلَ) وان دلت دلالات عدة في الاعراب عن الزمان ، فهي في أغلب الاحوال تدل على حدث أنجز وتم في زمن ماض ، وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاستقبال وان ذهبت في الاستعمال مذاهب أخرى وذلك بفضل الادوات والزيادات التي أشرنا اليها .

وقد أشار النحويون الى أن (السين) و (سوف) تخلصان الفعل للاستقبال ، كما أشاروا الى ان « لن » من أدوات النفي تخلص الفعل للمستقبل وهي بهذا على النقيض من « لم » من أدوات النفي أيضا فهي تخلص مدخولها وهو على بناء (يفعل) للماضي .

وقد اشاروا اشارات أخرى في الكلام على طائفة من الظروف فذهبوا

(٢) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الى ان « اذا » ظرف لما يستقبل من الزمان وعلى هذا فان مدخولها وهو في الكثير الغالب على بناء (فعل) ينصرف الى المستقبل ، في حين أن مدخول « اذ » وهي من الظروف ينصرف الى الماضي وهو في البناء نفسه • وربما لم يطل النحاة الاقدمون النظر في الابنية المركبة واريدهم بالابنية المركبة نحو : « قد فعل » و « كان قد فعل وكان فعَل » •

وكأن العربية قد اتخذت من بناء (كان) فعلا دالا على الحدث غير مترشح للدلالة الزمانية الا اذا كان لصيق فعل آخر •

ولعلمهم لم يطيلوا النظر في هذه المركبات بسبب من أنهم لم يولوا فكرة اعراب الفعل عن الزمان العناية اللازمة وذلك لانشغالهم بأشياء أخرى منها مسألة العمل في الفعل ومسألة الاعراب •

فاذا ابصروا (كان) في كلام فلايد ان يتبينوا نقصها ويشيروا الى اسمها وخبرها كما ذهبوا الى ذلك • وعنايتهم بهذا جعلتهم لم يلمحوا هذه المركبات التي حفلت بها العربية لتستعين على الافصاح عن الزمان بحدود لا يفصح عنها كل من بناء (فعل) و (يفعل) دون ان تضاف اليها هذه الزوائد •

وليس من العبث والتزيد أن نجد كاتباً من أقدر كتاب العربية هو الجاحظ يأتي في كلامه شيء من هذه المركبات مما لم يثر اهتمام الدارسين قديماً أو حديثاً • جاء في « البخلاء » قوله :

« وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب »^(٣) ، « وانه كان اذا صار في يده »^(٤) اي الدرهم « وكان ذلك لا يكون منه الا في آخر لقمة »^(٥) . و « لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء لقد اكلنا »^(٦) •

(٣) الجاحظ ، ، البخلاء (طبعة مكتب النشر العربي بدمشق) ص ٥١

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٧ •

(٥) المصدر السابق ص ١٩١ •

(٦) المصدر السابق ص ٢٤١ •

و « فقد يكون ان يكون الرجل سليم الصدر »^(٧) .
ومثل هذه الاستعمالات تقوى الذهاب عندنا في الكلام على الازمنة
المركبة . وتركيب الازمنة يفضى بنا الى التخالف فيها وذلك في الجملة
الواحدة كأن يكون الحدث الاول مشيراً الى المضي في حين ان لصيقه الآخر
يكون مستقبلاً بالاضافة الى الاول وهذا ما اصطلاح عليه في الفرنسية

مثلاً بـ Concordance de temps *

وقد انتشرت في كتب النحو القديمة اجزاء من معلومات يتألف من
مجموعها مادة مفيدة فقد ذكروا ان « قد » تفيد التحقيق اي أن الحدث بعدها
كائن واقع والاستقراء يدل على هذا كثيراً كما في قوله تعالى : « قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا »^(٨) ، وقوله تعالى : « لقد جاءت رسلنا
بالحق »^(٩) ، وقوله تعالى : « قد افلح المؤمنون »^(١٠) .

كما اشاروا الى أن « قد » تفيد التقليل ان كان مدخولها فعلاً مضارعاً
كما في قولهم : قد يصدق الكذوب ، وقد يجود البخيل ، او للدلالة على
التكثير كقول الهذلي :

قد اترك القرن مصفراً أنامله كأن اثوابه مُجَّتَ بفرصاد

او للدلالة على التوكيد ، نحو قوله تعالى : « قد يعلم ما اتم عليه » .
قال الزمخشري : « دخلت (قد) لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك الى توكيد
الوعيد »^(١١) .

وقد اشار ابن هشام في المغنى الى معاني « قد » الأخرى فذكر ان
من ذلك تقريب الماضي من الحال ، تقول : قام زيد ، فيحتمل الماضي
القريب والبعيد فان قلت قد قام اختص بالتقريب^(١٢) .

(٧) المصدر ص ٣٠٥ .

(٨) سورة الملك الآية ٩ .

(٩) سورة الاعراف الآية ٤٣ .

(١٠) سورة المؤمنون الآية ١ .

(١١) ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(١٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٧ .

وقال ابن عصفور : « ان القسم اذا اجيب بماض متصرف مثبت ، فان كان قريباً من الحال جيء باللام و (قد) جميعاً نحو : « تالله لقد آثرك علينا » وان كان بعيداً باللام وحدها ، كقوله :

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناثوا فما ان من حديث ولا صالى^(١٣)

وقال سيويه في «الكتاب» في (باب نفى الفعل) : « اذا قال : « فعل » فان نفيه : (لم يفعل) ، واذا قال : (قد فعل) فان نفيه (لما يفعل)^(١٤) .

وكان إشارة سيويه هي التي أروحت الى المتأخرين بكلامهم على ونفيد من هذه الملاحظة ان ادوات النفي مواد مفيدة وهي من الزوائد التي تخلص الحدث الى زمن ما وترشحه له فان « لم » غير « لما » وكذلك ولم يهتم الدارسون المحدثون بهذه الاشارات المفيدة في كتبهم المدرسية ، بل جروا على اهمال « مسألة الزمان » اهمالاً تاماً واكتفوا بتقسيم الفعل التقسيم المعروف ولم يستقروا نصوص العربية استقراءً جديداً ليتوصلوا الى نحو جديد .

« لن » كما مر بنا .

الماضي القريب .

غير ان الدارسين الاعاجم من المستشرقين قد قاموا بشيء من ذلك ، فهذا (وليم رايت) يتكلم على (قد فعل) فيشير الى دلالتها على وقوع الحدث قبل قليل من زمن التكلم كما في الشاهد الذي ساقه وهو : « قد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في ايام المنصور ، ونذكر ههنا وزارة الباين »^(١٥) .

(١٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٩ .

(١٤) سيويه الكتاب ج ١ ص ٤٦٠ .

(١٥)

والى مثل هذا توصل كل من المسيو بلاشير والمسيو ديمومبين في تناولهما مسألة الزمان في الفعل العربي^(١٦) ، فقد اهتموا الى الماضي القريب كما في قوله تعالى : « قد خلقنا فوقكم سبع طرائق »^(١٧) .

والذي نستطيع ان نقوله في هذا المبحث بعد الاستقراء لطائفة كبيرة من الاستعمالات أن :

- (١) (فَعَلَ) ونحوه يشير الى حدث كان قد تم في زمنٍ ماضٍ لا تستطيع ضبطه وتعيينه نحو : مات محمد ومضى زيد .
- (٢) قد يشير هذا البناء الى ان الحدث وقع في الماضي على أنه أمر كان قد تردد وقوعه مرات عديدة نحو : اشرقت الشمس وطلع القمر .
- (٣) يرد بناء (فَعَلَ) كثيراً في سرد أحداث ماضية في اسلوب القصص كما جاء كثير من هذا النوع من النصوص القديمة كما في الاغاني مثلاً : « فاستحسنها وبكى ثم قال بَطَلْتُ وَاللَّهِ يَا بَنِي وَخَابَ أُمْلِي فَيْكَ »^(١٨) .
- (٤) يأتي بناء (فعل) في اسلوب الدعاء بالخير وهو من غير شك يشير الى المستقبل نحو : رضي الله عنه ورحمه الله ، كما يأتي في الدعاء بالشر منفياً ب (لا) نحو : لا رحمه الله ولا رضي عنه .
- (٥) ويأتي للدلالة على أن الحدث وقع في زمنٍ ماضٍ نتيجة لاجداث أخرى كقوله تعالى : الذين انعمت عليهم .
- (٦) ويأتي للدلالة على ان الحدث كان قد انجز واستمر على هذه الحال أي منجزاً حتى زمن التكلم نحو قوله تعالى : « اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم » .

(١٦)

Gaudefroy-Demombynes et R. Blachère,
Grammaire De L'Arabe Classique. p. 248

(١٧)

(١٨)

Henri Fleisch, Etudes Sur Le Verbe Arabe
Extrait des Mélanges Louis Massigion p. 176.

(٧) يأتي بناء (فَعَلَ) ليشير الى ان الحدث كان قد وقع في اللحظة التي وقع فيها الكلام كما يجري في العقود نحو : بعثك وزوجتك •

(٨) ويأتي بناء (فعل) للاعراب عن وقوع أحداث في زمان يقرب من زمن التكلم أي الحال قول مقيم الصلاة : قد قامت الصلاة ، ونحو قولنا : قد وعيت مقالك وهأنا مجيبك عن سؤالك الذي سألت •

(٩) يستعمل بناء (فَعَلَ) للاعراب عن الزمان المستقبل وذلك في الظرف الشرطي (إذا) نحو اذا جئني اكرمتك • وفي كتاب « الاغانى » جاء : فاذا فرغ بكى ويبكى ما شاء الله^(١٩) • ويبدو هذا مما عطف على (فعل) ب (يفعل) •

(١٠) وقد يستعمل بناء (فعل) مع الظرف (لما) وهذه تستعمل في جملة وجد فيها حدثان وقعا في الماضي بحيث يتم الاول في اللحظة التي بدأ فيها الثاني نحو : لما جاءني اكرمته •

(١١) ويأتي بناء (فَعَلَ) مسبوقاً ب (كان) مسبوقاً ب (قد) أو (متلوة) ب (قد) للدلالة على الماضي البعيد ، كقول زفر بن الحارث :

وكانا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا^(٢٠)

وكقول الآخر :

قد كان شمر للصلاة ثيابه • • • • •

وكقول المتنبي :

قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا

وكقول الآخر :

وكان قد استسقى الغمام وقد بدا له عارض من جانبيه جهام

(١٢) وتتصدر (قد) بناء (فَعَلَ) لتفيد ان الحدث ماضٍ بالنسبة

(١٩) الاغانى (طبعة دار السكتب) ج ٦ ص ١١٧ •

(٢٠) عن المخزومي ، في النحو العربي ١٥٦ •

لفترة ماضية نحو :

ثم قمت الى الوطب وقد ضربه برد الشجر^(٢١)

(١٣) ويأتي بناء (فَعَلَ) مسبقاً بفعل الـكون المضارع فيتأني

من هذا المركب اعراب عن المستقبل في زمان ماض وهو ما يدعى في الفرنسية

Future-Antérieur نحو ماذا من شيء أكون اجترته^(٢٢) .

وكقول العرب في هذا العصر مثلاً :

وأقر اللص أن يكون سرق أثاث الدار .

ولابد من القول ان الفعل (كان) واخواتها نحو مازال وأضحى

وأمسى وأصبح وصار وسائر الأفعال الأخرى قد تستعمل في صيغة الماضي

متلوة بأفعال أخرى في صيغة (يفعل) وذلك في سرد أحداث ماضية كما

يحدث في الحكايات والقصص نحو : وكان يتصدق على الفقراء ويقري

الضيف وينيث الملهوف .

(١٤) وقد يأتي من ابناء الأفعال الماضية على (فَعَلَ) نحو « كَرُمَ »

و « حَسُنَ » و (ظَرَفَ) فإذا قلنا : (كَرُمَ محمد) و (حسن خلقه) ،

و (ظرف طبعه) فالمراد اثبات وجود هذه الصفات فيما اسندت اليه وليس هناك

أي اشارة للاعراب عن الزمان الماضي .

ومثل هذا مما يأتي على (فَعَلَ) نحو صَفِرَ وعَرِجَ وكَحِلَ

وعور مما يفيد الصفات الثابتة فالمراد من ذلك الاخبار عن ثبوت الصفة فيما

اسندت اليه من الأسماء . وليس في ذلك ما يدل على شيء من الزمان .

ونستطيع أن نحمل على هذا النحو الفعل (كان) فهو في كثير من

الاستعمالات لا يراد به الا الوجود في حياة مخصوصة وفي زمان ما وكأنه

هو وحده بناء مفرغ عن الدلالة الزمانية وانما يهتدى فيه الى الزمان من

(٢٢) الجاحظ البخلاء ٢٤٣ .

(٢٢) الاغانى (طبعة التقدم) ج ١٤ ص ٨ .

معنى الجملة فاذا قلنا :

(كان محمد لا يفارق داره) • ففي هذا التركيب يأتي الفعل للدلالة على الوجود • واذا قلنا :

ان الله كان بصيرا ، لم نستطع ان نهتدي الى الزمان الماضي من الفعل (كان) في هذه الآية •

ومن ذلك ما جاء في الاغاني :

كان ابي يكون عند كسرى (٢٣) •

ومثل (كان) ما حمل عليها من الافعال لشبهها اياها في العمل نحو ظل وبات واضحى وأصبح ومادام ومازال ومافتىء وما برح وما انفك فالمراد في هذه الافعال اثبات الاحداث واقعة في ظرف معين هو النهار كما في (ظل) ، والليل في (بات) والضحى في (أضحى) والصبح في (أصبح) واما الباقي فالمراد به الاستمرار ولا نستطيع ان نهتدي الى شيء من الماضي في هذه الابنية •

على ان الاستعمال قد صرف الافعال الاولى عن الاتصال بالظروف التي لازمتها ، بل تجاوزت ذلك الى وقوع الحدث ليس غير وبذلك صار كل منها مرادفاً للآخر في الاستعمال (٢٤) •

على ان صيغة (المضارع) من هذه الأفعال أيضاً أفادت الفائدة نفسها فقد دلت على وقوع الحدث أولاً وليس من شيء واضح يهدينا الى ان البناء يراد به المستقبل فالزمان متحصل من الجملة •

ومثل هذا ما سمي بأفعال المقاربة والرجاء والشروع نحو: كاد واوشك وكرب للمقاربة، وعسى وحرى واخلولق للرجاء ، وطفق وشرع وجعل وأخذ

(٢٣) الاغاني (دار الكتب) ١٠٥/٢ عن :
Grammaire Arabe.

(٢٤) أقول : ان الافعال أصبح واضحى وظل وبات أخذت من الظروف جريا على النهج العام الذي جرت عليه العربية في أخذ الافعال من اسماء الاعيان واسماء الذات •

وقام وبدأ نحو ذلك ، فهذه الأفعال جاءت على هذا البناء وليس في ذلك ما يشير إلى الزمن الماضي ، ذلك أن المراد منها إثبات هذه المعاني المشار إليها بصرف النظر عن وقوع القرب والرجاء والشروع في زمن ماضٍ • والذي يدل على هذا أن منها ما جمد على هذه الصيغة فليس فيه (يفعل) وهو: كرب وحرى واخلوق • ثم إن أفعال الشروع لا تؤدي الشروع إلا على صيغة (فعل) ولم يسمع أنهم استعملوها على صيغة (يفعل) ومعنى ذلك أن هذه الابنية الفعلية مواد أريد منها إثبات هذه الدلالات المعنوية •

بناء « يفعل » أو المضارع :

وهذا يأتي للتعبير عن حالات خاصة بصرف النظر عن الدلالة الزمانية التي يشير إليها البناء ، وذلك لأن هذه الدلالة قد تتحصل مما يبرز من قرائن تكون في بناء الجملة • والحالات التي يستعمل فيها هذا البناء هي :

(١) يأتي للاعراب عن حدث جرى وقوعه عند التكلم واستمر واقعاً وهذا هو ما ندعوه بـ « الحال » نحو :

فقلت لصاحبي : اراك في حيرة من أمرك ، فقال لي : احسبك مدركاً أمري •

(٢) ويشير إلى أن الحدث يقع كثيراً فهو لا يحدث في زمن معين ولكنه يحدث في كل زمان كما في قولهم : قبل الرماء تملأ الكنائن • وكقولهم انت تجنى من الشوك العنب •

وكقول الشاعر • • • • • تلهو وتضحك والزمان يسير

(٣) ويأتي للاعراب عن أن الحدث واقع في حيز الاستقبال نحو قوله تعالى : وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا

وقوله تعالى : فالله يحكم بينهم يوم القيامة • وفي هذه الآية القرينة واضحة والمستقبل مدلول عليه بـ « يوم القيامة » •

(٤) وقد يترشح بناء (يفعل) ونحوه للمستقبل وذلك بزيادات تسبق

الفعل هي « السين » و « سوف » و « لا » نحو قوله تعالى : وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون •

وقوله تعالى : كلا سوف تعلمون •

نحو قولنا : هو حق لا يدنو إليه الشك •

جاء في « المفصل » : « لا » لنفي المستقبل في قولك : لا يفعل •

قال سيبويه : واما (لا) فتكون نفياً لقول القائل : « هو يفعل » ولم
يقع الفعل « (٢٥) » •

وقد مسح النحاة الاولون هذه الدقائق في الاستعمال فقد جاء في
« الكتاب » في باب « نفي الفعل » : « واذا قال : (فعل) فان نفيه
(لما يفعل) (٢٦) » •

وكذلك قال الخليل : (ان سيفعل) جواب (لن يفعل) (٢٧) •

(٥) ويأتي بناء (يفعل) للاعراب عن حدث من قبيل الحقائق الثابتة نحو :

تشرق الشمس ويضيء البدر وكل حي يموت •

(٦) يأتي بناء (يفعل) مسبوقاً بـ (لم) فيشير الى الماضي فاذا قلنا :

« لم يكتب » فكأننا قلنا : ما كتب •

(٧) وقد يأتي بناء (يفعل) وهو دال على الماضي وذلك لقرينة ترشحه

الى الزمان الماضي نحو قوله تعالى : لم تقتلون أنبياء الله من قبل •

(٨) ويأتي للاعراب عن حدث مستقبل بالنسبة لآخر تم قبله في زمن ماضٍ

نحو قوله تعالى : والذين كفروا الى جهنم يحشرون •

وقوله تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر •

(٩) وقد يأتي بناء (يفعل) ونحوه مسبوقاً بـ (كان) للدلالة على ان

الحدث كان مستمراً في زمان ماضٍ • ومجيء (كان) الى جوار الفعل

يؤلف مركباً يؤدي هذه الفائدة وذلك نحو قولنا : كان النبي يوصي

(٢٥) الزمخشري ، المفصل ص ٣٠٦ •

(٢٦) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٤٦٠ •

(٢٧) الزمخشري ، المفصل ص ٣١٧ •

بمعاملة الجار بالحسنى •
 وكان البحثري لا يفارق باب الخليفة •
 وقول الشاعر :
 وكنت أظن البعد سهلاً فمذ أتى شرى البين منى ما أراد وباعا
 ومثل كان سائر الأفعال التي تتصل بزمان معين نحو ظل وأصبح
 وأمسى وبات نحو :
 أمسى البرق يلمع في السماء ، وأصبح المطر يهطل مدرارا •
 ومثل هذا أيضاً ما اسموه بأفعال الشروع نحو : طفق المطر ينزل
 وأخذ الولد يبكي ، وراح الشاعر يتلو قصيدته •
 وقد يأتي بناء (يفعل) مسبوقاً بـ (يكون) للدلالة على الوصف نحو
 ما جاء في « البخاري » : حتى تكونوا انتم تجدعونها^(٢٨) •

أبنية « فاعل » و « مفعول » والمصدر :

ومن الحق ان نعد هذه الابنية من مادة الأفعال ، فهي تدل على أحداث
 ثم انها تنصرف الى زمان محدد معروف يستدل عليه بالقرائن كما هي الحال
 في الأفعال التي لا يستدل بصيغها على أزمنتها كما تبين بالاستقراء وانما يتحصل
 الزمن فيها مما تشتمل عليه الجملة من قرائن واضحة أو مما يستدل عليه
 بالايماء الخفي •

وقد كان الفراء على حق - كما بينا - باعتباره بناء (فاعل) العامل فعلاً
 وذلك لأنه يختلف عن (فاعل) غير عامل • ان (فاعل) غير عامل لا يشعر
 السامع بالحدث المقترن بزمن ما فهو أقرب الى الصفات التي تطلق لبيان اتصاف
 موصوفها بها كالمبتدأ والخبر نحو : (زيد كاتب) أي أنه اتصف بالكتابة
 أو أن مهنته الكتابة دون الشعر مثلاً ، كما نقول : (زيد عاقل) فالمراد
 اثبات صفة العقل في زيد •

(٢٨) البخاري ، الجامع الصحيح (طبعة ليدن) ج ٤ ص ٢٥٢ •

ولسنا ندرى لِم أطلق الفراء على هذا البناء مصطلح « الدائم » ذلك ان لفظ (الدائم) يشير الى الدوام والاستمرار • والشواهد التي استقريناها من لغة التنزيل وكلام العرب لا تشير الى ان بناء (فاعل) يعطى هذه الفائدة الزمنية فهو يدل على الحال والاستقبال ان كانت هناك قرينة تصرفه الى ذلك كما يدل على الماضي ان كان المعنى يقتضي هذا الزمن كما سستين في الامثلة •
ويحسن بنا ان نعرض لهذا البناء كما جاء في باب (اعمال اسم الفاعل) عند المتقدمين من النحويين •

قالوا : لا يخلو اسم الفاعل من أن يكون مقروناً بأل ، أو مجرداً ، فان كان مجرداً عمل عمل فعله : من الرفع والنصب ان كان مستقبلاً أو حالاً ، نحو : « هذا ضارب زيداً الآن أو غداً » وانما لجريانه على الفعل الذي هو بمعناه ، وهو المضارع ومعنى جريانه انه موافق له في الحركات والسكنات ، لموافقة « ضارب » ليضرب فهو مشبه للفعل الذي هو بمعناه لفظاً ومعنى •

وان كان بمعنى الماضي لم يعمل لعدم جريانه على الفعل الذي هو بمعناه فهو مشبه له معنى لا لفظاً ، فلا تقول : هذا ضارب زيداً أمس بل يجب اضافته فتقول : « هذا ضارب زيداً أمس » (٢٩) •

ويتبين من هنا أنهم - وأعني البصريين من النحويين - لم يعتقدوا الشبه بين بناء فاعل وابنية الافعال من حيث كون كل منها حدثاً يقترن بزمان ما نستوضحه في القرائن والمعاني • ولكنهم اهتموا بالامور الشكلية من ناحية ان هذا (البناء) يشبه الفعل المضارع في حركاته وسكناته فان (ضارب) مثل (يضرب) من حيث الحركات وهذا كلام باد ضعفه ذلك ان هذا البناء لا يجمعه والمضارع من حيث الحركات المتشابهة الا كسر ما قبل آخره كما في (ضارب) و (يضرب) في حين أن (كاتب) لم يسلم له هذا الكسر فيما قبل آخره في الفعل الذي أخذ منه وهو (يكتب) •

(٢٩) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٧٥ (القاهرة ١٩٣١) •

وأكبر الظن أنهم لم يلجأوا الى عقد هذه المشابهة الشكلية الا ليأخذوا بما أخذوا به أنفسهم من انباع منهجهم القائل بالعلل فاسم الفاعل لم يعمل عمل الفعل ، وهو صاحب الأصالة في العمل ، الا لتوفره على هذه الناحية من الشبه وهي ناحية ضعيفة كل الضعف .

وأنهم شبهوا بناء (فاعل) بـ (المضارع) لان (فاعل) اسم ، والمضارع يضارع الاسم . وهذا قول ضعيف اذ أنهم أهملوا العنصرين المهمين في مادة الفعل بقولهم (مضارع) هذان العنصران هما : الحدث والزمان ، وانما ضارع (يفعل) عندهم الاسم لان كليهما معرب . فكأن « الاعراب » من صفات الاسماء ولما كان (يفعل) متأثراً بالعوامل عندهم وظاهر عليه اثر هذه العوامل . فقد ضارع الاسم .

وينجم عن هذا أنهم جعلوا بناء (فَعَلَ) بعيداً عن مضارعة الاسم وكأنه شيء لا يتصل ببناء (يفعل) . ومن أجل هذا لم يروا من شبه بين (فَعَلَ) و (فاعل) فلما لم يكن (فاعل) شابهاً لـ (فَعَلَ) في الشكل من حيث الحركات والسكنات ومن حيث ان (فاعل) متأثر بالاعراب خلافاً لـ (فَعَلَ) ، لم يجيزوا أعمال (فاعل) ان دل على الماضي .

وكان الكوفيين قد حرروا انفسهم من القول بهذه القيود التي يعمل بها اسم الفاعل وهي وجوه الشبه بينه وبين الفعل المضارع ، ولذا فقد أجاز الكسائي أعمال بناء (فاعل) الدال على الماضي اخذاً بالنصوص الفصيحة كما في لغة التنزيل وجعل منه قوله تعالى « وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد » وكان البصريين قد ردوا على مقالة الكسائي فخرجوا الآية على حكاية حال ماضية (٣٠) .

واختلف النحويون في اسم الفاعل الواقع صلة للالف واللام فهو عامل لندى الكثير منهم ماضياً ومستقبلاً وحالاً . وزعم جماعة - منهم الرماني - أنه اذا وقع صلة لأل لا يعمل الا ماضياً ، ولا يعمل مستقبلاً ولا

(٣٠) المصدر السابق .

حالا" وزعم بعضهم أنه لا يعمل مطلقا .

اما الذين أعمالوه فقالوا : لوقوعه موقع الفعل ، اذ حق الصلة ان تدون جملة فتقول (هذا الضارب زيدا الآن أو غدا أو أمس) .

واعمالهم اسم الفاعل اذا كان صلة للالف واللام كان بسبب العله التي ذكروها فاسم الفاعل عندهم صلة ، ولا بد ان تكون الصلة جملة ، وكان هذه الجملة لابد ان تكون مصدرية بفعل ليظهر العمل . ونخلص من هذا الى انهم لو قدروا ان جملة الصلة تكون اسمية لما سلم لهم وجه الشبه بين اسم الفاعل الواقع صلة للالف واللام والفعل الماضي .

ومن هنا نستطيع ان ندرك ضعف هذا المنهج في ادراك المسائل النحوية واللغوية ووصفها كما جاءت في كلام العرب غير معللين ولا مؤولين . والحقوا باسم الفاعل في العمل ابنية فعال ، ومفعال وفعل وفعل وفعل .

أما الكوفيون فقد عرضنا لمقالة الفراء وتسميته (فاعل) بالدائم وفي هذا المصطلح اعتباط من ناحية تعيين الدلالات الزمنية المحددة .

ولا ندري لِمَ لم يحمل بناء (مفعول) فيسميه ب (الدائم) أيضاً .
ويبدو أن ذهاب الفراء هذا المذهب وجعله بناء (فاعل) فعلاً آت من تأثره بالكسائي الذي تلمذ له وتخرج به فقد عرفنا رأي الكسائي في قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) .

فقد نقل السيوطي حديث المرزباني « عن سمع الكسائي يقول : اجتمعت وابو يوسف القاضي عند هرون الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول : ما النحو ؟ فقلت وأردت ان أعلمه فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : انا قاتل غلامك ، وقال له آخر : أنا قاتل غلامك ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية فاستحيى ، وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتل غلامك بالاضافة ، لانه فعل ماض .

فأما الذي قال : أنا قائل " غلامك بلا اضافة فإنه لا يؤخذ لانه مستقبل ،
لم يكن بعد ، كما قال الله تعالى : « ولا تقولن لنسيء انى فاعل ذلك غداً الا
أن يشاء الله » فلولاً أن التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً) « (٣١) » .

وذهب الفراء في تفسير قوله تعالى من سورة الانبياء : « كل نفس ذائقة
الموت » • ولو نونت في (ذائقة) ونصبت الموت كان صواباً ، واكثر ما تختار
العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فاذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون الا
بالاضافة ، فأما المستقبل فقولك : أنا صائم يوم الخميس ، اذا كان خميساً
مستقبلاً ، فان أخبرت عن صوم يوم خميس ماضى قلت : أنا صائم يوم
الخميس فهذا وجه العمل « (٣٢) » .

ونستفيد من هذا أن الكسائي ثم الفراء يقولان باعمال اسم الفاعل ان
انصرف الى الحال والمستقبل ويضيفانه الى معموله ان انصرف الى الماضي •
غير أنهما لا يعللان اعماله كما ذهب اليه البصريون من ناحية شبهه بـ (يفعل)
ذلك الشبه الذي يتناول الشكل من حيث الحركات والسكنات والمعنى •
وتفسير الفراء للآية « كل نفس ذائقة الموت » • يدل على هذا فكان سبيل
كل من الكسائي وهو من أصحاب القراءات ، ثم الفراء وهو من أصحاب
القراءات ، والباحثين في علوم القراءان ، استقراء كلام الله والسماع من كلام
العرب • واقتصارهم في هذه المسألة على القراءة والسماع دون اللجوء الى
التعليل ، اتباع للمنهج اللغوي الصحيح •

على ان الفراء قرأ : « كل نفس ذائقة الموت » باضافة اسم الفاعل
الى الموت كما قرأ بالتنوين ، ومعنى هذا ان اسم الفاعل الدال على الحال
والاستقبال لا تستبعد اضافته كما يجوز اعماله •

ويبدو أن النحاة الأقدمين كانوا في حيرة من أمر هذه الصيغة
واستعمالها • فقد رأوا اسميتها كما لمحو فعليتها وهي أصيلة في الاسمية عند

(٣١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ •
(٣٢) معاني القرآن الورقة ١١٦ من مخطوطة دار الكتب المصرية عن
كتاب (في النحو العربي) للمخزومي •

البصريين ، وقريبة من الفعلية عند الكوفيين ، وذلك لاقتراحه بلوازم الاسماء كالالف واللام التي صرفوها الى الموصولية الحرفية غير انها لا تختلف كثيراً عن أداة التعريف ، وظهور التنوين في آخره ، وهذا أيضاً من لوازم الاسماء .

ومن حيرتهم وترددتهم أنهم قالوا : أقائم محمد ، واشترط البصريون اعتماد اسم الفاعل على نفي أو شبهه ، ولم يشترط ذلك الكوفيون . ثم قالوا : ان (قائم) مبتدأ والمرفوع بعده فاعل مسد الخبر وفي قولهم : أمحمود زيد ، ان (زيد) نائب عن الفاعل لان سابقه اسم مفعول . وكأنهم شعروا بضعف هذه الاقوال ، وذلك لان المشتق (قائم) و (محمود) لا يمكن ان يكون مبتدأ لانه لا يكون (مسنداً اليه) كما هو الحال أبداً ، بل هو مسند وهو خبر في هذه الجملة الاسمية . ولذلك عادوا فقالوا : ويجوز ان يكون خبراً مقدماً والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر .

فاذا انحرفت المطابقة بين المشتق ومرفوعه نحو : اقائم الرجلان لم يكن لهم الا ان يقولوا بالوجه الاول . وهو ان (قائم) مبتدأ وما بعده فاعل مسد الخبر . وهذا القول لا يقوم على أساس صحيح من الناحية اللغوية .

وقد عرض لهذه المسألة الدكتور مهدي المخزومي في كتابه « في النحو العربي » وكأنه أخذ بما قال به الفراء فجعل (فاعل) احد أقسام الفعل واستبعد فعل الأمر أن يكون قسيماً ل (فَعَلَ) و (يفعل) ومقالة الفراء هذه أخذها من بعده عامة الكوفيين كما مر بنا في غير هذا المكان .

ومن الطريف ان المخزومي تمسك بالمصطلح نفسه وهو (الدائم) وله في فهم هذا المصطلح رأي خاص سنعرض له .

يقول : « وهو الفعل الدائم الذي لا دلالة له على زمن معين اذا لم يوصل بصلة من مضاف اليه أو مفعول » (٣٣) .

فهو يقر ان (فاعل) بنفسه غير موصول بما بعده من لوازم لا يدل على

زمان معين • إذاً فما وجه القول بأنه (دائم) • ولفظ (الدائم) يعني فيما يعنيه المستمر الذي يتطلب فسحة زمنية طويلة ، وليس الأمر كذلك فهو ينصرف الى الحال والاستقبال في حال نصبه للمفعول ، والى الماضي في حال اضافته كما ذهب الفقهاء نفسه • وقد نصب الكسائي بعده المفعول وان كان دالاً على الماضي فقد قرأ : « وكلبهم باسط . . . الآية » • •

وقول الدكتور المخزومي انه لا دلالة له على زمن معين اذا لم يوصل من مضاف اليه أو مفعول صحيح ذلك ان فعلية هذه المادة لا تتضح اذا كان مفرداً نحو : « زيد عاقل » و « محمد متواضع » • ف (عاقل) و (متواضع) داخلان في باب الاسمية •

ومن هنا فلا نعلم وجهاً لالتزام السيد المخزومي بـ (دائم) وأغلب الظن ان هذه التسمية لا تختلف كثيراً عن « ماضٍ » و « مضارع » اذ ان كثيراً من (فَعَل) و (يَفْعَل) لا يدل على الماضي أو الحال أو الاستقبال الا بقرائن زائدة على هذه الابنية تزداد في الجملة فتصرف الفعل الى زمان ما •

ثم يقول الاستاذ الزميل المخزومي : « ومن حقه أن يبنى ، لانه فعل ، الا أن بناءه يختلف عن بناء الماضي والمضارع ، فهو يشبه الاسماء من حيث اقترانه بالانف واللام التي لا تختلف في اللفظ عن أداة التعريف في الاسماء وان اختلف عنها في المعنى ، وهو ملحق بالتوينية التي لا تختلف عن تنوينية الاسماء النكرات ، وان اختلفت عنها في الدلالة لان تنوينية الاسماء علم التنكير وتنوينيته علم لزمان معين هو المستقبل » (٣٤) •

ومن قراءتنا لهذه المادة التي عرضها الاستاذ المخزومي نجد انفسنا ازاء كلام لنحوي في هذا العصر يأخذ نفسه بالمنهج القديم من حيث المسائل الجوهرية وكأنه ليس في هذا العصر ، وكأنه أيضاً انساق في هذا العلم النحوي القديم ، أو أنه احب هذا النهج الكوفي مثلاً في الفقهاء فنسي

(٣٤) المصدر السابق •

ما كرره غير مرة من أن مهمة النحوي الوصف ليس غير ، اذ ليس من مهمة النحوي التعليل والتأويل • ولثم ينسرح المؤلف في هذا التيار كما قلت الا ليوافق الفراء في ذهابه ان (فاعل) فعل دائم • والقول بفعلية (فاعل) صحيح ولا يشترط ذلك التمسك الحرفي بأقوال الفراء وليس هو تقليداً له •

وكان على الاستاذ المخزومي الا ينساق فيأخذ بأقوال الفراء في فعلية هذه المادة وهي مسألة ظاهرة وقد يفطن لها كل باحث حديث حتى وان كان غير عارف بالفراء وما ذهب اليه •

وكان على السيد المخزومي ان يذهب ابعد مما ذهب اليه الفراء فيقول بفعلية المصدر (العامل) نحو : « يعجبني اكرامك الضيف » الا تراهم قالوا : ان معناه (أن تكرم الضيف) غداً أو أمسٍ أو أن معناه (ما تكرم الضيف) ليصرفوه الى الحال • وسنعرض للموضوع محاولين جعل هذه الابنية أفعالاً بسبب هذه الاستعمالات وليس شبيهات بالفعل • ومن اوجه اتباع المنهج القديم لدى المخزومي وابتعاده عن الاقتصار على الوصف الذي يقتضيه العلم اللغوي الحديث أنه قال : « ومن حقه أن يبنى لانه فعل ... » وهذا التزام بالمنهج القديم ذلك انهم افترضوا أن البناء أصيل في الفعل ومن أجل هذا حملوا اعراب المضارع على انه طارئ لا يمثل الفعل واشبهوه بالاسم وسموه مضارعاً • ولا أرى أي فائدة ان يقول المخزومي : « ومن حقه ان يبنى » واغلب الظن انه لم ينسرح في هذا السبيل الا ليحمل القارئ على القول بفعلية (فاعل) وكأنه مفترض ان القارئ لا يستطيع اعتقاد هذه الاقوال لما ألفت في دراسته من ان هذه الابنية من ابنية الاسماء •

على ان القول بفعلية (فاعل) و (مفعول) ونحوهما ظاهرة واضحة وحمل القارئ على ذلك لا يقتضى اللجوء الى هذه الاقوال القديمة التي لا تتفق هي والعلم اللغوي الحديث •

ويستمر الزميل المخزومي في هذا المنهج فيقول : « الا ان بناءه يختلف عن بناء الماضي والمضارع • • • • • »

وانطلاقه في هذا السبيل يظهر رغبته في تأكيد فعلية هذه الابنية التي قبلت

خصائص الاسمية كالالف واللام والتنوين • وهذه المواد لدى اندكتور المخزومي خاصة بالاسماء ، وكأنه في حرج من وجود هذه العلامات الاسمية في هذه الابنية • اذاً فلا بد أن يفسرها تفسيرات لا تخلو من الضعف والتكلف ليصل الى القول بفعلية هذه الابنية •

وعلى هذا فإن الالف واللام في هذه الابنية موصول حرفي يختلف في المعنى عن الالف واللام للتعريف ، وان التنوين الذي يلحقه يختلف عن تنوين الاسماء في دلالاته على المستقبل وان كان لا يختلف في الشكل عن تنوين التكرات • ولا أدري لم يذهب المخزومي في هذا الطريق الطويل الذي اصطنعه على نحو ما الفنا من مناهج النحاة الاقدمين • ولا أدري كيف يكون التنوين دالاً على المستقبل في قولنا : محمد شاعر " ألا ترى ان التنوين في (شاعر) لا يختلف عن تنوين اسم الفاعل في قولنا : محمد كاتب درسه •

وكان المخزومي مضى الى أبعد من هذا فأراد ان يسلب من هذه الابنية كل آثار الاسمية لتخلص الى الفعلية فقال : « ان وضعاً كهذا حمل العربية ان تحمله على الاسماء في تحريك آخره ، وان خالف الاسماء في معناه فمعناه معنى (يفعل) ، ودلالته على الزمان كدلالة (يفعل) ، فقد وقع موقع المضاف اليه في مثل قولنا : عجبت له من ماهر في صنعته ، فقد جر بالاضافة بعد (من) ، وان كان المجرور الحقيقي هو الذات ، ولو صرحت بالذات فقلت : عجبت له من رجل ماهر لكان حمل جره على الجوار مقبولاً ، وقد وقع موقع المفعول في مثل قولنا : رأيت ماهراً في صنعته فقد نصب لانه مفعول في الظاهر ، ولو قلنا : رأيت رجلاً ماهراً لكان نصبه على الجوار لا على المفعولية » (٣٥) •

ويخيل اليّ انك حين تقرأ هذا العرض لابد انك ذاكر اسلوب التدليل والعرض والاحتجاج في كتاب « الانصاف » لابي البركات ابن الانباري وكيف يسلك كل فريق للوصول الى ما يريد •

وفي هذا تنكر للمنهج الوصفي الذي قال به الدكتور المخزومي في

(٣٥) المصدر السابق ص ١٣٩ •

فاتحة كتابه واخذ بالمنهج القديم الذي لا يكفي باللفظ الظاهر في الكلام
فيلجأ الى التقدير ففي قوله : « ان المجرور الحقيقي هو الذات »
وكان في غنى عن اتباع جميع هذا فيقرر ان هذه الابنية أحداث استعملت
استعمال الافعال واقرنت بازمئة معينة وهذا يكفي للقول بفعاليتها • وكأن
الاستاذ المخزومي قد لمح في صيغة (فاعل) الاستمرار ولعل مصطلح
(الدائم) قد وجد هوى في نفسه بسبب الاستمرار وقد مثل لذلك بقوله
زيد قائم ، وعمرو ضاحك (٣٥) •

والقول بدلالة (فاعل) على الاستمرار مما انفرد به المخزومي فقد
اقتصر السابقون على دلالة (فاعل) على المستقبل وهو اسم الفاعل المذون
العاقل نحو انا صائم يوم الخميس اى سأصوم • وعلى الماضي وهو اسم
الفاعل المضاف نحو هو قاتل أخيه • أي قتل •

وقول المخزومي : زيد قائم وعمرو ضاحك بدلالة (فاعل) في كل
منهما على التعبير عن استمرار الحدث غير مقبول ، وذلك ان (قائم) و
(ضاحك) خبران والجملتان اسميتان والجمله الاسمية يدل فيها المسند
على الثبوت وان علاقة المسند اليه به لا تقبل التجدد بخلاف الجملة الفعلية
التي يدل فيها المسند على التجدد •

قال الجرجاني : « ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشيء
من غير ان يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، واما الفعل فموضوعه على ان
يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في
قولك زيد طويل ، وعمرو قصير ، فكما لا يقصد منها الى ان نجعل الطول
والقصر يتجدد ، ويحدث ، بل توجبهما وتثبتهما فقط ، وتقضى بوجودهما
على الاطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق • لاكثر من اثباته
لزيد •

واما الفعل : فانه يقصد فيه الى ذلك ، فاذا قلت : زيد هو ذا ينطلق ،

(٣٥) المصد السابق ص ١٥٨ •

فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاولة ويزجيه •
وان شئت ان تحس الفرق بينهما من حيث يلفظ ، فتأمل هذا البيت :
لا يالف اندرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
هذا هو الحسن اللائق بالمعنى • ولو قلته بالفعل : لكن يمر عليها
وهو ينطلق ، لم يحسن • واذا أردت ان تعتبره بحيث لا يخفى ان أحدهما
لا يصلح في موضع صاحبه : فانظر الى قوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه
بانوسيد » فان أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا وان قولنا : كلبهم يبسط
ذراعيه : لا يؤدي الغرض ، وليس ذلك الا لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد
الصفة في الوقت ، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون
هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً • ولا فرق بين « وكلبهم
باطس » وبين ان يقول : وكلبهم واحد مثلاً في انك لا تثبت مزاولة ولا
تجعل الكلب يفعل شيئاً ، بل تثبته بصفة هو عليها • فالغرض اذن تأدية
هيئة الكلب « (٣٥) » •

ويتبين من هنا أن الاخبار باسم الفاعل نحو : زيد قائم يراد به اثبات
صفة القيام في المسند اليه كما اتضح مما نقلنا من كلام الجرجاني • وان
(قائم) هنا داخله في باب الاسمية وليست هي فعلاً كما ذهب اليه المخزومي
وقال : انها حدث يعبر به عن الاستمرار ، واثبات الصفة وثبوتها أصيل
في الاسمية ومن معانيها •

أقول : كان على السيد المخزومي ان يقتصر على ما اقتصر عليه
الاقدمون في مسألة فعلية (فاعل) وذلك في اسم الفاعل العامل الذي يترشح
للاستقبال وفي اسم الفاعل المضاف الى معموله الذي يترشح للماضي كما
اشرنا الى ذلك غير مرة ، وذلك لان مجرد الاخبار باسم الفاعل نحو : « زيد
منطلق » لا يقرب من هذه الفعلية وهو داخل في باب الاسماء وهذا

(٣٥) الجرجاني ، دلائل الاعجاز (تحقيق محمد بن تاويت • تطوان)
ص ١٠٣ - ١٠٤ •

يختلف في كثير أو قليل عن قولنا : « زيد رجل » لارادة اثبات الرجولة في معانيها الكاملة وحصرها في « زيد » .

ولعل مصطلح (الدائم) هو الذي جر الاستاذ المخزومي الى هذا فقال باستمرارية الحدث في (فاعل) • او لعله ذهب الى فعلية (فاعل) كيفما وقع في الجملة لقول الاقدمين : ان « منطلق » من قولهم : « زيد منطلق » رافع ضميراً مستتراً هو فاعله •

وهذا المنهج النحوي القديم مما لا يرضاه البحث العلمي الحديث فهو ذهاب في المجهول •

وليت الدكتور المخزومي أحال على الجرجاني كما نقلنا في هذه المسألة ، ولا ادري لماذا أفاد مما كتبه الجرجاني ونقل قوله كاملاً في كلامه على الجملة العربية^(٣٦) ، ولم يفد منه في هذا المكان •

ويستمر المخزومي في زعمه ان صيغة (فاعل) تعبر عن استمرار الحدث بلا انقطاع فترة من الزمن الماضي فيلمح في صيغة (كان فاعلاً) هذا الاتجاه الاستمراري نحو قوله « كان محمد مرحاً » •

أقول : ان قوله : « كان محمد مرحاً » يعود بنا الى الكلام السابق ففي هذه الجملة المصدرية بـ (كان) جملة (محمد مرح) وهي جملة اسمية من غير شك مؤلفة من المبتدأ (المسند اليه) والخبر (المسند) والخبر صفة هي (مرح) وزان (فَعِل) والمراد بالصفة الثبوت والاختبار بها اثبات لها في المسند اليه • هذا هو الغرض الاول من اطلاق الصفات وحيث ان الاخبار من هذا القبيل ، فليس لنا ان نقول بفعلية هذه المواد التي لا يراد منها ما يراد من الافعال من إرادة التجدد •

جاء في « التلخيص » في الكلام على المسند : « اما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع افادة التجديد »^(٣٧) •

قلت : ان (محمد مرح) جملة اسمية والجملة الاسمية ذات فائدة

(٣٦) المخزومي ، في النحو العربي ص ٤١ - ٤٢ •

(٣٧) القزويني ، تلخيص المفتاح ص ٤٧ •

خاصة عرضنا لها ثم صدرت هذه الجملة بـ (كان) للدلالة على فترة من الزمن الماضي . فاذا ترشحت الدلالة الزمانية من قول السيد المخزومي (كان مرحاً) فانما حصل ذلك من مجيء الفعل (كان) وهي ما ندعوه بـ

• Exposant Temporel

ويمضي الدكتور المخزومي في هذا السيل فيثبت استمرارية الحدث في بناء (فاعل) وسائر الصفات ويمثل لذلك بـ : أمسى القمر تيماً ، وبات الجو غائماً ، واصبحت السماء صحواً ، وظل البرد متساقطاً .

ولا نعلم وجهاً لهذه الفعلية الاستمرارية في الكلمات : تيمَ وغائم وصحو ومتساقط وذلك لورود الافعال : أمسى وبات واصبح وظل في صدور الجملة المذكورة . واذا كان هناك استمرار فهو مستفاد من الافعال : أمسى وبات واصبح وظل ، وهذه الافعال تفيد هذه الفائدة ، واستمراريتهما محدودة بما تدل عليه من ظروف الزمان فكان « أمسى » من المساء و « بات » من الليالي او الليل و « أصبح » من الصباح و « ظل » من النهار (٣٨) .

ثم يمضي الدكتور المخزومي فيقول : وتستعمل صيغة (فاعل) للتعبير عن استمرار الحدث في الماضي بلا انقطاع حتى اللحظة الحاضرة ، وذلك مع (ما زال) و (ما انفك) و (ما فتى) و (ما برح) ، نحو ما زال الجو ملبداً ، وما انفكت النجوم متألثة ، وما فتى محمد ذاكر أخاه ، وما برح القوم ضاحكين .

اقول : ليست الاستمرارية في الماضي بلا انقطاع حتى اللحظة الحاضرة مستفادة من : (ملبد) و (متألثة) و (ذاكرأ) و (ضاحكين) فهذه المشتقات نعوت وصفت بها الاسماء المتقدمة ، وما الاستمرارية المحددة كما اشار اليها الزميل المخزومي الا من المواد الفعلية نحو : (ما زال) و (ما فتى) و (ما انفك) و (ما برح) .

(٣٨) ويبدو لي أن (ظل) لابد أن تكون من مادة (الظل) فربطوها بالنهار وان (بات) لابد أن تكون من الظرف المكاني وهو (البيت) لانه وثيق الصلة بالبيات .

المصدر :

ومن الابنية التي تستخدم استخدام الفعل (المصدر) وربما فات
الاقدمين ان يلحقوا هذه المادة بالفعل كما فعل الفراء في (فاعل) الذي
اطلق عليه (الدائم) •

ويعمل المصدر عمل الفعل في موضعين :-

أحدهما : ان يكون نائباً مناب الفعل نحو : « ضرباً زيداً » فزيداً :
منصوب بضرباً لنياسته مناب اضرب °

والموضع الثاني ان يكون المصدر مقدراً بأن والفعل ، أو بما والفعل ،
فيقدر بأن اذا أريد الماضي أو الاستقبال نحو : « عجبت من ضربك زيداً -
أمس أو غداً » والتقدير من أن ضربت زيداً ، أو من أن تضرب زيداً ،
ويقدر بما اذا أريد به الحال نحو « عجبت من ضربك زيداً الآن » التقدير :
مما تضرب زيداً الآن • واذا كنا قد لمحنا الفعلية في أبنية (فاعل) و (مفعول)
و (فاعل) ونحو ذلك جرباً على شيء مما ذهب اليه الكسائي والفراء ، فما
أحرانا أن نضيف الى هذه المواد الفعلية المصدر في حدوده التي أشار اليه
السابقون من النحويين •

فعل الأمر

وهو من المضارع بعد نزع حرف المضارعة • جاء في المفصل : « وهو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته صيغته الا ان تنزع الزائدة فتقول في تضع ضع ، وفي تضارب تضارب وفي تدحرج دحرج ونحوها مما أوله متحرك فان سكن زدت لثلاثا بتسديء بالساكن همزة وصل فتقول في تضرب اضرب ، وفي تنطلق انطلق ... » (١) •

وما ذهب اليه الزمخشري يمثل رأي البصريين اما الكوفيون فقد ذهبوا الى أنه معرب مجزوم بلام محذوفة وهي لام الأمر فاذا قلت اذهب فأصله لتذهب وانما حذفت اللام تخفيفاً وما حذفت للتخفيف فهو في حكم المملوظ به فكان معرباً مجزوماً بذلك الحرف المقدر • ويؤيد عندك انه مجزوم انك اذا امرت من الافعال المعتلة نحو يرمى ويغزو ويخشى حذفت لاماتها كما تفعل في المجزوم من نحو لينز وليرم وليخش (٢) •

وعلى هذا فان الأمر عندهم لا يكون قسيماً للمضارع والماضي كما سبق ان عرضنا لهذا الموضوع في غير هذا المكان •

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٥٨ •

(٢) المصدر السابق ص ٦١ •

قَدَمُ الْفَعْلِيَّةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

اختلف الاقدمون من النحويين واللغويين في موضوع أي الافعال اقدم من غيرها في العربية فقد قول جماعة بقدّم فعل الحال وذلك « لان الاصل في الفعل أن يكون خبراً والأصل في الخبر ان يكون صدقاً ، وفعل الحال ممكن الاشارة اليه فيتحقق وجوده ، فيصدق الخبر عنه ، ولان فعل الحال مشار اليه فله حظ من الوجود »^(١) . وعلى هذا فهي مرتبة على النحو الآتي : الحال ثم المستقبل ثم الماضي .

وذكر الزجاجي : « اعلم ان اسبق الافعال في التقدم الفعل المستقبل ، لان الشيء لم يكن ثم كان ، والعدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظر ، ثم يصير في الحال ثم ماضياً فيخبر عنه بالماضي . فاسبق الافعال في المرتبة : المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي »^(٢) .

وقد نقل السيوطي في الاشياء والنظائر ما ذكره ابو البقاء العكبري في (اللباب) فقال : « وقال قوم : الأصل هو المستقبل ، لأنه يخبر به عن المعلوم ثم يخرج الفعل الى الوجود فيخبر عنه بعد وجوده »^(٣) .

ويبدو من مجموع هذا ان هذه المسألة لا تخرج عن حدود الافتراضات التي ينقصها الدليل التاريخي . ثم ان هؤلاء الاقدمين يلجأون الى طرق

(١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٢ ص ٩ .

(٢) الزجاجي ، الايضاح في علل النحو ص ٥٨ .

(٣) السيوطي ، الاشباه والنظائر ج ٢ ص ٩ .

غير لغوية لاثبات ما يروونه من آراء • ألا ترى ان مسألة العدم وكونه سابقاً
للموجود لا يمكن ان يستفاد منها للوصول الى هذه المسألة اللغوية •

اما الباحثون المحدثون فليس لديهم من الوثائق اللغوية التاريخية ما
يعينهم على الأخذ بشيء مهم في هذه المسألة ، فقد ذكر نفر من الباحثين
المستشرقين ان فعل الأمر يمكن ان يكون الاصل القديم للفعل في العربية •
وهذا الرأي لا يختلف عن آراء الاقدمين في هذه المسألة التاريخية التي
تفتقر الى الدليل اللغوي • ثم ان المقارنة بين العربية واللغات السامية لا تعين
على الوصول الى شيء يطمأن اليه في هذا الموضوع •

بين الفعل والاسم

كثر الخلاف والجدل في كثير من المسائل اللغوية والنحوية بين البصريين والكوفيين ، وكتب الخلاف بين الفريقين حافلة بهذه المسائل واحتجاج كل من الفريقين لما يرى •

ومن مسائل الخلاف التي اختلف فيها البصريون والكوفيون مسألة الأصل الاشتقاقي القديم في العربية • يرى البصريون ان الاسم هو الأصل ، والفعل فرع عليه والكوفيون يخالفونهم فيما ذهبوا اليه وعندهم ان الأصل القديم هو الفعل والاسم فرع عليه •

والذي نعرفه مما ذكره ابو البركات ابن الأنباري في (الانصاف)^(١) ان الاسم لدى كل من الفريقين هو المصدر فالبصريون يرون ان المصدر سابق للفعل والكوفيون قد خالفوهم في هذا واعتمدوا الفعل أصلاً اخذ المصدر منه •

قال البصريون « ان المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين ، فكما ان المطلق اصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل » ، على ان الزجاجي يقول في « الايضاح » في هذه المسألة : « المصدر الحدث ، لان الحدث الذي أحدثه زيد ، ثم حدث عنه ، والفعل حديث عنه ، والحدث

(١) ابن الأنباري ، الانصاف (المسألة الثامنة والعشرون) •

سابق للحديث عنه «(٢)» .

اما الكوفيون فقد قالوا : ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ،
ألا ترى انك تقول : قاو قواماً فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقوم :
قام قياماً فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على انه
فرع عليه » .

ويتبين من هنا ان سبيل الاحتجاج لدى البصريين والكوفيين لا يمكن
ان يؤدي الى النتيجة التي اصحبت رأي كل من الفريقين في مسألة تأريخية
كان ينبغي ان تبحث على غير هذا النحو من الصيغة القائمة على المنطق .

والذي يبدو لنا ان هذه المسألة لدى البصريين والكوفيين لا يمكن
ان تكون مسألة خلاف ، وذلك لان المصدر والفعل مادة واحدة ، هي المادة
الفعلية التي لا بد ان تبحث بالقياس الى الاسم المنقطع للاسمية .

وقد رأينا ان المصدر يقتضي درجة في مادة الفعل وذلك لتوفر
الاصول الاولى فيهما . فكلاهما حدث وكلاهما مقترن بزمان ما . ولا نريد
ان نعود الى هذه المسألة التي اطلنا الكلام عليها .

اما الاسم الذي نقصده والذي يجب ان يكون مادة البحث في هذا
الموضوع فهو غير الحدث ويندرج في هذا اسماء الذات مما هو داخل في
اسماء الاعيان وما هو مرتبط بالطبيعة الحسية .

والاستقراء يدلنا على ان هذه الاسماء قد أمدت العربية بالمواد
الاشتقاقية مثل الافعال .

فاذا اعرضنا لاعضاء جسم الانسان بصورة عامة عرفنا أنها كانت مادة
أصيلة لكثير من الالفاظ . ومن هنا تنتقل من الحسي الى المعنوي كما تنتقل
من الحقيقة الى المجاز .

والنظر في المعجم العربي في اي من هذه المواد نحو (رأس) و (سن)

(٢) الزجاجي : الايضاح ص ٥٧ .

و (انف) و (عظم) و (فم) و (اذن) و (عين) و (صدر) و (ظهر)
و (ضلع) و (عضد) و (ساعد) و (بطن) و (يد) و (رجل) ونحو
ذلك معين للباحث المستقري على ان يتبع انتقال هذه الالفاظ الى اشياء
أخرى تؤلف في مجموعها مواد اشتقاقية من ضمنها الافعال •

ومن المسلم به ان المصدر وهو من اسماء المعاني داخل في ضمن هذه
المواد التي اخذت من هذه الاصول الحسية •

كما نستطيع ان نمضي في هذا السبيل فنطمئن الى ان عالم الحيوان
قد أمد العربية بالكثير من هذه المواد الاشتقاقية •

ومن الطريف المفيد ان تؤكد ان « الجمال » وما يتصل بها من الالفاظ
والمعاني مأخوذ من (الجمل) الحيوان المعروف الذي احبه العرب في باديتهم
القديمة فرأوا فيه الحيوان المتصف بالحسن • ومن ذلك الأناقة والتوق
وما يتصل بهما من الفاظ ، فهذه في مجموعها ذات صلة بالناقة الحيوان
المعروف •

ثم انك لابد ان تعقد الصلة بين (السنام) والفعل (تسنم) كما تعقدها
بين (الركب) والفعل (ركب) • وهكذا انت واجد في كثير من افراد
هذا العالم الحيواني مادة افادت منها العربية ثروة كبيرة انتقلت بها من
الحسي الى المعنوي ومن المحسوس الى المعقول ومن الاسم الى الفعل •

والذي يقال في عالم الحيوان يقال مثله في عالم النبات • كما ان سائر
ما اشتملت عليه الطبيعة الجغرافية من مظاهر ذو أثر في عربيتنا في هذا
الخصوص •

ومن هنا نعرف ان البصريين والكوفيين قد اختلفوا في هذه المسألة التي
لم تؤلف مادة للخلاف باقتصارها على الفعل والمصدر •

الأفعال الناقصة

المصطلح النحوي في العربية ثروة اصطلاحية ضخمة • وهو واسع
سعة نحو العربية في أصوله وفروعه وعلمه واحكامه • وهو مطابق للمنهج
النحوي الذي اخذ النحاة به أنفسهم ، مساير للاصول اللغوية والمنطقية
التي التزموا بها •

أقول : المنطقية لأن المنطق في احكامه ساد في العلم النحوي اللغوي •
ومهما قيل في ضبط هذا المصطلح ومطابقته للمادة النحوية فلا بد أن يكون
فيه شيء اطلق اعتباطاً ليس له من قاعدة قوية يقوم عليها • ومن هذا مصطلح
(الناقصة) للأفعال (كان) وطائفة أخرى مما اطلق عليها لفظ الاخوات
للفعل (كان) الذي جعلوه في رأس هذه الطائفة الفعلية •

وقد سميت هذه الافعال (الناقصة) لان الناقص في رأي جماعة من
النحويين الذي لا تتم الجملة معه الا بمرفوع ومنصوب^(١) • او الذي لم
يكتف بمرفوعه كما ذهب آخرون او الذي قد سلب الدلالة على الحدث
وتجرد للدلالة على الزمان^(٢) •

ولعل اهتمامهم بالاثار الذي يجلبه العامل وهو ما يدعى بالاعراب ،

(١) رضي الدين الاسترأبادي ، شرح كافية ابن الحاجب ج ٢ ص ٢٩٠
(طبعة الاستانة) •

(٢) الازهري ، التصريح على التوضيح ج ١ ص ١٩٠ (القاهرة
١٩٢٥) •

هو الذي سيطر على منهجهم في بحث هذه المسألة النحوية فقالوا : انها تدخل على المبتدأ والخبر فترفع الاول ويسمى اسمها وتنصب الثاني ويسمى خبرها •

اما القول بأن هذه الافعال قد سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للدلالة على الزمان ، فانه مبعد لهذه الافعال عن الفعلية التي تشترط الحدث في العربية وهذا يعنى ان الدلالة على الحدث عنصر جوهري في الفعل العربي ، ثم ان اقترانه بزمن ما يتعين بالابنية قليلاً ، وبالقرائن والمعاني والزيادات كثيراً أمر ثانوي • جاء في شرح المفصل : « ان الفعل وضع دليلاً على الحدث المقترن بالزمان والاقتران وجد تبعاً » (٣) •

وربما كان بسبب من هذا الفهم لهذه المواد التي سلبت الدلالة على الحدث واشارت الى الزمان اشارات غير واضحة محدودة في كثير من الاحيان ، ذهاب جماعة منهم الى ان هذه المواد وهي (كان وأخواتها) حروف وليست افعالاً كما عرض لذلك ابن الانباري في (اسرار العربية) فقال : لانها لا تدل على المصدر (الحدث) ولو كانت افعالاً لكان ينبغي ان تدل على المصدر ولما كانت لا تدخل على المصدر دل على أنها حروف » (٤) •

ومن أجل هذا جاء في شرح المفصل : « انها لا تدل على حدث بل تفيد الزمان مجرداً من معنى الحدث » (٥) •

والحقيقة ان هذه المواد لا تختلف عن سائر الافعال فهي احداث تدل على خصوصيات معنوية كما سنرى • جاء في « شرح الكافية » في هذا الموضوع : « وما قال بعضهم من أنها سميت ناقصة لأنها تدل على الزمان دون المصدر (الحدث) ليس بشيء ، لان « كان » في نحو « كان زيد قائماً » يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق وخبره يدل على الكون

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٣ •

(٤) ابن الانباري ، اسرار العربية (طبعة ليدن) ص ٥٥ •

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٩٧ •

المختص وهو كون القيام أي حصوله ، فجيء أولاً بلفظ دال على حصول ما ثم عين بالخبر ذلك الحاصل ، فكأنك قلت : حصل شيء ثم قلت حصل القيام ، فالفائدة في إيراد مطلق الحصول أولاً ثم تخصيصه كالفائدة في ضمير الشأن قبل تعيين الشأن على ما مر في باب مع فائدة أخرى وهنا وهي دلالة على تعيين زمان ذلك الحصول المقيد ، ولو قلنا : « قام زيد » لم يحصل هاتان الفائدةان معاً . فكان يدل على حصول حدث مطلق تقييده في خبره ، وخبره يدل على حدث معين واقع في زمان مطلق تقييده في « كان » لكن دلالة « كان » على الحدث المطلق أي الكون وضعية ، ودلالة الخبر على الانتقال ، وأصبح الدال على الكون في الصباح أو الانتقال ومثله أخواته ، و (مادام) الدال على معنى الكون الدائم ، و (مازال) الدال على الاستمرار وكذا أخواته ، و (ليس) الدال على الانتفاء ، فدالتهما على حدث معين لا يدل عليه الخبر في غاية الظهور ، فكيف يكون جميعها ناقصة بالمعنى الذي قالوه (٦) .

وإذا قيل : ان نقص هذه الأفعال بكونها لا تكفي بمرفوعها بل تتعدا إلى المنصوب فذلك لا يؤلف ما يدعو إلى هذه التسمية الاعتبارية ، وذلك لأن المتعدى من الأفعال هو الفعل الذي لا يكفي بمرفوعه بل يتعدى إلى المنصوب وهو المفعول به وقد يكون هذه الفعل متعدياً لأكثر من مفعول واحد ، وهذه الحالة في الأفعال الناقصة وهي مثلها سواء بسواء ذلك ان (كان) ونحوها لا تكفي بمرفوعها وتفتقر إلى المنصوب ، ومثلها (ضرب) ونحوه لا يكفي بمرفوعه بل لابد من المنصوب الذي يوقع عليه الحدث وهو الضرب .

ويبدو من هذا العرض ان مصطلح « الناقصة » لهذه الأفعال غير صحيح وإنما هي تسمية اعتبارية كما تدل على ذلك الآراء المختلفة التي قال بها الأقدمون للوصول إلى هذه التسمية .

ومن هنا فان هذه الأفعال لا تختلف عن أفعال العربية الأخرى في

(٦) رضي الدين الاستربابي ، شرح الكافية ج ٢ ص ٢٩٠ .

شيء من عناصر الفعلية وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما • ولا نستطيع سلب الحدث من هذه المواد فتصبح كأنها المواد الجامدة • وحقيقة الاستعمال لا تؤيد وجود هذه الصفة في هذه الأفعال •

والذي يجب أن نقوله في هذه الأفعال أنها تطورت في الاستعمال حتى صارت لا تكتفي بفاعلها كما هي الحال فيما اسموه بـ (كان) التامة التي يتضح فيها الحدوث فقد قالوا : قيل لها تامة لدالتها على الحدث نحو قولك كان الأمر بمعنى حدث ووقع ، ويقال : « كانت الكائنة » أي : حدثت الحادثة ومنه قولهم : « المقدور كائن » المراد : ما يقضيه الله ويقدره كائن ، أي حادث وواقع لاراد له • ومنه قوله تعالى : « كن فيكون » أي : احدث فيحدث ، وكذلك قوله تعالى : « الا ان تكون تجارة » أي تقع تجارة (٧) •

أقول تطورت في الاستعمال فانتقلت من هذه الصورة القاصرة المكثفة بفاعلها الى شيء آخر يفتقر الى المنصوب المكمل للمعنى الذي يقتضيه المعنى الجديد • وبسبب من هذا الافتقار أرادوا ان يجعلوها مخالفة لمجموع افعال العربية فاخترعوا هذه التسمية •

وكأنهم وجدوا في عزل هذه الأفعال بسبب مما يأتي بعدها حيرة وعدم اطمئنان فراحوا يشبهونها بسائر الأفعال فاسموها النواسخ أي الناسخة للمبتدأ والخبر • وقالوا ايضاً « الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ تشبيهاً له بالفاعل ويسمى اسمها حقيقة وفاعلها مجازاً وتنصب خبره تشبيهاً له بالمفعول ويسمى خبرها حقيقة ومفعولها مجازاً لانها اشبهت الفعل التام المتعدي لواحد » • وهذا الاتجاه هو الذي سار فيه المتأخرون من النحويين دفعاً لما كان يساورهم من دلالة المصطلح (الناقص) واطلاقه على هذا النحو من الاعتباط •

وقد سبق هؤلاء المتأخرين جماعة الكوفية من النحويين المتقدمين الذين

(٧) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٩٧ - ٩٨ •

بدا لهم شيء من التزيد والاصطناع في مذهب السابقين الاوائل من بصريين وغيرهم فأرادوا ان يقولوا بعدم اختلاف هذه الافعال عن سائر افعال العربية فقالوا ان خبر كان واخواتها منصوب على الحالية المكملة للمعنى وهي بذلك مما تقتصر اليه هذه الافعال كما تؤخذ من أقوالهم : الافعال الناقصة ما لم يتم كلاماً الا بحال « (٨) » .

ويشير ابو البركات ابن الانباري في « الانصاف » الى هذه المسألة من مسائل الخلاف وذلك لان الكوفيين اعترفوا ان هذه الافعال دالة على الكون وهو حدث ، مسندة الى مرفوعها وهو فاعل ، لا تنفك عن منصوبها وهو حال .

وقد رد البصريون مقالة الكوفيين بقولهم : « ولا يجوز ان يقال انه لو كان نصباً على الحال لما جاز ان يقع معرفة في نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك ، والحال لا تكون معرفة . فرد الكوفيون : انا نقول : انما جاز ذلك لان (اخاك) و (غلامك) وما اشبه قام مقام الحال ، كقولك : ضربت زيدا سوطاً ، فان « سوطاً » ينتصب على المصدر وان كان آلة لقيامه بمقام المصدر الذي هو ضربه ، وكذلك ها هنا . على انه قد جاءت الحال معرفة في قولهم : « أرسلها العراك ، وطلبته جهديك وطاقتك ، ورجع عوده على بدئه الى غير ذلك فدل على صحة ما ذهبنا اليه » (٩) .

وللاستعمال قوة وسلطان في جميع اللغات . وقد كان بسبب من الاستعمال الطويل أن تحولت هذه الافعال من مجرد الدلالة على الحدث وهو الكون العام كما في (كان) والكون المقيد كما في سائر افعال هذا الباب الى أن يتقيد هذا الكون العام بما اسماء اولئك خبراً وهؤلاء حالاً .

وبسبب هذا العمل أي مجيء اسم مرفوع متلوأ بآخر منصوب بعد هذه الافعال حشروا جملة من الافعال في باب واحد اسموه الناسخة للابتداء وهي مختلفة في معانيها فبعضها يتصرف تصرفاً تاماً وهو (كان) ، وبعضها

(٨) الموفي في النحو الكافي ص ١٢٢ .

(٩) ابن الانباري ، الانصاف ج ٢ ص ٤٩٠ .

يتصرف تصرفاً ناقصاً نحو « أضحى » و « أصبح » و « ظل » و « بات »
و « كاد » و « اوشك » وغيرها ، وبعضها لا يتصرف نحو : « طفق »
و « حرى » و « اخلولق » و « كرب » •

أما من حيث المعاني فهي مختلفة كذلك ، فمنها ما يفيد الكون العام نحو
(كان) ، ومنها ما يفيد الكون المقيد بزمن مخصوص نحو امسى واصبح
ونحوها ، ومنها ما يفيد الاستمرار نحو : مازال وما دام وما انك وما برح
وما فتىء ، ومنها ما يفيد المقاربة نحو : كاد وكرب واوشك ومنها ما يفيد
الرجاء نحو عسى وحرى واخلولق ، ومنها ما يفيد الشروع وهى جملة
افعال منها : طفق واخذ وجعل وقام وشرع ونحوها ، ومنها ما يفيد التحول
والصيورة نحو : صار وجعل وصير وأصبح وامسى وبات واضحى •

وفي هذه الاشتات نجد اختلافاً في المعاني واختلافاً في الاستعمال كما
سنتبين ذلك • غير ان النحويين قد اخذوا انفسهم بمسألة العامل والعمل
وما يجلبه هذا العامل من أثر في الكلمات اي (الاعراب) ومن أجل
ذلك ادخلوا ما يعمل عملاً متشابهاً في باب واحد غير مهتمين بكثير مما يجعل
هذه المواد متباعدة مختلفة •

ومما هو جدير بالملاحظة والاشارة اليه ما سمي بأفعال المقاربة وهى :
كاد ، كرب ، اوشك ، وما سمي بأفعال الرجاء وهى : عسى ، حرى ،
اخلولق ، وما سمي بأفعال الشروع وهى : طفق وجعل وقام واخذ وبدأ
وغير هذا مما يستعمل في هذا المعنى •

ويجمع بين هذه الافعال المختلفة في الدلالات كون خبرها فعلاً مضارعاً
وقد ورد الخبر اسماً منصوباً وهو قليل نادر كما قال ابن مالك في خلاصته :

ككان كاد وعسى لكى ندر غير مضارع لهذين خبر

كما في قول الشاعر :

فأبت الى فهم وما كدت آثماً وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

والذى تجب ملاحظته في اخبار هذه الافعال (١) ان يجي مقترناً بـ
(أن) دائماً كما في حرى • واخْلَوْلِقْ نحو حرى محمد ان يسافر •
واخْلَوْلِقْ المطر ان يسقط (١٠) •

(٢) ان يغلب اقتران الخبر بـ (أن) كما في عسى واوشك نحو :
عسى ربكم ان يرحمكم • واوشك الجدار ان ينقض •

(٣) ما يترجح مجرد خبره من (أن) وهو : كاد وكرب نحو قوله
تعالى : اكاد أخفيها •

وقول الشاعر :

• • • • • وقد كَرَبْتُ اعناقها ان تقطعها

(٤) ما يمتنع اقتران خبره بـ (أن) وهو افعال الشروع نحو قوله
تعالى : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » •

وقول الشاعر :

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني ثوبي فانهبض الشارب الثمل

ومجيء خبر هذه الافعال فعلاً مضارعاً مسبوقاً بأن احياناً أوقع النحويين
في حيرة فماذا يقولون ؟

قالوا : كاد المريض يشفى • الخبر هو الجملة من الفعل (يشفى)
والفاعل الضمير المستتر في محل نصب • فاذا ارادوا ان يعربوا عسى محمد
ان يقوم اتبعوا الاسلوب نفسه واغفلوا مسألة (أن) اغفالا يكاد يكون تاماً
وذلك خوفاً من القول انها مصدرية واذا كانت مصدرية فان الخبر هو
المصدر المؤول ولا يمكن ان يكون المصدر المؤول في هذه الافعال خبراً
لئلا يخبر عن (زيد) وهو اسم ذات بالمصدر وهو اسم معنى •

(١٠) من المفيد ان نلاحظ اننا لم نستطع استقراء هذين الفعلين فيما
نملك من نصوص لغوية ، ولذلك فهما فعلان لا وجود لهما الا في كتب النحو
التقديم ومن غير شك انهما من البقايا اللغوية المتحجرة التي هجرت في الاستعمال
فلزمت هذه الصورة لا تتعدها فلم تتصرف كما قالوا •

غير أن بعض النحويين قال : ان الخبر هو المصدر المؤول واحترز
من الوقوع في هذه المشكلة باللجوء الى تأويلات مكدوبة مصطنعة وما اكثر
ما يلجأ النحويون الى شيء من ذلك حين يحزبهم أمر من الامور المشكلة
فقالوا في « عسى محمد ان يقوم » عسى امر محمد القيام ، وفي هذا افتئات
على اللغة والمعاني وبذلك يتم لهم الاخبار عن اسم المعنى باسم المعنى وذلك
بتقدير مضاف محذوف هو اسم (عسى) الحقيقي كما ادعوا •

وقد حملوا هذه الافعال على (كان) وتوهموا انها تعمل عملها مع
العلم ان الخبر هو ابدأ فعل مضارع فقالوا ان هذا الفعل المضارع كان حقه
ان يكون اسماً مفرداً فكأن الاصل قد رفض وعدل عنه الى الفرع وهو
الفعل المضارع الشبيه بالاسم •

وربما اتخذوا من مجيء الخبر اسماً في النادر من الشواهد دليلاً على
ان اخبار هذه الافعال وان كانت افعالا مضارعة فحقها ان تأتي اسماء مفردة
واذا كان هذا الافتراض فهي كغيرها من الافعال الناسخة للابتداء اي
الناقصة •

والى مثل هذا ذهب النحويون كما جاء في « شرح المفصل » قال : « كان
صاحب الكتاب لما قرر ان الفعل يرتفع بوقوعه موقع الاسم اعترض على
نفسه بقولهم « كاد زيد ان يقوم » وجعل يضرب وطفق يأكل » فان هذه
الافعال مرتفعة في هذه المواضع ولا يستعمل الاسم فيها فلا يقال : كاد زيد
قائماً ، وطفق آكلآ ، وجعل ضاربآ ، ثم أجاب عن ذلك بأن قال « الأصل
في كاد زيد يقوم » ان يقال : قائماً ، وفي « جعل يضرب » ضارباً ، وفي
« طفق يأكل » آكلآ ، وانما عدل عن الاسم الى لفظ الفعل لغرض « (١١) » •

ومن هذا يتبين أنهم تعسفوا ما شاءوا ليقولوا ان هذه الافعال المضارعة
واقعة في حيز جمل والجملة في محل نصب خبر واذا كانت الاخبار منصوبة
فهي مثل (كان) •

(١١) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ١٣ •

ولا تستطيع قبول هذه الاساليب المعقدة فتحمل هذه الافعال على افعال لا تقاربها في الاستعمال . ومن هنا نخلص الى انها افعال يليها مرفوعها متلوا بفعل مضارع مرفوع لم يهتد النحاة الى اقراره في مكانه فقالوا : هو في جملة الخبر ، وقالوا : هو مفعول به أو شيئاً بالمفعول به ، أو بدل اشتمال . جاء في شرح الكافية :

وقيل المقترن بأن مشبه بالمفعول به وليس بخبر كخبر كان حتى يلزم كون الحدث خبراً عن الجثة . وذلك لان المعنى الأصلي : قارب زيد ان يخرج اي الخروج . . « (١٢) » .

ويتبين من هنا أن الحاق هذه الأفعال بـ (كان) من حيث العمل أمر لم يطمئن اليه النحويون الاولون ، فهي على ما نقل الرضي كسائر الافعال التامة وليس من باب الافعال الناقصة الناسخة للابتداء .

والى مثل هذا ذهب الكوفيون جاء في شرح الكافية : « وقال الكوفيون ان (ان يفعل في محل الرفع بدلا مما قبله بدل الاشتمال كقوله تعالى : (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) الى قوله : (ان تبروهم) اي : لا ينهيكم الله عن ان تبروهم . قال الرضي : والذي أرى ان هذا وجه قريب فيكون في نحو (يا زيدون عسى ان تقوموا) قد جاء بما كان بدلا من الفاعل مكان الفاعل ، والمعنى أيضا يساعد على ما مذهبوا اليه ، لان « عسى » بمعنى يتوقع فمعنى عسى زيد أن يقوم : أي يتوقع ويرجى قيامه » (١٣) .

اما ابن هشام فانه يقول : « والقول الثاني انها - اي : عسى - فعل متعد بمنزلة (قارب) معنى وعملا ، أو قاصر بمنزلة قرب من ان يفعل ، وخذف الجار توسعاً وهذا مذهب سيويوه والمبرد » (١٤) .

(١٢) رضي الدين الاستربادي ، شرح الكافية ٢ ص ٣٠٢ .

(١٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٣ .

(١٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ .

ويتبين من هنا ايضا أنهم اختلفوا في هذه الافعال وفي عملها وقالوا
في الفعل المضارع عدة أقوال ، واختلفهم يؤيد ما نذهب اليه من عدم
صحة حملها على (كان) في العمل •

غير ان القول بان المضارع مفعول به أو شبيه به أو بدل راجع الى
ان هؤلاء المخالفين في جعله واقعاً في جملة في محل نصب خبر ، أرادوا
بمقالتهم وضعه في مكان ما ووسمه بشيء من مفردات النحو •

اما نحن فلا نحس فيه شيئاً مما يمكن ان يسمى مفعولاً به أو شبيهاً
به أو بدلاً وذلك لان « اوشك » و « كاد » و « عسى » ونحو ذلك ، ان
كانت معانيها « قارب » و « قرب » فهي غيرها في اللفظ وتفسيرها بهذين
الفعالين اجتهد في سبيل حمل هذا المضارع على مادة من المواد النحوية
فتعتبر متعددة مرةً ولازمة أخرى ليتيم لهم الوجوه الاعرابية •

ولهذه الافعال طرق في الاستعمال تقوم على التقديم والتأخير
كأن يقال : « عسى ان يقوم زيد » وفي هذه الجملة يكون « ان والفعل »
عندهم في مقام الفاعل وهي عندئذ كسائر الافعال •

اقول : ان استعمال « عسى » على هذا النحو لا يختلف في المعنى
عن الاستعمال المشهور في كتب النحو وهو : « عسى زيد ان يقوم » وليس
من المعقول ان يتردد « عسى » بين النقصان والتمام بسبب من تقديم وتأخير •

ليس

وبسبب العمل الواحد وهو عدم الاكتفاء بالرفوع أو قل : إن هذا المرفوع أو إن هذه الأفعال جميعها مفتقرة الى ما اسموه بـ الخبر المنصوب ، أقول بسبب من هذا كله ضموا مواد مختلفة في دلالاتها الى بعضها وجعلوا من تلك الاشتات المتنافرة باباً واحداً اسموه النواسخ • وقد عرضنا لهذا الموضوع فينا أفراد هذه الأشتات التي أقيمت في مكان لم تستقر فيه •

ولعل من الغريب أن يحشر بين هذه المواد الدالة على الإيجاب مادة « ليس » وهي على النقيض من هذه المجموعة ، فهي من المسائل التي ينبغي أن تكون في مبحث النفي •

ويبدو أن الاولين كانوا في تردد بسبب هذه المسألة فقد كانت عندهم مترددة بين الحرفية والفعلية ، فذهب الجمهور الى أنها فعل ، وذهب الفارسي - في أحد قوليهِ - وابو بكر بن شقير - في أحد قوليهِ - الى أنها حرف^(١) • ان هؤلاء كانوا على حق في تردددهم حمل هذه المادة على سائر الأفعال التي اشبهت (كان) في العمل •

ويحسن بنا في بحث هذه المادة أن نطالب بإبعادها من المكان حيث وضعها النحاة وجعلها في باب المواد التي تنفي • هذا من حيث وظيفتها في

(١) شرح ابن عقيل (نشر محمد محي الدين بن عبد الحميد القاهرة (١٩٣١) ج ١ ص ١٣٧ •

الكلام • أما من حيث بناؤها وأصلها التاريخي فشيء آخر يبعدها عن اللحاق بهذا الشئيت من الأفعال التي (تعمل عمل كان)^(٢) •

يرى الخليل أنها مركبة من « لا أيس » فطرحتم الهمزة والزمتم اللام بالياء^(٣) • وهو قول الفراء أيضا والدليل على ذلك قول العرب « ائتني به من حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو »^(٤) •

أما غير الخليل من البصريين فقد قالوا بخلافه ، فذهب ابن السراج الى أنها حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب ابو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم^(٥) •

أما القول بفعاليتها فهو كثير ، قال ابن سيده : « ليس كلمة نفي » وهي فعل ماضٍ وأصلها ليس بكسر الياء^(٦) •

وذهب ابن هشام الى أنها فعل لا يتصرف ، وزنه (فعل) بالكسر ، ثم التزم تخفيفه ، وقال : « ولم نقدره (فعل) بالفتح لانه لا يخفف ، ولا (فعل) بالضم ، لانه لم يوجد في يائي العين »^(٧) •

وقول العرب « ائتني به من حيث ايس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك أن ايس يعنى الوجود و « ليس » يعنى عدم الوجود •

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا ، فالمادة « يش » في اللغة العبرانية تفيد الوجود • ولعل « شيء » في العربية تذهب الى ما تذهب اليه نظيرتها العبرانية • ومثل هذه المادة (ايث) في الآرامية وكل هذا يفيد الوجود • وقد ركبت هذه المادة مع « لا » فجاء من هذا المركب ما يصلح ان يكون نفي الوجود • والى مثل هذا ذهب بر كستر اسر المستشرق الالماني

(٢) انظر « دراسات في اللغة » ص ٥٥ •

(٣) لسان العرب مادة « ليس » •

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة « ليس » •

(٥) ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ٢٢٧ (حرف اللام) •

(٦) لسان العرب ، مادة ليس •

(٧) ابن هشام ، مغنى اللبيب ج ١ ص ٢٢٧ •

في محاضراته الموسومة بـ « التطور النحوي »^(٨) .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « آيس » .
فقولهم « آيس » للدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب لكلمة « ايش » السامية التي وجدت في العبرانية في هذا المعنى ، وقد تحجرت في العربية في جمل معدودة مقيدة في كتب اللغة بقولهم « آيس » . فكأن « ليس » « لا آيس » أي أنها من « لا ايش » ومعناها « لا شيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت « ليس »^(٩) .

(٨) بر كشتراسر ، التطور النحوي ص ١١١ .

(٩) ولا بد للباحث في « ليس » ان يعرض لـ « لات » وهي من أدوات النفي التي احقها النحويون بـ (ليس) للتشابه بالعمل .
وقد عدل النحويون التاء في هذه المسألة فقال بعضهم : انها للتأنيث ، وقال آخرون : انها للمبالغة . ولا نخرج من كلا القولين بفائدة فهي ليست للتأنيث لانها متحركة كما انها ليست للمبالغة لان فكرة المبالغة غير حاصلة فيها . ولم يفتنوا الى تركيبها ، كما لم يفتنوا الى تركيب « ليس » فهي مركبة من (لا ايت) فصارت في العربية (لا ايت) ثم تحولت الى (لات) .

« كان » ووظيفتها

عرضنا في الفصل السابق لهذا الفعل فرأينا أنه لم يختلف عن سائر الافعال في اشتماله على الدلالة على الحدث وفي اقتران الحدث فيه بزمان ما ، وقد لاحظنا أنها استعملت كثيراً في العربية حتى ركبت مع الافعال الأخرى للتوصل الى خصوصية في التعبير مرتبطاً بزمان خاص .

وكان بسبب من استعمالها الكثير أن تطورت فانتقلت من طور الاكتفاء بمرفوعها الى طور آخر ، وهو أنها مع مرفوعها تفتقر الى وصف آخر .
واذا كان سيئنا هذا هو الاستقراء لوصف كلام العربية وكيف عرضت فيه المواد النحوية فليس لنا نحن - اهل هذا العصر - أن نحيد عن هذا المنهج العلمي .

ذكر النحاة الأقدمون ان « كان » ترد زائدة وذلك في مواضع : تزداد بين الشئيين المتلازمين كالمبتدأ والخبر نحو : زيد كان قائم ،
والفعل ومرفوعه نحو : لم يوجد كان مثلك ،
والصلة والموصول نحو : جاء الذي كان أكرمه ،
والصفة والموصوف نحو : مررت برجل كان قائم .
ولا نستطيع ان نطعن الى زيادة « كان » في هذه التراكيب الضعيفة التي اصطنعها النحويون أمثلة ولم يستقروها في كلام صحيح فصيح .
وقالوا : وانما تنقاس زيادتها بين « ما » وفعل التعجب كقول الشاعر :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره

وقد سمعت زيادتها بين الفعل ومرفوعه كقولهم : « وَلَدَت فاطمة بنت الخُرْشُب الأُمارية الكلمة من بني عبس لم يوجد كان أفضل منهم » ، وقالوا : وسمع زيادتها بين الصفة والموصوف كقوله :

فكيف اذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

والبيت للفرزدق من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك وقيل يمدح سليمان بن عبد الملك • وورد البيت على هذا النحو من التركيب ومجيء « كان » فيه وهو من شعر الفرزدق ، أمر مفيد من الناحية اللغوية التاريخية • وشذ زيادتها بين حرف الجر ومجروره وانشد القراء :

سراة بنى أبى بكر تسامى على كان المسومة العراب

واكثر ما تزداد بلفظ الماضي ، وقد شذت زيادتها بلفظ المضارع في قول ام عقيل بن ابي طالب :

أنت تكون ماجد" نيل اذا تهب شمال بليل

ولم يكن من سبب الى القول بزيادتها في هذا البيت من الرجز الا مجيئها غير ناصبة لـ « ماجد » وهو خبر « أنت » كما يقولون ، فلما لم يكن هذا لم يجدوا الا القول بزيادتها •

وحقيقة الأمر أن الفعل (تكون) في البيت غير زائد ، وهو شيء حسن وضعه في مكانه ليستقيم البيت حقه في الوزن الشعري ولان فيه الدلالة على الحدث وهو الكون العام •

وقد اتخذ الدكتور المخزومي من البيت الاخير مادة استعان بها على ان الجملة العربية كانت تتضمن في استعمالاتها القديمة لفظ الاسناد ، معبراً عنه بفعل الكينونة ، ولكنه انقرض في الاستعمال الشائع ، وبقي له آثار احتفظت بها بعض الشواهد التي يستشهد بها النحاة على زيادة (كان) كقول (الشاعرة) :

أنت تكون ماجد نيل اذا تهب شمال بليل

فالكلمة (تكون) - كما يقول الاستاذ المخزومي - عند النحاة زائدة

هنا ، لانها لم تجر جريان (كان) في الاستعمال من رفع الاسم ونصب الخبر ، وهى - فيما ازعم - فعل الكينونة الذى يدل على الاسناد^(١) .
وقد قدم صاحب هذا الرأي لما نقلناه قوله في باب (الجملة) : وليس في العربية غالباً من لفظ يدل على الاسناد . كما في غيرها من اللغات الهندية الاوربية مثل (أست) في الفارسية ، و (is) في الانكليزية ، و (est) في الفرنسية ، و (ist) في الالمانية وغيرها . . .

أقول : اذا كانت المقارنة أو الموازنة سييلا في الدرس ومنهجاً علمياً اتبع فيما أسموه بـ (النحو المقارن) فان هذا يحسن اذا وجهنا النظر نحو اللغات السامية التي تضم لغات عدة منها العربية ، وبذلك يتم لنا الفصل في كثير من المسائل المشككة في النحو العربي .

وليس من العلم ان نضع بين ايدينا ما نجده في لغات لا تمت الى العربية بسبب فاذا كانت اللغات الهندية والاوربية تتضمن لفظاً يقوم عليه العقد أو الاسناد التحوي هو فعل الكينونة كما جاء في كلام السيد المخزومي ، فان ذلك لا يقتضي ان يكون شيء منه في العربية ليم الاسناد ولتقوم الجملة كما قامت في تلك اللغات .

والمعروف من الناحية التاريخية ان العربية قد خلت من مثل هذه الالفاظ في الجمل الاسمية كما خلت من ذلك سائر اللغات السامية .
وما اظن ان البيت المنسوب لام عقيل بن ابي طالب وهى ترقص ابنها عقيلاً شيء مما يقي من لفظ الاسناد كما توهم السيد المخزومي ، وقد اسلفت القول في منزلة الفعل (تكون) في البيت .

ولابد من الكلام على الشواهد النحوية ، فهي في الكثير الغالب ابيات من الشعر ، ولغة الشعر لغة خاصة يرتكب فيها الشاعر ما يرتكب ليم له الوزن وليدخل في عدة من الالفاظ ينتظمها بيت واحد قولاً ذا فائدة أو فكرة معينة . ومن أجل هذا فان لغة الشعر ليست اللغة القويمة السهلة الواضحة التي نجدها في النثر .

(١) المخزومي ، في النحو العربي ص ٣١ - ٣٢ .

ونستطيع ان نحصي من شواهد الشعر مادة كثيرة ضعيفة اللغة سقيمة التركيب • وللنحاة ولع بالتمسك بهذه الشواهد الضعيفة واتخاذها مادة ، أو قل انهم بنوا القواعد النحوية عليها وهي قول شاعر اضطره الوزن أو اضطرته القافية الى ارتكاب ما تجنبه في سائر شعره أو ما تجنبه النائر ولم يجبر به لسان •

ثم اذا عرفنا ان من الشواهد ما قيل : انه موضوع ولم يقله قائل وربما صنعه النحوي في مختبره في علاجه للكيمياء النحوية • وفي الحق ان شيئاً من أساليب النحويين لم يخدم النحو واللغة وهو أقرب الى ما يصنعه علماء الطبيعة في مخابريهم • ولا بد من العود الى رجز أم عقيل بن ابي طالب :

أنت تكون ماجد نبيل اذا تهب شمال بليل

وهذا على نحو ما تنسده الامهات وهن يرقصن اطفالهن • وطبعي الا يكون بيت يقال في مثل هذا شيئاً كبيراً يعتنى في لغته فيجىء على ما هو شائع معروف • أقول : ربما يحدث في مثل هذا الأدب الشعبي ما يخالف النمط المشهور من كلام العربية •

والبيت في دلالة ومعناه يؤيد ما نسمعه من الأدب الشعبي ولا سيما ما كان من ذلك ذا صلة بالاولاد الصغار •

يتخذ الدكتور المخزومي من بيت آخر دليلاً الى ما يذهب اليه من ورود لفظ الاسناد معبراً عنه بـ (كائن) بين طرفي الجملة الاسمية وهو :

وما كل من يبدي البشاشة كائناً اخاك اذا لم تلقه لك منجدا

يقول المخزومي : فكائناً هنا - فيما أزعم - استعملت لتؤدي الغرض الذي أشرت اليه ، وليس لوجودها فائدة أخرى ، وان جرت مجرى (كان) في نصبها الخبر : (اخاك) •

ولو قيل : وما كل من يبدي البشاشة أخوك أو أخ لك لما فقد الكلام شيئاً من معناه او دلالة (٢) •

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ •

أقول : كأن السيد المخزومي يريد أن يقول : ان الكلام يستقيم من دون (كائن) ولو قيل : وما كل من يبدي البشاشة أخوك لما فقد الكلام شيئاً •

إذاً فان الاسناد يتم دون لفظ الاسناد (كائن) كما توهم السيد المخزومي وعلى هذا فلا أرى أن يكون في (كائن) شيء من لفظ الاسناد أو بقية باقية مما توهم صاحب الرأي وجودها في العربية القديمة •

ثم أعود فأقول : ان الشاعر لم يأت بـ « كائن » الا لمستوي له عدة الفاظ البيت المبني على وزن معلوم ، وان معناه يستقيم بالاستغناء عنه في لغة النثر كما ذهب الى ذلك الدكتور المخزومي في تعليقه على البيت •

ومن هنا نخلص الى ان (كان) فعل له مقام خاص في بناء الجملة العربية وانه كان كغيره من الافعال في توفره على الحدث المقترن بزمان ما ثم آل به الاستعمال الى شيء آخر وهو أن مرفوعه صار مفتقراً الى وصف آخر ما أسماء الاقدمون (الخبر) حيناً و (الحال) حيناً آخر •

الفعل والأساليب الخاصة

نقصد بالأساليب الخاصة التي يؤلف الفعل المادة فيها أسلوب التمجيد
واسلوب المدح والذم •

أقول ان قولهم : « ما أحسن زيداً » و « احبب زيد » أسلوب للتعجب
فان بهذا التركيب يتوصل الى التعجب من حسن زيد ومن حبه •

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها أسلوب من أساليب الكلام
لكانوا في غنى عن الذهاب في متهاتات بعيدة عن العلم اللغوي •

فسر النحويون « ما أحسن زيداً » بـ « شيء أحسن زيداً أي جعله
حسناً ، وما اظن ان التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة فهي كما قالوا
جملة خبرية في حين أن أسلوب التعجب « انشاء » •

ولم يصلوا الى هذا التفسير الا ليحلوا المشكلة الاعرابية ، فان (ما)
عندهم نكرة تامة بمعنى شيء ، وهي مبتدأ ولم استطع أن اهتدي الى هذه
النكرة والى تمامها والى تأويلها بشيء ، ثم لم استطع الاهتداء الى كونها مبتدأ •
ألا ترى أن (ما) هذه لا صلة اسناد لها بما بعدها من جملة التعجب اذ لا
يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا •

وقد بدت حيرتهم في (ما) هذه فقال الاخفش : انها موصولة وتأويل
الكلام « الذي أحسن زيداً شيء عظيم » ومعنى ذلك ان الخبر محذوف •
وما اظن أن أسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة •

وذهب بعضهم الى أنها استفهامية والجملة التي بعدها خبر عنها

والتقدير « أي شيء أحسن زيداً ؟ وما أظن أن اسلوب الاستفهام يفيد التعجب ، وهذا لم يقله الا النحوي المتبلد الذهن الذي لا يميز بين اسلوبين مختلفين كل الاختلاف •

وقد ذهب بعضهم الى انها نكرة موصوفة والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيداً عظيم » • وهذا قول متهافت بادضعفه •

ومن هذا العرض يتبين أنهم لم يحاولوا بحث هذا الاسلوب الذي يعبر به عن التعجب فقد شغلوا بالاعراب وكان أصلح للعربية والنحو العربي أن يقتصر في هذا التركيب على القول بان ذلك اسلوب التعجب الذي يتألف من « ما » التعجبية •

متلوة ب (فعل) على أفعل أو ب (اشد ونحوها) متلوة بالمصدر في حالات أخرى سطرها النحاة فيما كتبوا •

وأن هذا « الفعل » من الأفعال الخاصة غير المتصرفة التي جاء بناؤها لتكون مادة صالحة للاعراب عن التعجب •

ومثل هذا تقول في « احبب بزيد » فهو اسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخولها وبذلك يتم هذا الاسلوب المشار اليه •

قلت : ان النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من اجزاء هذا الاسلوب فقد اختلفوا في فعلية أو اسمية هذه المادة ولا نريد ان نعرض لاقوال كل من الفريقين أما الذي نريد ان نقرره فان (أفعل) و (أفعل) من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة ففارقت التصرف وابتعدت عن قبول علامات الأفعال ، وذلك لانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث وترشحها لزمان ما لتؤدي اسلوب التعجب • وكنا قد رأينا مثل هذه الأفعال التي تحجرت على صورة ما لتؤدي معنى خاصاً وهي عسى وكرب وحري واخلولق •

ولا بد ان نختم هذا الفصل لنشير الى قلق النحويين وعدم الثبت مما

ذهبوا اليه فقد قالوا : ما أجمل به ، وأجمل به والهاء عندهم مفعول به في الجملة الأولى وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائدة •
ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك الى الاختلاف في اعتبار المتعجب منه من الناحية النحوية • وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان اليها •

ومن هذه الأساليب اسلوب المدح والذم ويعبر عنه بمادة (نعم) للمدح و (بش) للذم و (جذاً) للمدح و (لا جذاً للذم) وهذه المواد من الافعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان للدلالة على المدح أو الذم في اسلوب خاص كما في « نعم الولد زيد » و « بش المرأة هند » •

وقد كان النحويون الاقدمون في حيرة من هذه بسبب اعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين ان « نعم » و « بش » فعلا ن بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما • وذهب جماعة من الكوفيين - ومنهم الفراء - الى أنهما اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليهما نحو قولهم : والله ما هي بنعم الولد • ورد قول الكوفيين بالتخريج النحوي المشهور في كتب النحو •

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص انصريحة وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه •

والفاعل في هذه الجملة أما يكون محلى بالالف واللام ، وقالوا في هذه اللام : انها للجنس حقيقة أو مجازاً كما قالوا : انها للعهد وذلك كما في قوله تعالى : (نعم المولي ونعم النصير) •

واما أن يكون هذا الفاعل مضافا الى ما فيه (أل) كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » •

واما ان يكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز • وجاءوا بالمثل : « نعم قوماً معشره » ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « معشر » مبتدأ ، وزعم بعضهم أن « معشره » مرفوع بـ « نعم » وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : ان « قوماً » حال وبعضهم : انه تمييز •

وهذا الاختلاف في اعراب « قوماً » و « معشره » دليل على ان هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : انهم لم يهتدوا اليها اهتداءً كافياً ، فهي اما أن تكون كذا أو كذا أو كذا • وقولهم : ان في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز النكرة شيء ملفق مصطنع ، ذلك ان الضمير لا يستعمل الا حيث كان مسبوقاً باسم ظاهر ، والطبيعي ان يذكر الظاهر ثم يعود عليه ضميره •

واذا قالوا : « نعم الولد زيد » فان « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو انه خبر الجملة قبله مبتدأ كان التقدير « زيد نعم الولد » •

أو انه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد المدح » •

وهكذا انصب اهتمام النحويين على اعراب هذه الاجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن أسلوب المدح والذم •

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة الصحيحة واكثروا من الاعتماد على الامثلة التي اصطنعوها هم انفسهم نحو : نعم الرجل زيد وبش الرجل عمرو ، ونعم رجلاً زيد ، وبش رجلاً عمرو ، ونعم غلام القوم زيد وبش غلام القوم عمرو ، ومثل هذا النمط من الامثلة لم نعرفه في لغة التنزيل ، وذلك ان « نعم » وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات يرد هذا الفعل مسنداً الى مرفوعه ولم يرد ما اسموه بالمخصوص بالمدح وهو « زيد » كما في قولهم « نعم الرجل زيد » •

والآيات التي وردت فيها نعم هي على النحو الآتي :

رقم الآية	السورة	
١٣٦	آل عمران	ونعم أجر العاملين
١٧٣	آل عمران	وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
		وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم
٤٠	الانفال	النصير
٢٤	الرعد	سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
٣٠	التحل	ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين

رقم الآية	السورة	
٣١	الكهف	نعم الثواب وحسنت مرتقفا
٧٨	الحج	واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير
٥٨	العنكبوت	نعم أجر العاملين
٧٥	الصفات	ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون
٣٠	ص	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب
٤٤	ص	انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب
٧٤	الزمر	فنعم أجر العاملين
٤٨	الذاريات	والارض فرشناها فنعم الماهدون
٢٣	المرسلات	فقدرونا فنعم القادرون
		وقد وردت « نِعِمًا » في آيتين هما :
٢٧١	البقرة	ان تبدو الصدقات فَنِعِمًا هي
٥٨	النساء	ان الله نِعِمًا يعظكم به

ومثل « نعم » جاءت « بئس » في لغة التنزيل الكريم وليس فيها الا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة • ولنعرض للآيات التي جاءت فيها « بئس » وهي على النحو الآتي :

١٠٣	البقرة	ولبئس ما شروا به انفسهم
٢٠٦	البقرة	فحسبه جهنم ولبئس المهاد
١٢	آل عمران	ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد
١٥١	آل عمران	ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
١٦٢	آل عمران	ومأواهم جهنم وبئس المصير
١٨٧	آل عمران	واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون
١٩٧	آل عمران	ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
٦٢	المائدة	لبئس ما كانوا يعملون
٦٣	المائدة	لبئس ما كانوا يصنعون

رقم الآية	السورة	
٧٩	المائدة	لبئس ما كان يفعلون
٨٠	المائدة	لبئس ما قدمت لهم أنفسهم
١٦	الانفال	ومأواه جهنم وبئس المصير
٧٣	التوبة	ومأواهم جهنم وبئس المصير
٩٨	هود	فأوردتهم النار وبئس الورد والمورود
٩٩	هود	بئس الرفد المرفود
١٨	الرعد	ومأواهم جهنم وبئس المهاد
٢٩	ابراهيم	جهنم يصلونها وبئس القرار
٢٩	التحل	فلبئس مثوى المتكبرين
٢٩	الكهف	يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقفا
٥٠	الكهف	بئس للظالمين بدلا
١٣	الحج	لبئس المولى ولبئس العشير
٧٢	الحج	وبئس المصير
٥٧	النور	ومأواهم النار ولبئس المصير
٥٦	ص	جهنم يصلونها وبئس المهاد
٦٠	ص	فبئس القرار
		ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
٧٢	الزمر	المتكبرين
		ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
٧٦	غافر	المتكبرين
٣٨	الزخرف	يألت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
١١	الحجرات	بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
١٥	الحديد	مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير
٨	المجادلة	حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير
٥	الجمعة	بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله

رقم الآية	السورة	
١٠	التغابن	اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
٩	التحریم	ومأواهم جهنم وبئس المصير
٦	الملک	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير
		وقد وردت (بئسما) في ثلاث آيات هي :
٩٠	البقرة	بئسما اشترؤا به انفسهم
٩٣	البقرة	قل بئسما يأمرکم به ایمانکم
١٥٠	الاعراف	بئسما خلفتموني من بعدي

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » وللآيات التي وردت فيها « بئس » ان الحاجة لم يشغلوا انفسهم بشيء كثر في لسان العرب بل اهتموا بمسائل لم ترد الا قليلاً وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم • غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يعد النموذج الصحيح للعربية في هذه الفترة التاريخية • ونخلص من ذلك ان « زيداً » المذموم و « عمراً » المدحوح لم يكونا في هذه اللغة القويمة على النحو الذي ورد في كتب النحو •

ثم جاء النحاة الى (حبذا) و (لا حبذا) لافادة المدح والذم فقالوا في المدح : (حبذا زيد) ، وفي الذم : (لا حبذا زيد) •
ومن ذلك قول الشاعر :

ألا حبذا أهل الملا غير أنه اذا ذكرت مَيّ فلا حبذا هيا

وشأنهم في (حبذا) و (لا حبذا) شأنهم في (نعم) و (بئس) فقد اختلفوا في اعرابهما كما اختلفوا في « نعم » و « بئس » •

ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف - وزعموا انه مذهب سيويه الى ان « حَبَّ » فعل ماض و « ذا » فاعله ، واما المخصوص : فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي المدحوح أو المذموم زيد •

وذهب المبرد ، وابن السراج في الأصول ، وابن هشام اللخمي

- واختاره ابن عصفور - الى أن « حبذا » اسم ، وهو مبتدأ ، والمخصوص خبره ، أو خبر مقدم والمخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا اسماً واحداً .

وذهب قوم - منهم ابن درستويه - الى أن « حبذا » فعل ماض و « زيد » فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلنا فعلاً .

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة « حبذا » وفعليتها واسميتها ، وما ذلك الا للفصل في كل جزء من اجزاء الجملة التي تقع فيها « حبذا » وإيقاعه في موقع اعرابي خاص . واختلفهم هذا في حقيقة هذه الافراد التي تتكون منها جملة « حبذا » دليل على انهم قلقون في اعتبار هذه الاساليب الفعلية الخاصة لافادة غرض خاص هو المدح .

أما القول في اسمية « حبذا » و « لا حبذا » فهو شيء يستبعد في جملة (حبذا) وذلك لان هذا المركب جاء لافادة اسلوب المدح ، وافادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وان لفظ « حب » هو الفعلية ولكن الذي ابعدها عن الفعلية الصريحة تركيبها مع « ذا » ولا يعنى هذا التركيب انها انتقلت من فعل الى اسم . غير أن من المناسب ان نقول : ان هذه الالفاظ افعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة فتفرغت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للاعراب عن اسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح أو الذم ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك ان الافعال قصد من تحولها الى الجمود ، وتركيبها مع (ذا) افادة للمدح أو الذم ، وافادة هذا الاسلوب يعنى أنه من جملة الاساليب الانشائية ، ولا تستقيم هذه الاساليب مع الزمن الماضي .

أما القول بأن « ذا » فاعل فليس بسديد أيضاً ، وذلك ان تركيب « حب » مع « ذا » جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن ان تنصرف « حبذا » الى جملة . ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره « حبذا » كلمة واحدة . ثم ان « حب » لم يتضح لنا انها اسندت الى « ذا » فيؤدي هذا الاسناد الى حصول فائدة ما .

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب كلمة واحدة مال
المعربون في عصرنا هذا الى اشتقاق فعل من هذا المركب هو « حَبَّذَ » بمعنى
استحسن وفضل • واذا كان هناك فعل بوزن « فَعَّلَ » فلا بد أن يكون من
ذلك سائر الافعال والمشتقات الاخرى نحو : يُحَبِّدُ وَحَبَّذَ وَتَحْيِيزُ وَحَبَّزَ
وغير ذلك •

وبعد فان هذه الالفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهها خاصاً للتعبير عن
فن من فنون القول • ومن المفيد ألا تدخل هذه في اختلاف النحويين وجدلهم
فتضيق في مناهات الفاعل وضمير الظاهر ، والمبتدأ وخبره المحذوف أو الخبر
ومبتدئه المحذوف • وان محاولتهم في ايجاد هذه المسميات في هذه الجمل
التي افادت التعجب والتي افادت المدح أو الذم اضاعة للغرض الذي أطلقت
من أجله •

ومن المفيد أيضاً ان نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم
فنجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن
كونها حياة يحياها المعربون • ومن هنا يكون من مفاهيمنا أن اللغة ليست
وسيلة يعبر بها عن الفكر ، بل اللغة هي الفكر في حركاته وسكناته وهي
الفكر مكتوباً أو منطوقاً به •

وأعود فأقول ان دعوات أصحاب التيسير يجب ان تكون دعوات مفيدة
فتيسر وتنبذ ما ليس من طبيعة اللغة ، وان يكون النحو الجديد مادة تصف
اللغة وصفاً بعيداً عن تحليل أو تأويل ، وبذلك يتم لاصحابنا القائلين بالتيسير
والداعين اليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد •

وقد تقول : ان النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من
تراثنا فماذا نحن صانعون به ان اخذنا بآراء أهل التيسير التي تتنكر لكثير
من العلم النحوي القديم ؟

ونجيب عن هذا السؤال فنقول : ان النحو القديم وهو من تراثنا الذي
نجله ونقدره قدره ينبغي ان يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسها
ونفهمه بأصوله وفلسفته وعلمه واحكامه ومناهجه التي اخذوا انفسهم بها
وادی بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وثانوية • والذي نعرفه أن العلوم

كافة تخضع للتطور والتجديد ، فالفلسفة الحديثة غير الفلسفة في القرون الوسطى وغيرها في أيام الاغريق • والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات فالذي كان مقبولا في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولا في أيامنا • ومثل هذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك •

ثم ان الدراسات النحوية في اللغات الاوربية الحديثة تذهب في هذا السبيل فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحو جديد مبني على الاستقراء والوصف للنصوص الفصيحة الموروثة دون التكرر للغات الحديثة وما جد فيها من التطور في الأصوات وفي تركيب الجمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة • على ان لهذه اللغات نحو قديم يقبل عليه الدارسون المعنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك الى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه •

ومن الخير للعربية وابنائها ان نجرى في هذا السبيل لتأخذ بالاسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة •



المتعدي واللازم

لم أرد من الكتابة في هذا الفصل الا لأقرر جديداً أو أخالف رأياً جاء به الأولون أو أقول ما أراه فيما بدا لبعض المحدثين أن يقول في هذا الباب • الأفعال في العربية قسمان : متعدي : وهو ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى الى المفعول نحو ضرب وأخذ •

ولازم : وهو ما يكتفي بمرفوعه نحو : قام وقعد وفرح وعظم • ومن الافعال ما لا يكتفي بمرفوعه بل يتعدى الى شيء آخر وذلك بوساطة حرف النجر نحو : رغب فيه أو عنه ، وذهب به • وهذا الصنف من الأفعال أدرجه النحويون في باب « اللازم » وكان حقه ان يكون صنفاً خاصاً •

ثم انهم أشاروا الى طائفة من الأفعال لا تنصب مفعولاً واحداً بل تنصب مفعولين ، كما أشاروا الى طائفة أخرى تنصب ثلاثة مفاعيل • وسنقول في حقيقة نصب المفعولين والمفاعيل الثلاثة •

ولم يهتم النحويون الاقدمون بالناحية التاريخية في هذه الأفعال وتطورها ، ولكنهم قدموا المتعدي في الذكر على اللازم وهذا قد يوحي لنا أنهم احصوا المتعدي فوجدوه أكثر من اللازم ، وهذا سبيلهم ابداً في مباحثهم اللغوية النحوية فهم يقدمون الاكثر على الأقل • وعلى هذا فان التقديم بالذكر لا يعني ابداً عندهم ان المتعدي اسبق من اللازم من الناحية التاريخية اذ ان هذا النوع من الدرس لم يخطر لهم ببال •

وقد بدا للدكتور مصطفى جواد في كتابه « المباحث اللغوية في العراق »

ان يرى رأيا في هذا الموضوع فيقول :
« وهذا تعدى الأفعال ولزومها لم يقل فيها أحد منهم » ان الاصل في
الأفعال التعدى لان الحياة على اختلاف انواعها وتباين طرائقها تعتمد على
التعدى ، وان اللزوم عارض طارئ ، وعلى هذا تكون الافعال التي يكثر فيها
اللزوم مثل : « فرح يفرح » والتي يغلب عليها اللازم مثل : « سهل يسهل »
حديثه الوجود بالنسبة الى غيرها من ضروب الثلاثي المجرد ، ويكون المضرب
الذي خالف هذين الوزنين من الأفعال اللازمة مثل « دخل وخرج ونام » من
باب العلاج الذاتي محدوداً بحيث يكاد يكون معدوداً ^(١) . وهذا الرأي
مما انفرد به الدكتور مصطفى جواد ولم يقل به غيره من المعنيين بالمشكلات
اللغوية .

أقول : لو ان الدكتور مصطفى جواد ذهب الى هذا الرأي بعد وقوفه
على وثائق لغوية أفادها مما وقف عليه في استقرانه الوافي أو مما سجله
الباحثون في اللغات السامية لكان له ان يقول بهذا الرأي ، غير أنه ذهب الى
رأيه المشار اليه بحجة « أن الحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها تعتمد
على التعدى » ولست أدري ما المقصود بالحياة على اختلاف أنواعها وتباين
طرائقها ؟ ثم ما علاقة اختلاف الحياة وتباين طرائقها بمسألة لغوية تاريخية ؟
ثم ما المقصود بالحياة القائمة على التعدى ؟ وما التعدى هذا وما طبيعته
وحقيقته ؟ اظن أن هذه العبارة الغامضة لا تصلح ان تكون دليلاً على اثبات
حقيقة لغوية تاريخية ، والحقائق اللغوية التاريخية لا يستدل عليها الا بالدليل
المادي .

وعلى هذا فان « اللزوم عارض طارئ » على رأي الدكتور مصطفى
جواد اعتماداً منه على قلته فهو غالب في باب (فعل يفعل) المضموم العين
وفي باب (فرح يفرح) المسكور العين في الماضي مفتوحها في المضارع .
واذا كان اللازم عارضاً طارئاً فكأن الفعل متعدٍ في أصله ثم يصار من ذلك
الى اللازم ويبقى بعد ذلك طائفة قليلة أخرى معدودة محدودة تدخل في

(١) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ٧ .

صنف اللازم وهي نحو : دخل وخرج ونام وهي من « باب العلاج الذاتي » •
أقول : ان قلة اللازم في العربية ومجيئه على ابنية محدودة كالتى
اشار اليها الاستاذ الجليل لا يمكن ان تجعل من هذا الفعل « عارضاً طارئاً »
والذي أراه ان الفعل أصله قاصر لازم ثم يصار من هذه الحالة الى
المتعدي وذلك جرياً على طبيعة العربية المتشبهة ابدأً بالايجاز • والايجاز
صفة الكلام البليغ ، ألا تراهم قالوا : « البلاغة الايجاز » •
والتوفر على الايجاز هو الذي حمل المعربين ان يتخففوا من احرف
الجر في كثير من الأحيان والشاهد النحوى القديم :

تمرون الديار ولم تعوجوا • • • • •

دليل على هذه الخفة المطلوبة قصداً في الايجاز وبهذا انتقل الفعل
(مرّ) من التعدي بالحرف الى التعدي المباشر • وما أظن ان الحفاظ على
الوزن الشعري حمل الشاعر على هذا ، فلو كان كذلك لكان في وسعه ان
يتخلص من هذه المشكلة بالذهاب الى صيغة الماضي ليسلم له الوزن وليعدي
الفعل بالباء فيقول :

مررت بالديار • • • • •

والمعلوم ان طائفة من الافعال تقتضي حرف جر خاص ومن ذلك
الفعل (دخل) فهو في الكثير الغالب يتعدى بـ « في » للتوفر على الظرفية
فالدخول لابد ان يكون في ظرف حقيقي أو مجازي • اما الكائنون في ذلك
الظرف فانه يتوصل اليهم بـ (على) كما ستبين •

وفي لغة التنزيل ايضاح لهذا التطور الذي طرأ على الفعل دخل
من حيث التعدي واللزوم •

قال تعالى : ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا •

وقال تعالى : ادخلي في عبادي وادخلي جنتي •

وقال تعالى : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا •

وقال تعالى : وقد دخلوا بالكفر وهم خرجوا به •

وقال تعالى : وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه •
 وقال تعالى : وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة •
 وقال تعالى : ام حسبتم ان تدخلوا الجنة •
 وقال تعالى : ولن ندخلها حتى يخرجوا منها •
 وقال تعالى : كلما دخلت أمة لعنت اختها •
 وقال تعالى : فان لم تكونوا دخلتم بهن •
 وقال تعالى : ولما يدخل الايمان في قلوبكم •
 وقال تعالى : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة •
 وقال تعالى : ولو دُخِلَتْ عليهم من اوطارها •
 وأنا اجتريء بهذا القدر من آيات الله الكريمة التي جاء فيها الفعل
 « دخل » وهي تبلغ سبعا وسبعين آية •

ومن المفيد ان نلاحظ في هذا العدد الكبير من الآيات ان الفعل
 « دخل » جاء فيها متعدياً كثيراً ولازماً قليلاً • أما اللازم فقد تعدى الى
 مفعوله بحرف الجر « على » ان كان الدخول على « الأناسي » ، وبحرف
 الجر « في » ان كان الظرف الذي يصار اليه معنوياً كما في قوله تعالى :
 « يدخلون في دين الله »

وقوله تعالى : « ادخلي في عبادي » • وقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا
 ادخلوا في السلم كافة •
 أو ان كان الداخل أمراً معنوياً فالتعدية بـ (في) أيضاً كقوله تعالى :
 ولما يدخل الايمان في قلوبكم •

وقد يعدل عن حرف « في » الى « الباء » التي تستعمل في موضعها
 كثيراً نحو قوله تعالى : وقد دخلوا بالكفر •
 وقد تلتزم (الباء) ان كان الدخول خاصاً كدخول الرجل بزوجه
 نحو قوله تعالى : فان لم تكونوا دخلتم بهن •
 أما مجيء هذا الفعل متعدياً الى مفعوله بصورة مباشرة فكثير جداً في
 لغة التنزيل • والذي نلاحظه أنه جاء كذلك كلما كان الظرف الذي يصار
 اليه حقيقياً كقوله تعالى : أم حسبتم ان تدخلوا الجنة •

ومعنى هذا ان الفعل يتعدى باسقاط حرف الجر « في » وذلك لظهور الظرفية التي يشير اليها الحرف بوجود ما هو ظرف حقيقة نحو : الجنة والبيت والمحراب والمدينة والمسجد والقرية ونحو ذلك • واسقاط الجار في هذه الآيات بعد أن اتضحت الظرفية أمر يستدعيه الايجاز الذي جرت عليه العربية •

ومسألة نزع الخافض في العربية وانتصاب الاسم بعد سقوط الجار شيء يشير الى ان الأصل في الافعال اللزوم ثم يتخفف في الاستعمال فيصبح الفعل متعدياً وقد مثلوا قوله تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » • والتقدير « اختار من قومه » •

ومثل « دخل » الفعل « أتى » فقد ورد كثيراً جداً في لغة التنزيل وهو في أغلب الآيات متعدٍ الى المفعول مباشرة نحو قوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى » •

وقوله تعالى : « فأتت به قومها تحمله » •

وقوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » •

وقوله تعالى : « أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد » •

كما ورد لازماً قليلاً جداً وذلك كما في قوله تعالى :

هل أتى على الانسان حين من الدهر •

وقوله تعالى : لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً •

وقوله تعالى : هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم

بسلطان •

وقوله تعالى : ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة •

كما ورد لازماً مكتفياً بمرفوعه قليلاً أيضاً نحو قوله تعالى :

« ولا يفلح الساحر حيث أتى » •

وقوله تعالى « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » •

ومثل هذين الفعلين الفعل (جاء) فقد ورد متعدياً الى مفعوله مباشرة

في آيات كثيرة ، كما ورد متعدياً الى مفعوله بحرف الجر « الباء » في آيات

قليلة معدودة وقد اكتفى بمرفوعه في آيات قليلة أخرى •

وورود اللزوم في هذه الشواهد القرآنية على هذا النحو من القلة مدعاة للنظر • ومعنى ذلك ان هذا اللزوم بهذه القلة يشير الى الأصل الذي درجت العربية على التخلص منه باسقاط الحرف طلباً للخفة واخذاً بالايجاز •

قال ابن يعيش فأما : « دخلت البيت » فقد اختلف العلماء فيه ، هل هو من قبيل ما يتعدى الى مفعول واحد أو من اللزوم وسبب الخلاف فيه استعماله تارة بحرف جر ، وتارة بغيره نحو : دخلت البيت ودخلت الى البيت ، والصواب عندي أنه من قبيل الأفعال اللازمة وانما يتعدى بحرف الجر نحو : دخلت الى البيت ، وانما حذف منه حرف الجر توسعاً لكثرة الاستعمال • والذي يدل على ذلك ان مصدره يأتي على (فعول) نحو الدخول ، و (فعول) في الغالب انما يأتي من اللزوم نحو : القعود والجلوس ، ••• « (٢) » .

ويبدو أن اسقاط الجار أمر واضح في الأفعال التي تتعدى الى مفعولين • والتعدي الى المفعولين من باب التوسع في الكلام فاذا قيل : « اعطيت زيدا درهماً » فان الدرهم هو المعطى الى « زيد » وكأن التقدير « اعطيت الى زيد درهماً » •

جاء في « شرح المفصل » : وأما ما يتعدى الى مفعولين فهو على ضربين : احدهما : ما يتعدى الى مفعولين ويكون المفعول الاول منهما غير الثاني • والآخر : ان يتعدى الى مفعولين ويكون الثاني هو الاول في المعنى • فأما الضرب الاول فهي أفعال مؤثرة تنفذ من الفاعل الى المفعول وتؤثر فيه نحو قولك :

« أعطى زيد عبدالله درهماً » و « كسا محمد جعفرأ جبة » فهذه الأفعال قد اثرت اعطاء « الدرهم » في « عبدالله » و « كسوة الجبة في جعفر » ولا بد ان يكون المفعول الاول فاعلاً بالثاني ألا ترى انك اذا قلت : اعطيت زيدا درهماً ، فزيد فاعل في المعنى لأنه آخذ الدرهم وكذلك كسوت زيدا

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٦٣ •

جبة ، فزيد هو اللابس للجبة •

ومن هذا الباب ما كان يتعدى الى مفعولين الا انه يتعدى الى الاول بنفسه من غير واسطة ، والى الثاني بواسطة حرف الجر ثم اتسع فيه فحذف حرف الجر فصار لك فيه وجهان ، وذلك نحو قولك : « اخترت الرجال بكرأ » وأصله من الرجال ، قال الله تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » أي من قومه « ومنه : استغفرت الله ذنباً أي : من ذنب •
قال الشاعر :

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

ومن ذلك : سميته زيد ، وكنيته بابي بكر ، فانه يجوز التوسع فيه بحذف حرف الجر بقولك : سميته زيداً وكنيته أبا بكر^(٣) •

ويتبين مما جاء في « شرح المفصل » ان مسألة تعدى الفعل الى مفعولين غير حاصلة في الواقع فالمفعول الاول للافعال : اعطى وكسا ومنح ليس في الحقيقة مفعولاً فالمفعول الحقيقي هو الدرهم والجبة والثوب اما زيد ومحمد وجعفر فهم المتسلمون لهذه الاشياء : المعطى والكسوة والمنوح •

اما الافعال الاخرى نحو : استغفر واختار فلا تتعدى الى المفعول الثاني الا بحرف الجر ثم توسع فيه فحذف حرف الجر فصار الفعل متعدياً لاثنتين • ونستطيع ان نذهب في الافعال الاخرى التي تنصب مفعولين اصلهما مبتدأ وخبر وهى : حسب وظن وخال وعلم ورأى ووجد وزعم • فاذا قلت : ظننت زيداً عالماً فكأن التقدير : ظننت العلم في زيد وهكذا في سائر الافعال فالمفعول الثاني هو المفعول الحقيقي ، اما المنصوب الاول فهو شيء يبعد المفعولية المباشرة وانما توسع في التعبير فانصب •

يقول ابن يعيش : فهذه الافعال المفعول الثاني من مفعوليهما هو الاول في المعنى ، ألا ترى ان زيداً هو الاخ في قولك : حسبت زيداً أخاك وكذلك سائرهما^(٤) غير ان النحاة اعتبروا هذه الافعال داخلة على الجملة

(٣) المصدر السابق •

(٤) المصدر السابق ص ٦٤ •

الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر فنصبها ولم يلتفتوا الى أن الفعل لا يمكن ان ينصب مفعولين ونصب المفعولين كما ورد في كتبهم هو ضرب من التوسع ولا يعقل ان يوقع الفعل على اسمين ايقاعاً واحداً •

اما ما ذهبوا اليه من الافعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل وهى : أعلم وأرى وانبأ ونبأ واخبر وحدّث • فهى تتعدى الى مفعول واحد هو المفعول الثانى اما المفعول الاول فقد انتصب توسعاً وذلك باسقاط حرف الجر اما الثالث فهو نعت للمفعول الثانى نحو : أعلمت زيداً الخبر صحيحاً •

وفي هذا يقول ابن يعيث : « فاذا قلت : انبأت زيداً خالداً مقيماً ، فالتقدير « عن خالد » لأن « انبأت » فى معنى « أخبرت » والخبر يقتضى « عن » فى المعنى فهو بمنزلة « امرتك الخير » والمراد « بالخير » لان الفعل فى كل واحد منهما لا يتعدى الا بحرف جر ، فاذا ظهر حرف الجر كان الأصل ، واذا لم يذكر كان على تقدير وجوده واللفظ به ، لان المعنى عليه ، واللفظ محجوج اليه ، وليس ذلك كالباء ولا كمن فى قولك : « ليس زيد بقائم ، وما جاءني من أحد » لان اللفظ مستغن عنهما فادخلوهما زائدين لضرب من التأكيد ، فاذا لم يذكر لم يكونا فى نية الثبوت ، وليس كذلك (عن) فى قولك : « اخبرت زيداً عن عمرو » لان حرف الجر هنا دخل لان اللفظ محجوج اليه ، فاذا حذفته كان فى تقدير الثبوت اذ لا يصح اللفظ الا به مع ان (عن) لم ترد قط الا بمعنى يحجوج الكلام اليه فاذا وجدناها فى شيء ثم فقدناها منه علمنا أنها مقدرة «^(٥)» •

وبعد هذا العرض الوافى تبين لنا ان الفعل قاصر مكثف بمرفوعه نحو كرم زيد ، وحسن عمرو ، وقام بكر •

ولازم يتعدى الى مفعوله بحرف جر ثم يتوسع فى هذا طلباً للخفة والايجاز سيراً مع العربية التى جرت على هذه الناحية فصارت سمة من سمات البلاغة • وبهذا كانت لنا الافعال التى تتعدى الى مفعولها من غير حرف جر •

(٥) المصدر السابق ص ٦٧ •

وهذا هو التطور اللغوي في استعمال الفعل من لازم الى متعدٍ ،
وبذلك كثر المتعدى في الافعال وقل اللازم وانحصر في ابنية خاصة فان
الغالب في « فعل ، مضموم العين قاصر مكتف بمرفوعه ، وكذلك « فعِل »
الدال على الصفات والاعراض نحو فرح وجزع •

ولابد أن نختم هذا الفصل بدليل آخر ، هو ان كثيراً من الافعال جاء
في العربية واستعمل متعدياً بنفسه أو بحرف الجر • ومن المعلوم أن
التعدى بحرف الجر يكون لفائدة كان يقع الفعل على المفعول بتسلط أو
علو ، من المعلوم ان الحرف الذي يأتي لهذا الغرض هو (على) نحو :
علاه وعلا عليه ، وقبضه وقبض عليه وعضه وعض عليه ، واحتواه واحتوى
عليه ، وداسه وداس عليه ، ووطئه ووطئ عليه ، وركبه وركب عليه ،
وحضنه وحضن عليه ، واشتمله واشتمل عليه ، وحواه وحوى عليه ،
واحتذاه واحتذى عليه ، وغلبه وغلب عليه ، وهذه الافعال مما استشهد به
الدكتور مصطفى جواد في كتابه « المباحث اللغوية »^(٦) •

وعقب على هذه الافعال بأخرى تدل على حركة ودفع مما وهي
تعدى بانفسها أو بحرف الجر « الباء » نحو : أدى الشيء وأدى به ودفعه
ودفع به ، ورماه ورمى به وحذفه وحذف به ، والقاء وألقى به ، وأحاله
وأحال به ، وطوّحه وطوّح به وأذاعه وأذاع به وأهواه وأهوى به
وادلّاه وادلّى به •

ومنها جواز تعدى الفعل (فعِل يفعل) لغير العيوب والاعراض
بنفسه وبحرف الجر مثل « أمن منه وأمنه ، وخاف منه وخافه وخشي منه
وخشيه وأنف منه وأنفه ، وسّم منه وسّمه ، وفرق منه وفرقه ، وظفر به
وظفّره ، وعلم به وعلمه ، ولحق به ولحقه ، وضجر منه وضجره •

ومن هنا يتبين ان حرف الجر (على) جاء لفائدة ومع حصول الفائدة
به كما أشرنا وهي وقوع الفعل على المفعول بتسلط أو علو ، فان العربية
قد استغنت عنه طلباً للخفة والايجاز واخذاً بالتوسع الذي أدى اليه الاستعمال

(٦) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ٤٣ - ٤٤ •

الكثير • ومعلوم ان الفعل الذى يتعدى بحرف الجر (على) كان لفائدة ومن هنا كان هو الأصل والتعدى المباشر هو فرع عليه • وان افعال الطائفة الاخرى تعدت بالباء لفائدة أشير اليها ثم صقلت في الاستعمال طلباً للايجاز فتعدت مباشرة •

ومن المفيد أن ننقل الشواهد المفيدة التي استقراها الدكتور مصطفى جواد في استعمال الفعل (الف) وتعيده الى مفعوله دون حرف الجر (من) والفائدة التي حصل عليها من حذف الجر في هذا الفعل واشباهه • قال الاستاذ مصطفى جواد في تعليقه على الفعل (الف) :

••• ولذلك لم يكن من الصواب تخطئة الشيخ ابراهيم اليازجي حين قال : « هذا أمر يأنفه الكريم » وذلك بقوله « والصواب : يأنف منه » وقد جاء من هذا قول لسان الدين بن الخطيب :

قالوا لخدمته دعاك محمد فانفتها وزهدت في التنويه^(٧)
وتابعه اسعد خليل داغر وقال في الكلام على « يستكفه ويستكف منه » ، « ويرتكبون هذا الخطأ نفسه في الفعل « أنف » فيقولون : أنف مجاراتهم في هذا الامر • • والصواب : أنف من مجاراتهم^(٨) • وقد قدمنا شبه القاعدة العامة فلا خطأ في تعديده بنفسه •

قال يزيد بن الحكم الثقفي :

تنبو بداء اذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد^(٩)
وقال وهب بن الحارث :

لا تحسبني كأقوام عبثت بهم لن يأنفوا الذل حتى يأنف الحمر^(١٠)

(٧) اليازجي ، لغة الجرائد ص ٢٦ (طبعة مطبعة مصر بالقاهرة) •

(٨) اسعد داغر ، تذكرة الكاتب ص ٧٩ •

(٩) الجاحظ ، الحيوان (تحقيق عبدالسلام هرون) ج ٣ ص ٤٥ •

(١٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠١ •

وقال ابن زيدون :

ما عذابي من سابق يأنف المر بط في العنق منه والتطهيم^(١١)

وقال قاموس بن وشمكير :

ولى نفس حر تأنف الضيم مركباً وتكره ورد المنهل المترنق^(١٢)

وقال كمال الدين ابن النبيه في مدح الخليفة الناصر لدين الله « ٥٧٥-٦٢٢هـ »:

أنفت صوارم الجفون فاصبحت بالنصر في قمم الخوارج تغمد^(١٣)

فهذه شواهد من قديم الشعر ومولده ومتأخره تثبت جواز استعمال « انف » متعدياً بنفسه ، فاتفق السماع والقياس ، هذا وان حذف حرف الجر من جملة هذا الفعل وامثاله معدود في البلاغة ، لان شروط البلاغة الايجاز^(١٤) . انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد . ومن المفيد أنه أنهى شواهد فآشار الى ان الحذف مطلوب للايجاز ومعنى هذا ان الأصل هو التعدى بالحرف اي اللزم ثم يصار من ذلك الى المتعدى بنفسه للغرض المشار اليه .

(١١) ديوان ابن زيدون ص ٥٢ .

(١٢) معجم الادباء ج ٦ ص ١٤٨ .

(١٣) ديوان ابن النبيه ص ٤ بيروت ١٢٩٩هـ .

(١٤) جميع هذه النقول من « المباحث اللغوية ص ٤٥ » .

صيغة ما يسمى بالمجهول من الأفعال

وهو كما يقول النحاة : ما استغني عن فاعله فاقيم المفعول مقامه واسند اليه معدولا عن صيغة (فَعَلَ) الى (فُعِلَ) ويسمى فعل ما لم يسمَّ فاعله^(١) نحو : ضُرِبَ زيدٌ فان « زيد » هو المضروب ولكنه في هذه الجملة متحدث عنه كما نقول في « قام زيد » فالتحدث عنه هو زيد • ومعنى هذا ان بناء « فُعِلَ » يقتضى اسناده الى مرفوعه والمرفوع مسند اليه كما يسند (قام) الى (زيد) وزيد مسند اليه •

واذا اقصينا في بحث البناء للمجهول من حيث علاقته بمرفوعه وهي علاقة اسناد في كثير من الأفعال ، كنا قد ساوينا بين نائب الفاعل والفاعل وعلى هذا فان « ضُرِبَ زيد » مثل « قام زيد » من حيث أن « زيدا » في كلتا الجملتين مسند اليه •

وقد لمح النحاة الاقدمون شيئا من هذا فقد جاء في شرح الكافية : « ان ما يسمى بالنائب عن الفاعل عند عبدالقاهر والزمخشري فاعل اصطلاحاً »^(٢) •

على ان الكثير من النحويين لم يذهبوا هذا المذهب فقد اشاروا الى ان الفاعل ونائبه سواء من حيث ان كليهما مرفوع ، وان كلاهما اسند اليه فعل ، ولكنهم لم يغفلوا كون النائب عن الفاعل مفعولا به في الاصل •

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ٦٩/٧ •

(٢) الرضي الاسترأبادي ، شرح الكافية ج ١ ص ٧١ •

جاء في « الكتاب » : « هذا باب الفاعل الذي لم يتعد فعله الى مفعول ، والمفعول الذي لم يتعد اليه فعل فاعل ، ولا تعدى فعله الى مفعول آخر ، فالفاعل والمفعول في هذا سواء ، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل ، لانك لم تشغل الفعل بغيره ، وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل » (٣) •

أقول : ان بناء (فُعِلَ) اي ما سمي بالمجهول بناء كسائر ابنية الفعل يصار اليه في حالات عدة وذلك (١) اذا وقع الفعل على الفاعل واتصف به وهو بذلك كأنه صادر منه وهذا يحدث في ابنية كثيرة فيها المجرد وفيها المزيد فاذا قلت سقط الجدار ومات زيد لم يكن الجدار فاعلاً للسقوط بالمعنى الحقيقي وكذلك مات زيد فان (زيد) ليس فاعلاً حقيقة ولكنه فاعل في الاصطلاح النحوي ومثل هذا « انكسر الزجاج » فالزجاج ليس فاعلاً حقيقة ولكنه فاعل في الاصطلاح النحوي • ومن هنا يبدو ان « كُسِرَ الزجاج » جملة فيها الفعل مبنياً على « فُعِلَ » وهذا البناء من حيث علاقته بالاسم المرفوع لا يختلف في شيء عن الأفعال المذكورة • فكما ان الفاعل في « سقط » و « مات » و « انكسر » لم يقيم بالفعل وهو ليس فاعلاً حقيقة فكذلك هنا •

وكأن النحويين أرادوا ان يفرقوا في اعتبارهم « الجدار » و « زيد » و « الزجاج » فاعلين بين فاعل يصدر منه العمل نحو « كتب زيد » وفاعل يتصف به العمل ويقع عليه فيسند اليه الفعل كما في هذه الأفعال المتقدمة التي اشرنا اليها • وعلى هذا فان في « سقط الجدار » و « مات محمد » اسناد الفعل للمرفوع اسناداً لا يختلف عما في : قام عمرو وجلس بكر • وعلى هذا نستطيع القول : انه اذا كانت الأفعال : سقط ومات وانكسر تفيد ان مرفوعها ليس فاعلاً حقيقة ولكنه اتصف بالحدث اتصافاً لازماً فهو مثل (كُسِرَ) الذي اتصف به مرفوعه الاتصاف نفسه ولم يكن فاعلاً في الحقيقة •

ولم يفرق النحاة بين المتعدي المبني على (فُعِلَ) نحو « كُسِرَ

(٣) سيبويه الكتاب ج ١ ص ١٤ •

الزجاج « واللازم على البناء نفسه نحو : « سير يوم كامل » و « ذهب به »
و « احتفل احتفال عظيم » ، وذلك لان في قولهم : « كُسِرَ الزجاج »
اسناد الفعل لمرفوعه ، وفي قولهم : « سير يوم كامل » و « ذهب به »
و « احتفل احتفال عظيم » جملاً لم يقصد بها الاسناد وان كانت جملاً
فعليه ، والمراد منها تقرير الحدث ليس غير •

اما النحاة فسييلهم في هذه الافعال انها لم تبنَ على (فُعِل) الا اذا
كان نائب الفاعل ظرفاً متصرفاً مختصاً او جاراً ومجروراً او مصدرأ متصرفاً
مختصاً •

ولابد أن نفيد مما قال به النحاة لتؤيد ما نذهب اليه فقد جاء في
شرح المفصل : « واما قوله « معدولاً عن صيغة فَعَلَ الى فُعِل » اشارة
الى أن هذه الصيغة منشأة ومركبة من باب الفاعل ، وعليه الأكثر من
النحويين ، ومنهم من يقول ان هذا الباب أصل قائم بنفسه وليس معدولاً
عن غيره واحتج بأن ثم افعالاً لم ينطق بفاعليها مثل جُنْ زيدٌ ، وحُمْ
بكرٌ » (٤) •

وقد ورثت العربية في هذا الباب استعمالات خاصة حيرت النحويين
فلجأوا الى اساليبهم المقتعلة في التأويل والتعليل ليجدوا مخرجاً ومن ذلك
قوله تعالى في قراءة ابي جعفر يزيد ابن القعقاع : « ويُخرج له يوم
القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » فقالوا في ذلك : « انه ليس على اقامة الجار
والمجرور مقام الفاعل ونصب الكتاب على انه مفعول به وانما الذي أقيم
مقام الفاعل مفعول به مضمر في الفعل يعود على « الطائر » في قوله : « وكل
انسان ألزمناه طائره في عنقه » و « كتاب منصوب على الحال والتقدير :
ويخرج له يوم القيامة طائره أي عمله كتاباً اي مكتوباً •

ومن ذلك قوله تعالى : « لِيُجزَى قوماً بما كانوا يكسبون » فقالوا
في ذلك : « ففيه اشكال وذلك انه أقام المصدر مقام الفاعل لدلالة الفعل عليه

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٧١ •

وتقديره (ليجزى الجزاء قوماً بما كانوا يكسبون) وهو شاذ قليل *
ومن ذلك قوله تعالى : « وكذلك نُجِّيُ الْمُؤْمِنِينَ » فقالوا فيه : « فقال
قوم انه كالأية المتقدمة والتقدير « نجى النجاء المؤمنين » والصواب ان يكون
نَجَّى فعلاً مضارعاً والأصل « ننجي » بنونين فاخفيت النون الثانية عند الجيم
فظنها قوم ادغاماً وليس به ويؤيد ذلك اسكان الياء واما قول الشاعر :

فلو ولدت قفيرة جرو كلب لسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

فقد حملة بعضهم على الشذوذ من اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود
المفعول به وهو الكلاب وقد تأوله بعضهم بأن جعل الكلاب منصوباً بولدت ،
ونصب (جرو كلب) على النداء ، وحينئذٍ يخلو الفعل من مفعول به فحسن
اقامة المصدر مقام الفاعل ويكون التقدير : « فلو ولدت قفيرة الكلاب ياجرو
كلب لسُبَّ السب بذلك » (٥) *

وهذه التأويلات في هذه الاستعمالات هي السبيل المتبع لدى النحويين
كلما عرضت لهم مشكلة تخرج عن الاستعمال الشائع *

والوجه فيها ان هذه الاستعمالات دليل على ان في العربية في هذا
العصر المتقدم شيئاً من عدم الاستقرار وخروجاً عن الكثير الشائع ، وهو من
غير شك بقية من آثار المراحل السابقة لهذه الفترة التاريخية ، تلك المراحل
التي لم تكن فيها العربية لغة تصرفها قواعد عامة ذات اسس ثابتة *

اما النحاة فلم يكن في منهجهم هذا النظر التاريخي ولم يلتفتوا الى ما
نسميه في عصرنا بالتطور اللغوي *

وجاءت في العربية القديمة استعمالات « فَعِلَ » او ما سمي بالمجهول
مسنداً الى مرفوعه مفسراً بالفعل نفسه على بناء « فَعَلَ » مسنداً الى
مرفوعه أيضاً نحو قولهم : « أُسِرَ ذُوْابٌ أَسْرَهُ مُرَّةٌ » (٦) *

أو يأتي بناء (فَعِلَ) مسنداً الى مرفوعه مفسراً بفعل آخر في معنى

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ *

(٦) الاغانى ج ٩ ص ٦ س ٢ *

الفعل الاول كقولهم : « قُتِلَ النعمان رماء رَجُلٌ من أهل اليمن » (٧) .
 ووضع هذين البنائين الى جوار بعضهما مفيد من الناحية اللغوية ففي
 الجملة الاولى اسناد لـ (فُعِلَ) المجهول الى الفاعل لغة المتصف بالحدث
 الواقع عليه الاسم وتفسير هذه الجملة بأخرى فيها الفعل على بناء (فَعَلَ)
 للمعلوم للكشف عن الفاعل الحقيقي . ومن هنا يتبين لنا ان الاتيان بـ
 « فُعِلَ » على المجهول لم يكن الغرض منه كما يقول النحاة الجهل بالفاعل
 او طيه عن عمد من القائل ، وانما هو طريقة في التعبير تؤدي غرضاً معيناً وقد
 أشرنا الى ذلك ، على أن اتباع هذا الاسلوب لا يعني أن البناء للمجهول
 (فُعِلَ) معدول عن البناء للمعلوم (فَعَلَ) ، بل على العكس من ذلك
 فهو يعني ان (فُعِلَ) بناء آخر تلزم اضافته الى ابنية الفعل الثلاثي .

ونستطيع أن نقول : ان مجيء البنائين على هذا النحو في هذه الجمل
 يكثر في لغة التخاطب التي يلجأ فيها الى الايضاح والتفسير ، وأغلب الظن
 ان هذه الشواهد منقولة من لغة التخاطب أو هي حكاية لما كان يدور على
 ألسنتهم .

ومن المفيد أن نشير أن المبنى للمجهول لم يبق منه شيء في لهجاتنا
 العربية الدارجة وقد عدل عنه الى ما سمي بالمطاوع فيقال « انهزم » ولا
 يقال « هُزِمَ » ، ويقال « انكسر » ولا يقال « كُسِرَ » ، وبناء « انفعل »
 في لغة عامة العراقيين كثير فهم يصوغونه حتى في الأفعال التي لم يسمع فيها
 هذا البناء فهم يقولون : « انقتل » و « انجرح » وانمسك وانسرق ونحوه
 وأغلبه ما كان علاجاً كما يقول النحاة .

ويحسن بنا أن نختم هذا الفصل بالكلام على المطاوعة والمطاوع
 وهو ما اطلق على ابنية مخصوصه سنعرض لها .
 ويعرض « الرضى » في شرح الكافية لمسألة المطاوعة فيقول :

(٧) نقائض جرير والفرزدق ص ١٥١ س ٣ وهذا الهامش والذي
 يسبقه عن :

H. Reckendorf, Arabische Syntax, Heidelberg, 1921,
 P. 259 .

« المطاوعة في اصطلاحهم التأثير وقبول أثر الفعل » سواء كان التأثير متعدياً نحو : علمته الفقه فتعلمه ، فالتعليم تأثير والتعلم تأثير وقبول لذلك الأثر ، وهو متعدٍ كما ترى ، أو كان لازماً نحو : كسرتة فانكسر أي تأثير بالكسر ، فلا يقال في « تنازع زيد وعمرو الحديث » انه مطاوع « نازع زيد عمراً الحديث » ولا في « تضارب زيد وعمرو » انه مطاوع « ضارب زيد عمراً » لانهما بمعنى واحد ، كما ذكرنا ، وليس احدهما تأثيراً والآخر تأثيراً ، وانما يكون تفاعل مطاوع (فاعل) اذا كان (فاعل) لجعل الشيء ذا أصله نحو : باعدته أي بعّده ، فتباعد أي بعد ، وانما قيل لمثله مطاوع لانه لما قبل الأثر فكأنه طاوعه ولم يمتنع عليه ، فالمطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلاً نحو « باعدت زيدا فتباعد » المطاوع هو زيد ، لكنهم سمووا فعله المسند اليه مطاوعاً مجازاً « (٨) » .

أقول : خلص الرضي في آخر قوله الى ان « المطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلاً » هذا يؤكد ما ذهبنا اليه من انه لمح ان (زيدا) ليس فاعلاً في الحقيقة ولكنه تحول الى الفاعل الذي اتصف به اتصافاً يكاد يكون قسراً ، وفي هذا يقرب الرضي مما حاولنا ان نثبته من قرابة وشبه بين هذه الافعال التي اطلق عليها المطاوع وبين بناء (فَعِل) اي ما سموه بالمجهول .

ولا بد من العود الى المطاوع لتثبت ان ما اجتهدوا فيه وتوصلوا اليه من ان (انكسر) قابل للآثر الذي احده (كسر) نتيجة لم يتوصل اليها استقراءً للافعال العربية في استعمالات الكثيرة ، وذلك لاننا لم نشهد هذا الترتيب الذي بنوا عليه المطاوعة وهو ان فعلاً مؤثراً اثر الحدث في فعل آخر فقبل الثاني التأثير وتأثر به زام نشهد ما يؤيد ذلك في الاستعمال . ومعنى هذا أن قولنا : « تعلمه او تعلم الشيء » لا يقتضى بالضرورة ان يكون نتيجة مبنية على (علمته) .

قلت : ان الاستقراء لا يؤيدهم في الشروط التي رسموها للمطاوعة

(٨) الرضي ، شرح الشافية ج ١ ص ١٠٣ .

وذلك أن « اجتدع » و « اغتم » و « اشتوى » و « احتبس » و « امتنع »^(٩) لا تكون بالضرورة قابلةً للأنثر الذي أحدثه فيها « جمع » و « غم » و « شوى » و « حبس » و « منع » • فقد تأتي الابنية المزيدة غير معتمدة على الأفعال الثلاثية في شيء فضلاً عن أنها نتيجة لتلك او قابلة للأنثر الذي أحدثه الفعل الثلاثي • وكأن بناء (الفعل) عندهم « لازم مطاوع (فَعَلَ) ، وقد جاء مطاوع (أفعل) نحمو اسفقت فانسفق وأزعجت فأنزعج قليلاً ويختص بالعلاج والتأثير ومن ثم قيل « انعدم » خطأ^(١٠) •

ويقول الرضي : اقول : باب انفعل لا يكون الا لازماً وهو في الأغلب مطاوع (فَعَلَ) ، بشرط ان تكون (فَعَلَ) علاجاً ، أي من الأفعال الظاهرة ، لان هذا الباب موضوع للمطاوعة ، وهي قبول الأثر وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب اولى ووافق ، فلا يقال : علمته فاعلم ولا فهمته فانفهم ، واما (تفعل) فانه وان وضع لمطاوعة (فَعَلَ) كما ذكرنا ، ولكنه انما جاز نحو فَهَمَّتْ فَتَفْهَمَ وَعَلِمَتْ فَتَعْلَمَ ، لان التكرير الذي فيه كأنه أظهره وابرزه حتى صار كالمحسوس وليس مطاوعة (الفعل) لـ (فَعَلَ) مطردة في كل ما هو علاج ، فلا يقال : طردته فانطرد ، بل طردته فذهب •

اقول : اما قولهم في هذا : بشرط ان تكون (فَعَلَ) علاجاً فالاستقراء لا يؤيده فقد عرفنا أنهم عرفوا المطاوع في : « غمته فاغتم »^(١١) كما جاء في « شرح المفصل » وهذا في غير العلاج •

واذا أردنا ان نجري على نحو ما جروا في ترتيب (انفعل) على (فَعَلَ) مطاوعه من الثاني للاول وقبوله للتأثير فاننا نستطيع ان نرتب هذا المعنى على كثير من الابنية نحو : « أخرجته فخرج » و « ادخلته

(٩) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٧ ص ١٦٠ •

(١٠) الرضي ، شرح الشافية ج ١ ص ١٠٨ ، وانظر : شرح تصريف الزنجاني ص ٧٤ •

(١١) وفي لسان العرب عن سيبويه أنه يقال « اغتم وانغم » •

فدخل « ولا أقول (اندخل) الذي ورد في « الكتاب » •

• • • • • ولا يدي في حيت السكن تندخل (١٢)

و « وقفه فوقف » و « رجعت فرجع » ، و « فهتمه ففهم » •

والى مثل هذا توصل الاستاذ الدكتور مصطفى جواد في « المباحث

اللغوية » فقال :

« والصحيح أنه ليس في العربية أوزان للمطاوعة ولا اثر للمطاوعة في هذه الاوزان التي ذكروها ، وقد قام الخيال الصرفي في هذه المسألة بدور كبير ، ونحن لم نجد عربياً فصيحاً استعمل في كلامه جملة « كسرت العود فانكسر » ولا امثالها ، ولا « حطمته فتحطم » فالعرب كانت تكتفى بان تقول : « كسرت العود وحطمته » وصورة الفعل تدل على نتيجته ، واذا ارادت ان تطوى ذكر الفاعل قالت « كُسِر العود وحطم » اما « انفعل » وما جرى مجراه من الافعال المزعوم انها للمطاوعة فهي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي او شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج ولذلك لا يقتصر (انفعل) على المتعدي ولا تكون له صلة بالثلاثي احيانا مثل « انكدر » وفي القرآن الكريم في سورة التكوير : « اذا الشمس كُوِّرَتْ ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سُيِّرَتْ ، واذا العِشَارُ عُطِّلَتْ واذا الوحوش حُشِرَتْ » ومعنى انكدرت « انقضت » والانكدار الاسراع والانقضاء ولا ثلاثي له • فانكدار النجوم لما كان معروفاً مشهوداً صار كأنه شبه ارادي كما تقول « تدلى ثمر الشجرة » و « انداح البطن » •

وبنيت الأفعال الاخرى في السورة لانها ليست معهودة ولا مشهودة فلا ميل طبعياً فيها ولا اختيار ، وعلى هذا يقال : وقف ساعة ثم انصرف « ولم يصرفه احد بالبداهة • و « انطلق الى فلان » أي ذهب اليه ولم يأمره احد بالطلق « ان صح التعبير ، ولا حُبِس فاطلق ، وكذلك القول في

(١٢) سيبويه الكتاب ج ٢ ص ٢٣٨ •

« انحرّف وانهى وتحمل وتكلف وانماث الملح ، واندفع وآلوى أفعال اخرى ، وبهذا يظهر الفرق بين اوزان الافعال الارادية والفعل المبني المجهول ، فلو كانت الافعال الارادية التي سميت غلطا افعال المطاوعة تؤدي معنى الفعل المبني المجهول او كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه الافعال ما احتاج الواضع الا الى احدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً»^(١٢) .

في مقالة الاستاذ الفاضل جملة فوائد لا بد من الوقوف عندها ، ومن ذلك أنه خلص الى نتيجة مفيدة هي انه ليس في العربية اوزان للمطاوعة ، ولا أثر للمطاوعة في الابنية التي قالوا بأنها تفيد هذه الفائدة وذلك لعدم وجود هذه الاستعمالات في فصيح العربية ، فلم يؤثر عن العرب أنهم قالوا : « كسرت العود فانكسر » وسيل الاستاذ الباحث في هذه الناحية سبيل علمي مبني على الاستقراء الشامل لكثير من الاستعمالات . ويعول الاستاذ على الشواهد التي يقف عليها في قراءاته الوافية للكثير من المظان الادبية والتاريخية واللغوية .

غير أن الاستاذ الدكتور مصطفى جواد قد وضع حداً لبناء (انفعال) وما جرى مجراه من الافعال المزعومة انها للمطاوعة فقال « هي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج » . وفي هذا الحد غموض وابهام فلا نعلم أن في « انقطع محمد الى عبادة ربه » وفي « انكشفت الحقيقة » و « انصرف فلان الى عمله » و « انطلق زيد نحو هدفه » هذه الرغبة من الفاعل في الفعل وكيف يتضح لنا الميل الطبيعي لـ « محمد » الى « الانقطاع » والميل الطبيعي أو قل « شبه الميل » للحقيقة نحو « الانكشاف » .

ثم ان في قوله : « من غير تأثير من الخارج » ابعاداً لما كان قد استقر في الاذهان من أن هذه الافعال متأثرة بغيرها وهي بذلك « مطاوعة » ولذلك عقب على ذلك بقوله : ان بناء « انفعال » لا يقتصر على المتعدى ولا تكون له صلة بالثلاثي احياناً .

(١٣) مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص ١٧ - ١٨ .

وكان في هذا اراد ان يهدم الحد الذي وضعوه للمطاوعة • واحتج بقوله تعالى في سورة التكوير : « اذا الشمس كُوِّرَتْ ، واذا النجوم انكدرَتْ ، واذا الجبال سُيِّرَتْ ، واذا العشار عُطِّلَتْ ، واذا الوحوش حُشِرَتْ » •

ومن المفيد ان نذكر الآيات الاخرى وهي : واذا البحار سُجِّرَتْ ، واذا النفوس زُوِّجَتْ واذا الموءودة سئلت ، بأي ذنب قُتِلَتْ ، واذا الصحف نُشِرَتْ ، واذا السماء كُشِطَتْ ، واذا الجحيم سَعُرَتْ واذا الجنة أَرْزِلَتْ ، والى آخر السورة •

ولو نظرنا الى الافعال في هذه الآيات المحكمات وجدناها على التوالي مبنية للمفعول الا الآية الثانية فقد جاء الفعل (انكدر) على (انفعِل) والانكدار الاسراع والانقضاض ومجيء هذه الافعال كلها على (فُعِل) لفائدة اتصاف فاعليها بها وتلبس الفاعلين بالحدث ، ولو لم تقتض الحكمة الاتيان بالفعل (انكدر) على (انفعِل) لآتى فعل آخر على (فُعِل) مبنياً للمفعول ليشتم التساوق بين هذه الافعال • غير ان الفعل (انكدر) لا يمكن ان يبنى على (فُعِل) وذلك للزومه ، واللازم لا يبنى للمفعول كما هو معروف •

أما قول استاذنا الفاضل : « انكدر » لا ثلاثي له فاعلم الظن انه قصد الى ان الثلاثي من هذه المادة لا يعنى الانقضاض والاسراع ولا هو قريب من هذا المعنى •

جاء في « أساس البلاغة » : « كُدِرَ الماء » عن ابن الأعرابي ومن المجاز : كُدِرَ عيشه وتكدَّرَ وخذَّ ما صفا ودع ما كُدِرَ • وكَدَّرَ عليَّ فلان • وعلى هذا فان الثلاثي من هذه المادة معروف موجود ، ومن العلوم أن الزيادات في الافعال مواد تعطى الأفعال خصوصيات معنوية بل قد يجدر من الزيادة في الافعال معانٍ جديدة • وهذا كثير يعرفه الاستاذ الباحث معرفة فائقة •

ويفسر الاستاذ مصطفى جواد ورود (انكدر) وحدها على هذا

البناء في حين أن سائر الأفعال وردت على (فَعِل) أو ما يسمى بالمجهول - أي المجهول فاعله - ، بأن انكدار النجوم لما كان معروفاً مشهوداً صار كأنه شبه ارادي كما تقول : « تدلى ثمر الشجرة » و « انداح البطن » .
 اما كونه معروفاً مشهوداً فإن في الأفعال الأخرى التي وردت في الآيات ما هو « معروف مشهود » ولكنه لم يأت على بناء « انفعل » بل جاء على « فَعِل » نحو : واذا العشار عُطِّلَتْ ، واذا الوحوش حُشِرَتْ ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوَّجَتْ ، واذا الموءودة سُئِلَتْ ، باي ذنب قُتِلَتْ » فهذه الأفعال كلها تشير الى أفعال ستشهد يوم القيامة وان جاءت الأفعال على بناء الماضي وهذا سبيل العربية في التعبير . على ان في قوله تعالى « اذا الشمس كُوِّرَتْ » و « اذا الجبال سُيِّرَتْ » و « اذا السماء كُشِطَتْ » و « اذا الجحيم سُعِّرَتْ » حكاية لأحوال يوم القيامة وهي من المشهودات المرئية في ذلك اليوم الذي يحشر فيه الناس وقد عُبرَ عن تلك الاحوال المعروفة المشهودة ببناء (فَعِل) ولو كان ذلك سبباً يقتضى بناء « انفعل » ضرورة لما ورد (فَعِل) في هذه الآيات المحكمات .

وقد جعل الدكتور مصطفى جواد كونها معهودة مشهودة علة ولذلك قال : « وبنيت الأفعال الأخرى في السورة لانها ليست معهودة ولا مشهودة » وقد عرفنا ان هذه الأفعال تعرب عن احوال يوم القيامة واحوال يوم القيامة مما يشهده الذين حُشِرُوا .

ولا أدري ما قصد الاستاذ الجليل في قوله ان الفعل « شبه ارادي » هل يكون الفعل ارادياً لان الفاعل يسعى له ويقصد اليه ، أو أنه كما قال في مطلع كلامه انه رغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله اليه ، من غير تأثير من الخارج .

وقد وسم الدكتور مصطفى جواد هذه الأفعال بانها « ارادية » وأنها بذلك تختلف عن الفعل المبني للمجهول .

ويختم الاستاذ كلامه بقوله : « فلو كانت الأفعال الارادية (المطاوعة) تؤدي معنى الفعل المبني للمجهول ، أو كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه

الافعال ما احتاج الواضع الا الى احدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً •

وصدور هذا من الاستاذ الفاضل يسترعي النظر وهو العارف أن المعنى الواحد تتأوله ابنية عدة • ألا ترى ان « المطاوعة » على رأيهم تكون في الابنية « انفعل » و « افعل » و « وتفعّل » و « تفاعل » وغير هذا • وان معنى السلب يجيء وفي (أفعل) و (فعّل) وغيرها ، ولو كان كل بناء مختصاً بمعنى لا يشاركه فيه غيره لما ورد هذا الذي ذكرناه في العربية •

ومن هنا نستطيع ان نخلص الى ان ما أسموه بالمجهول « فاعله » كما في « كُسِرَ الزجاج » مسند الى مرفوعه اسناد « انكسر الزجاج » وان « انكسر » ليس مطاوعاً لـ « كَسَرَ » ومرتباً عليه أو هو فعل قابل للتأثير من الاول • وان المعنى المتحصل من كلا التعبيرين واحد • وان اتصاف المرفوع بكل منهما على نحو واحد •

واذا عرفنا ان الاقدمين قد قالوا : « ان الفاعل عبارة عن اسم صريح أو مؤول به اسند اليه فعل أو مؤول به مقدم عليه بالأصالة واقعاً منه أو قائماً به »^(١٤) وهذا الحد يشير الى ان من الفاعلين ما يمكن ان يكون متصفاً بالفعل قائماً به • والقيام به لا يعنى بالضرورة انه الفاعل الحقيقي بل ان ذلك يشير الى المرفوع الذي يسند اليه الفعل ويتصف به •

(١٤) ابن هشام ، قطر الندى (باب الفاعل) •

الفعل الثلاثي

يأتي الفعل الثلاثي على ستة أبنية ذكرها الصرفيون وتكلموا عليها
واشاروا الى خصائص كل بناء وما ينصرف اليه من حيث التعدي وال لزوم ومن
حيث الدلالة ، ورتبوها حسب كثرة ورودها في العربية وهي :

(١)	فَعَلَ	يفْعُلُ	نحو : نَصَرَ	يَنْصُرُ
(٢)	فَعَّلَ	يفْعِلُ	نحو : ضَرَبَ	يَضْرِبُ
(٣)	فَعَلَّ	يفْعَلُّ	نحو : قَرَأَ	يَقْرَأُ
(٤)	فَعَلَّ	يفْعَلُّ	نحو : فَرِحَ	يَفْرَحُ
(٥)	فَعَّلَ	يفْعُلُ	نحو : كَرُمَ	يَكْرُمُ
(٦)	فَعِلَ	يفْعِلُ	نحو : حَسِبَ	يَحْسِبُ

وهذه الأبنية قد صنف عليها أفعال العربية ولكن كتب اللغة تشير
الى أن الأفعال في عصور ماضية لم تكن على هذا النمط من التصنيف التام *
والنظر في « أدب الكاتب » لابن قتيبة يظهر أن ابنية الافعال لم تكن
محصورة في هذه الصورة فقد ذكر في :

« باب فَعَلْتُ وفَعَلْتُ بمعنى »^(١)

« سَخَنَ يومنا » يسخُنُ و « سَخُنَ » ، و « صَلَحَ الشيء » و

(١) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ٤٦٨ .

« صَلَّحَ » و « شَحَبَ لونه » يشحَب و « شَحَبَ » لغة ، و « خَثَرَ اللبن » و « خَثَرَ » وإلى آخره •

وحكى سيويه عن بعضهم « جَبَنَ » يجبن و « جَبُنَ » ، « نَبَهَ » ينبه و « نَبَهَ » •

وذكر في « باب فَعَلْتُ وَفَعُلْتُ بِمَعْنَى » (٢) •

« سَفَهَ » يسفه ، و « حَسَرِمَتِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَرْأَةِ » تحرم و « حَرُمْتُ تَحْرُمُ » و « سَرَى الرَّجُلُ » يسرى ، و « سَرُوْ » يسرو ، و « سَخِي » يسخى و « سَخُوْ » يسخو •

وروى سيويه عن يونس ان بعض العرب يقول « لُبَيْتُ الْبُ » - بالضم - وهذا حرف شاذ لا يعرف له مثل ، لانه يستثقل في المضاعف فَعُلَ يَفْعُلُ •

وذكر في « باب فَعَلَ يَفْعُلُ وَيَفْعِلُ » (٣) •

نحو « عَطَسَ يَعْطُسُ وَيَعْطِسُ » و « عَتَبَ يَعْتَبُ وَيَعْتَبُ » من المعتبة وكذلك هو من المشي على ثلاث قوائم ، و « رَفَضَ يَرْفُضُ وَيَرْفِضُ » و « هَذَرَ يَهْذُرُ وَيَهْذِرُ » و « فَسَقَ يَفْسُقُ وَيَفْسُقُ » و « خَرَزَ يَخْرُزُ وَيَخْرُزُ » وهو باب يشتمل على الكثير من الافعال مما يرد مضارعه على الوجهين المشار اليهما •

وذكر في « باب فَعَلَ يَفْعُلُ وَيَفْعِلُ » (٤) •

ومنه « جَنَحَ يَجْنَحُ » اذا مال و « مَضَغَ كَمَضَغُ وَيَمْضَغُ » و « دَبَغَ وَيَدْبَغُ وَيَدْبَغُ » و « سَلَخَ يَسْلَخُ » و « مَخَضَ يَمْخَضُ وَيَمْخَضُ » •

وذكر في « باب فَعَلَ يَفْعَلُ وَيَفْعِلُ » (٥) •

ومنه « مَنَحَ يَمْنَحُ وَيَمْنَحُ » و « نَبَحَ الْكَلْبُ يَنْبَحُ وَيَنْبَحُ »

(٢) المصدر السابق •

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٩ •

(٤) المصدر السابق ٤٧٣ •

(٥) المصدر السابق ص ٤٧٣ •

« نطح الثور ينطَح وينطِح » و « نَهَق ينَهَق وينهَق » وأفعال كثيرة أخرى •
ومجيء الفاعل على بناء خاص في الماضي ومضارعه على بنائين كثير عندهم ،
ومعنى هذا ان الفعل من الناحية التاريخية قد مر بفترات كان خلالها غير
مستقر في بنائه الذي نعرفه في عهوده اللاحقة في النصوص الفصيحة •

وهذا يعنى ان هذه الفترة غير المستقرة كانت بقاياها معروفة بعد
الاسلام الى القرن الثالث الهجري • وهذه الحال تعنى ان العربية كانت
انماطاً شتى بالنسبة للجماعات التي كانت في شبه جزيرة العرب ، وهذه قبائل
متفرقة في بقاع واسعة الارحاء مترامية الأطراف ، فلا بد ان يحصل في هذه
العربية الموزعة على هذه المجاميع البشرية أمارات خاصة تميز طريقة كل
منها في هذه العربية ، حتى تهيأ لهذه المجاميع ان تتوحد في ظل الاسلام وتهيأ
لهذه العربية ان تتوحد من انماط شتى الى نمط واضح مبين ظهر في عربية
القرءان بعد ان جُمِع وتوحدت لغته •

وقد بدا لنفر من اللغويين أن يعزوا وجهاً من هذه الوجوه التي
ذكرناها وهي تلك التي لم تشتهر الى لغة العامة •

ومن هؤلاء ابن السكيت في « اصلاح المنطق » فقد جاء فيه :

وباب ما جاء في فَعَلَت بالفتح مما تكسره العامة أو تضمه وقد يجيء
في بعضه لغة الا ان الفصيح الفتح «^(٦)» وقد اتى على أفعال مما ورد في « أدب
الكاتب » والتي تقدم ذكرها •

وروا أن سيويه قال : بلغنا ان بعض العرب يقول « نَعِمَ يَنَعِم »
مثل فَضَّلَ يَفْضُلُ^(٧) •

وقد فسر ابن جنى في الخصائص تفسيراً خاصاً أسماء « تركب
اللغات »^(٨) فقال : واذا ثبت وجوب خلاف صيغة الماضي صيغة المضارع وجب
أن يكون ما جاء من نحو سَلَا يَسْلَى ، وقلَى يَقْلَى ونحو ذلك ، مما التقت

(٦) ابن السكيت ، اصلاح المنطق ١٨٨ •

(٧) ادب الكاتب ص ٤٧٧ •

(٨) ابن جنى ، الخصائص ج ١ ص ٣٧٦ •

فيه حركتا عينيه منظوراً في أمره ، ومحكوماً عليه بواجبه • فنقول : انهم
قد قالوا : قَلَيْتَ الرجلَ وقَلَيْتَه • فمن قال : قَلَيْتَه فانه يقول أقليه ، ومن
قال قَلَيْتَه قال : أقلاه •

وكذلك من قال : سلوته أسلوه ، ومن قال سَلَيْتَه قال أسلاه ، ثم تلاقى
أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما
من صاحبه ما ضمه الى لغته فتركت هناك لغة ثالثة ، كأن من يقول سلا أخذ
مضارع من يقول سَلَيْ فصار في لغته سلا يَسْلَى •

وهذا التفسير لهذه الافعال قريب من الاحتمال والذي يقويه عندي
ان هذه الافعال التي جاءت على هذا النحو الغريب في جملتها قليلة وقلتها
تدعو النظر اذ يكون من المحتمل أنها قد حدثت بسبب من هذا السماع
واستقرت في العربية على أنها مخلفات لفترة تاريخية كانت فيها العربية تعاني
عدم الاستقرار الى ان تهيأت لها صورة منسجمة في جملتها تقريباً •

بناء الثلاثي وأحرف المد

تدخل أحرف المد في بناء الفعل الثلاثي فتكون من أصوله • وهذا يعني أن الفعل في هذه الحالة مؤلف من أصلين من الأصوات الساكنة ثم يأتي حرف المد فيثالث الثنائي الصحيح فيصبح ثلاثياً •

اصطلح أهل الصرف على تسمية الأصوات بالحروف الصحيحة ، وأصوات اللين بأحرف العلة • وكان مصطلح « اللين » أو « أحرف المد » من مصطلحات أهل الأصوات وهو العلم الذي انصرف الى حسن الأداء وهو ما دعي عند المتأخرين بالتجويد •

وقد كان أهل الصرف على حق في وسم هذه الأحرف بالعلة وذلك ان الفعل ان كان في أصوله شيء منها كان على هيئة مخصوصة وقد أسماه بالفعل المعتل • وكونه معتلاً لصابته العلة في بنيته وهي اما واو واما ياء والواو والياء في هذه الأفعال لا تصح باختلاف الصيغ فقد تصبح الواو ياءً ، وقد تصبح الواو أو الياء ألفاً ، وقد تصبح الواو أو الياء همزة • ومن أجل هذا فان هذه الأحرف تعلّ عندهم ، والاعلال في اصطلاحهم سلب العلة •

وكون الأفعال المشتملة على هذه الاصوات معتلة ، فهي اذن ضعيفة عندهم وهي من أجل ضعفها لا تحتمل الحركة ، فاذا تحركت لا بد ان يتخلص من الحركة •

واذا اجتمعت الواو والياء في بناء من الابنية فلا بد ان يتخلص من هذا الاجتماع بطريقة من الطرق •

هكذا كان الصرفيون يجرون هذه المسائل ولذلك قيدوا مسائل الاعلال في مواضع ذكروها في كتبهم •
والذي يدل عليه الاستقراء ان ملاحظاتهم في الاعلال ليست قواعد ثابتة ، فهي لا تعرض لكثير من الالفاظ مما وردت فيه الواو أو الياء أو اجتمعت فيه الواو والياء • وعلى هذا فان قولهم ان هذه الأحرف ضعيفة لا تتحمل الحركة فشيء يحتاج الى كثير من القول •

أقول : ان هناك فرقاً بين أحرف اللين أو أحرف المد الساكنة (ويدخل في ضمن هذا ما ندعوه في كتبنا بالحركات الثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة) وبين الواو المتحركة والياء المتحركة • وهذان الحرفان ان تحركا فقدما صفة كونهما احرف لين أو مد وذلك فان الواو في (وَجَدَ) وفي (سَرَوْ) وفي (حَوْرَ) ، والياء في (يَسَرَ) وفي (أَيْسَ) وفي (هَوِيَ) ، أقول ان الواو والياء في هذه الأفعال حرفان متحركان وهما في هذه الحالة لا يختلفان عن الحروف الساكنة الاخرى أو ما يدعى بالحروف الصحيحة •

وقد قلت : ربما كان (هل التجويد على حق في التزامهم بمصطلح اللين أو المد •

وينبغي على هذا أن ليس لنا أن نقول ان المد في (قال) آت من واو متحركة والأصل (قَوَلَ) وكذا في (باع) فانها من (بَاعَ) • والحقيقة أن الفرق كبير بين هذا المد والواو المتحركة والياء المتحركة في (قَوَلَ) و (بَاعَ) وعلى هذا فلا يصح ان يكون أصل قال وباع (قَوَلَ) و (بَاعَ) •

وعندي ان الواو المتحركة لا تختلف كثيراً عن الباء كما لا تختلف كثيراً عن النون ، ولا أريد بكونها لا تختلف ان هذه من طبيعة واحدة أو قل انها تنشأ نشوءاً واحداً وان أحيائها متفقة ، ولكنني أريد أنها كهذه الاصوات الساكنة ، وربما كان بسبب من هذا ان بين الواو المتحركة والباء أو النون يقع كثير من الابدال نحو : « نَبَّه » و « نَوَّه » و « قَبَّبَ » و « قَوَّبَ » ،

وقد حصل من هذا الشيء الكثير في العربية ، نحو : « وشر » و « نشر »
و « وقص » و « نقص » ، ومثل هذا كثيراً أيضاً ، ومثل هذا قد حصل للياء
المتحركة •

والإبدال بين الأصوات مادة تدخل في موضوع اختلاف الدلالة ،
فالإبدال الذي يعرض للأصوات يؤدي الى خلق معانٍ جديدة •

ونخلص من هنا الى ان حرف اللين أو المد انما يحتفظ بهذه الصفة
ان لم يكن متحركاً ، ومن هنا فان الواو المتحركة والياء المتحركة شيء آخر •
أقول ان قولهم : « قال » أصلها (قَوَلَ) و (باع) أصلها (بَاعَ)
على هذا النحو من التحديد غير صحيح •

واذا كانت الواو المتحركة المفتوح ما قبلها تقلب ألفاً ومثل ذلك الياء
المتحركة ، فلم لم تقلب الواو ألفاً في (عَوَرَ) و (حَوَرَ) ولم لم تنقل
حركة الواو الضعيف الى الصحيح الساكن قبلها كما في : (اعْوَلَ)^(١)
و (اغْيَلَ)^(٢) و (استحوذ)^(٣) و (أجود)^(٤) و (أطيّب)^(٥)
و (اغيمت السماء)^(٦) ومثل هذا كثير •

ولم قالوا : « غزوة » و « غزاة » و « طعام مزيت » و « مزيوت »
و « مبيع » و « مبيوع » •

وقد صرنا الى قلب الواو ياء لمناسبة الكسرة السابقة كما في (صِيَام)

(١) يقال : اعول الرجل والمرأة وأعيلا ، اذا كثرت عيالها ، ويقال
أعول أيضا اذا رفع صوته بالبكاء •

(٢) يقال أغالت المرأة ولدها أو اغيلته أي سقته الغيل وهو لبن
الماتية أو الحبلى ، قال امرؤ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فاليهيتها عن ذى تمانم مغيل

(٣) قال تعالى (واستحوذ عليهم الشيطان) ويقال استحاذا •

(٤) وأجود الفرس في العدو بمعنى أجاد فيه •

(٥) يقال : أطيّب الشيء اذا وجد طيبا ويقال : أطاب •

(٦) يقال : أطول وأطال بمعنى : قال عمر بن ابي ربيعة :

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

(٧) يقال : اغيمت السماء وأغامت صارت ذا غيم ، ومثلها (أخيلت)

تهيات للمطر •

و (نِيَام) و (صِيَانَة) و (حِيَال) و (قِيَاس) و (حِيَاض) جمعا (قوس)
و (حَوْض) ولكن العربية لم تجر على هذا فقد قالوا (صَوَان) كما قالوا
(صِيَان) وقالوا (قِيَام) وقالوا (حِيَوَار) و (صَوَال) و (صِيَال) •

وحمل ما خرج عن قواعدهم المقررة على الشذوذ أو على اعتبار علة
أخرى من علمهم الكثيرة غير مقبول •

وربما فاتهم ان يلاحظوا أن هذه المسائل في اجتماع الاصوات من
امارات اللهجات الخاصة •

وربما استطعنا أيضاً أن نتخذ مما يقع في لهجاتنا الدارجة شيء يفيد
في هذا الموضوع ألا ترى أن الكثير منا يقول : (عامود) في حين أن بيننا
من يقول : (عمود) • وقد أشار الاقدمون الى ان القصر والمد يعرض
لكثير من الأبنية كما في (مَخِيْط) و (مَخِيَاط) و (مِسْعَر) و (مسعار)
وهذا كثير لا حصر له • ومن الطبيعي ان الذي يستعمل (مَخِيْط) بالقصر
لا يستعمل (مَخِيَاط) بالمد وكذلك العكس • ومعنى هذا ان هذا مما يحصل
في اللهجات •

وطبيعي ان هذه المسائل التي تتعلق باللهجات قد تنكر لها اللغويون
الاقدمون ، وقد بلغ بهم الأمر أن حملوا على الخطأ والتجاوز الشيء الكثير
الذي خرج عما رسموه أو تخيلوه حسناً •

قال سيوييه : سمعنا جميع الشواذ المذكورة مُعَلَّة أيضاً على القياس ؛
الا (استحوذ) و (استروح الريح) و (اغيلت) •

واذا كان على المتخصص في هذا الفن أن يعرف الأصول في اللفظ
وكيف يعرض لها التبدل والتغير فما أجدرنا ان نبعد الشدة عن حفظ قواعد
آلية لا سبيل الى ان يدركوها الا بالحمل والفسر • ومن الأحسن ان يقال
لهم : أن (قال) و (باع) مضارعهما (يقول) و (يبيع) بالواو والياء
ومصدرهما (قول) و (بيع) واسم الفاعل منهما (قائل) و (بائع) واسم
المفعول منهما (مقول) بابدال ياء المضارعة ميماً مفتوحة و (مبيع) بابدال
حرف المضارعة ميماً مفتوحة وان نجنب الطالب القول أن (مبيع) اصلها

(ميوع) لان الذي يقول (مبيع) غير الذي يقول (ميوع) • ومعنى هذا ان الصيغتين وجدتا في وقت واحد وان المستعمل لاجدهما لا يستعمل الاخرى وليست الثانية بداية تاريخية للاولى على أنهما بمعنى واحد •
وقد قالوا ان الواو ضعيف لا يتحمل الحركة ولذلك اما ان يحذف الواو أو يتخلص من الحركة بطريقة ما •

والحقيقة ان الواو ليس ضعيفاً وأنه يتحمل الحركة غير ان الواو يحذف في ألفاظ كثيرة اذا عرض له الكسر أو الفتح فنقول عدة وسعة وجهة ومثل هذا كثير جداً • وليس لنا ان نقول مقالة الصرفين : بان الواو حذفت وعوض منها تاء في الآخر ، وذلك لان التاء في هذه الكلمات تفيد التأنيث الذي قد ينصرف الى القلة والوحدة في الفاظ كثيرة •

والواو من المواد المتشابهة في ابناء كثير من الافعال ، ولذلك ترد الافعال بالواو والياء بمعنىاً • وأغلب الظن أن الفعل اذا كان بالواو فهو لغة خاصة واذا كان بالياء فهو لغة أخرى •

ذكر ابن قتيبة في « أدب الكاتب » باب فعَلت - بفتح العين - في الواو والياء بمعنىاً واحد^(٨) •

يقال : كنوت الرجلَ وكنيته ، ومحوت الكتاب أمحوه أمحاه ، وحثوت التراب أحثوه وحثيته أحثيه ، وحنوت العود وحنيته ، ونفوت العظم ونفيته : اذا استخرجت نفيه وهو المخ ، وعزوت الرجل وعزيته : اذا نسبته الى ابيه ، وهذوت وهذيت ، وقنوت الغنم وقنيته ، ولحوت العصا ولحيته : اذا قشرتها ، فأما « لحيت الرجل » من اللوم فبالياء لا غير ، وجبيت الخراج وجبوته جباية وجباوة ، وزقوت للطائر وزقيت ، وطفوت يا رجل وطفيت ، وصغوت وصغيت ، وقلوت الحب وقليته ، ومنوت الرجل ومنيته اذا اختبرته ، وشأوت القوم شأواً وشأيتهم أي سبقتهم ، وسحوت الطين عن الأرض ، أي قشرته وسحيته ، وكذلك تقول في القرطاس ، وطهوت اللحم وطهيته ، وأنيته وأتوقه أتيأً وأتوأ ، وما أحسن يدَي الناقة واتَيَ يديها ، ومأوت

(٨) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ٤٦٤ •

السقاء ومأيته : اذا مددته حتى يتسع وطلوت الطلى وطليته بمعنى ربطته ، وحلوت المرأة وحليتها اذا جعلت لها حلياً ، وحزوت الطير وحزيتها ، وأثوت به أثيت إناوة وإثاية اذا وشيت به ، ورثيت الرجل ورثوته ، ورثأت أيضاً ، وسخوت النار فأنا أسعفوها سخواً وسخيتُ اسخى سخياً ، وذلك اذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد ففرجته ، ولخوت الصبي ولخيته اذا سعطته • وبغقب ابن قتيبة على هذا الباب فيذكر طائفة أخرى من الأفعال جاءت بالياء والواو بمعنى واحد فيذكر منها :

تحيزت الى فئة وتحوزت أي انحزت ، وتوهت الرجل وتيهته ، وطوخته وطيخته وتبوغ الدم بصاحبه وتبيغ وتصونج وتصيح اذا هاج ، وتهوتر الجرف وتهير اذا انهار وتضوع ريحه وتضيغ ، وشوطه وشيطه ودوختهم تدويحاً وديختهم ولا توجل ولا تبجل ولا تاجل بغير همز وقد همزه قوم ، و « ما أعيج من كلامه بشيء » ما أعبا به ، وبعضهم يقول « ما اعوج بكلامه » أي ما التفت اليه •

وقد ترد الأفعال مهموزة حيناً وبالواو أو الياء حيناً آخر • ومعلوم ان الطريقتين في ورود هذه الأفعال ترجع الى اختلاف القائلين •

ومن ذلك : « أرشئت بينهم وورشت » ، و « وكدت عليهم وأكدت » قال الله تعالى : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » و « ورخت الكتاب وأرخته » و « وقت وأقت » من الوقت و « آكفت الحمار وأوكفته » وهو الاكاف ، و « أوصدت الباب وآصدته » وقرئ « موصدة » بالهمزة وغير الهمز •

ويقال : ناوت الرجل وناويته ، و « روات في الأمر » و « رويت » و « أرجأت في الأمر » وأرجيت • وأوميت الى فلان واومات ، واخطأت وأخطيت و « اطفأت » و « أطفيت » و « رفأت الثوب » و « رفوت » و « أرفأت السفينة » و « أرفيت » •

وهذه الأفعال قليل من كثير مما ضبطه اللغويون ولم يفصلوا القول فيه • ولم ينسبوا هذه الطرائق الكلامية الى أصحابها لغلبة لغة فصيحة

وشيوعها حتى ادى ذلك الى الاجماع عليها • ولعل في لغة الكتاب العزيز السبب الجوهرى في انحياز هذه اللغات الخاصة الى اللغة الفصيحة العامة كما بدت في نمطها البليغ الموحد •

وقد اتخذت العربية من الياء والواو وسيلة لصرف الالفاظ الى معانٍ مختلفة ، ومعنى ذلك ان الانتقال من معنى الى معنى صحبه الانتقال من الباء الى الواو أو العكس نحو : البين واصله الظرف المكاني (بين) ثم انتقل الى الفراق والبعد والوضوح وكلها مستفادة من الظرف وهو الأصل • ولما استفيدت هذه المعاني من اظرف قالوا : بان يبين وفرقوا في المصدر فقالوا للبعد : البين ، وللوضوح البيان •

ثم انتقل بالكلمة انتقالاً آخر فقالوا : بَوْن بفتح الباء وضمه وهو المسافة ما بين الشيئين • قال الخليل : يقال بينهما بَوْن وبَوْن بالفتح والضم • ومن هذا القبيل الغيث المطر • والغيث من الفاظ القرآن الكريم كما أن المطر من الفاظه أيضاً ، غير أن الغيث قد انصرف للخير والرحمة في الاستعمال القرآني ، وان المطر انصرف للشر والعذاب •

وقد تحولت العربية من الغيث وهو المطر الى الغوث بالخروج من الياء الى الواو للدلالة على المساعدة والخير والتجدة ومنه جاء غاث يغوث ، واغاث يغيث ومثل هذا طير وطور وشيب وشوب ، وميَّت وموت ، وغُول وغيل •

بين المضعف والمعتل :

ما زلنا نحمل على الخطأ أو على طريقة العوام في لهجتهم الدارجة قولهم (استمررت) باسناد الفعل المضعف الى تاء الفاعل • وفي العربية الفصيحة شيء من هذا وهو قليل • ولعل قلته راجعة الى انه من البقايا اللغوية القديمة التي تشير الى مرحلة لغوية قديمة قد سبقت الفصح المعروف المائل في لغة التنزيل • والى هذا ذهب المبرد في شرح كلمة « التقضي » في قول العجاج :

تقضي البازي اذا البازي كَسَره

والتقضي الانقاض والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون
(تظنيت) والأصل (تظننت) لأنه من الظن^(٩) . ومنه (قصصت)
و (قصيت)^(١٠) .

ونستطيع ان نتعقب الصلة بين المضعف والمعتل في كثير من الافعال
ومن ذلك : « تسرّى » أي اتخذ سرية أي جارية كما تجد تسرّر *
و « تقصّى » الأمر أي تقرّاه وتتبعه وهذا المعنى ملحوظ في
« تقصّص » .

و « دسّى » كما في قوله تعالى « قد أفلح من زكّاهها وقد خاب من
دسّاهها » وهذا المعنى ملحوظ في « دسّس » وهذا يشير الى الصلة *
وفي قوله تعالى (ثم ذهب الى أهله يتمطى) وهو من غير شك من
المضعف يتمطّط وهو ملحوظ في (يتمدّد) الذي استحال في عاميتنا الدارجة
(يتمدّى) .

وفي قوله تعالى : (فليكتب وليملل الذي عليه الحق) وقوله تعالى :
(اولا يستطيع ان يمل فليملل وليه بالعدل) *
وهو الفعل نفسه (أملى) كما في قوله تعالى : (فهي تملي عليه بكرة
وأصيلا) .

ومن هذا الباب :

- الدبّي وهو المشي البطيء و (دب) بمعنى .
- و (الضر) بفتح الضاد وضمها و (ضير) بمعنى ومنه ضار يضير .
- و (حنّ) من الحنين و (حنا) من الحنو .
- و (غصّ) و (أغضى) .
- و (دك) أي دقّ و (داك) بمعنى .

(٩) المبرد ، الكامل ٧٦٠/٢ .

(١٠) ابن السيد البطليوسي ، الاقتضاب ١٣٧ ، ويبدو ان (انسان)
و (ايسان) من هذا الباب . فالاصل (اس) وهو صوت يشير الى الوجود ،
وفك التضعيف ينتهي الى التعويض وهذا يتم اما بالنون أو بالياء . ومثل
هذا حصل لهذه الكلمة في العبرانية فان ايشون وتعني الرجل وهي بالياء .

- و (غم) و (غام) بمعنى
- و (طم) الماء (وطمى) يطمى أي علا ،
- و (الدجج) الظلام الشديد و (الدجو) بمعنى ومنه دجا يدجو •
- وهذه الشواهد تهدينا الى أن نقول :

ان المعاني العربية تؤدي بحرفين صامتين فالكاف والنون في (كن) تشير الى الوجود والكون ، وقد ينجم عن هذا معنى التخفي والاستتار • وهذا الثنائي بمعنى (جن) التي استحالت بالتضعيف (جنّ) •

واذا نظرنا في اللغة العبرانية وجدنا مادة « كن » كما هي في العربية ومثله مادة فر ، ومادة در • فهذه المواد تؤدي المعاني وهي بحرفين ، وما الحرف الثالث الذي لصق بها كسماً suffix الا لاكمال الاثنين وصيورتها على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للأولى ، والفرق بين المرحلتين بعيد جداً •

أقول ان هذا الثالث الطارئ على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس بأصل ، ذلك أن أحد هذين الحرفين يتغير على طريقة الابدال مثال ذلك :

• كنّ العربية. وكنن العبرية تصبح كهن

وهذا الابدال وسيلة لايجاد معانٍ جديدة مع ابقاء شيء من المعنى القديم في هذا المستحدث الجديد لمحاً للأصل • ففي مادة كهن مازالت فكرة الاستتار والخفاء موجودة ، ومادة (درّ) تصبح « دهر » في العربية وكذلك في العبرانية والفكرة في الدهر هي الدوران ، ومن أجل هذا شبهوا الدهر بالفلك الذي يدور •

ثم ان المضعف ولد على طريقة الابدال والتعويض الفعل الاجوف، ولذا فاننا نستطيع ان نتعقب الافعال فنقول ان (كنّ) اصل لـ (كان) وكذلك (غبّ) اصل لـ (غاب) ، وان (صرّ) اصل لـ (صار) •

وهناك أفعال معتلة جوف كثيرة لا سبيل الى معرفة اصلها المضعف وذلك لفقدان استعماله وبعد العهد به ، فانقطعت الصلة ، وأصبح لمح من

الامور الصعبة • ومن الادلة التي نسترشد بها في معرفة هذه الاصول المضعفة جملة مصادر احتفظت بها العربية لهذه الافعال الجوفاء وفي ابيتها ما يؤيد هذا المذهب الذي ذهبنا اليه وهي كما يأتي :

الفاعل	المصدر
كان	كون و كينونة
دام	دوم ، دوام ، ديمومة
بان	بين ، بينونة
صار	صير ، صيرورة
سار	سير ، سيرورة
غاب	غياب وغيب وغيبة وغيبوبة
قال يقيّل	قيلولة
حال	حول حوّل حيلولة

هذه الافعال الجوف لها مصادرهما المعروفة الشائعة في الاستعمال نحو « كون » و « دوم » اما الكينونة والديمومة فهي تشير الى الاصل المضعف الذي انتهى الى الفعل الاجوف •

على أن هذا التحول من المضعف الى المعتل لا يقتصر على الفعل الاجوف فان هناك من الدلائل ما يشير الى ان من الفعل الناقص ما جاء من المضعف على طريقة فك التضعيف ثم التعويض فالفعل (كنى) في العربية و (كنه) في العبرية هما من هذا الباب • ولا بد من الاشارة الى ان الهاء المعوض في العبرانية يقابله شيء كثير في العربية ، فالكنه بمعنى الحقيقة هو من هذا الباب أيضاً •

ومن هذه الافعال الناقصة التي كان لها مضعف في معناها ما يأتي :

تمطى ، مطى	وهو من مطّ وقد سبقت الاشارة الى ذلك •
ربى	وهو من ربّ
سرى	وهو من سرّ على الخلاف اليسير في المعنى بين البنائين •
ذرى	وهو من ذرّ

تظنّ • وهو من تظنن وقد سبقت الإشارة اليه •
تلعّى • وهو أكل اللعاع من الكلال والمقصود به الهندباء •
تقضّى • من الانقضاض

وما دمنا نرى ان المضعف أصل لهذه الافعال على هذه الطريقة ، أو
على طريقة التعويض • فلا بد من الإشارة الى ان كثيراً من الافعال المصدرة
بالنون قد استفادت النون بهذه الطريقة من المضعف الذي هو أصل نحو :

نفر من فرّ كما ان هناك أفرّ
و نلّ من تلّ
و نلّ من ثلّ

و نشر^(١١) من شرّ ، يقال : شر اللحم ، وما زلنا نقول : في لغتنا الدارجة :
شر الثوب بمعنى نشره ليجف

و نقص من قصّ وهناك (وقص) •

وبعد فهذا عرض سريع للافعال التي تعرض لها أحرف المد فتجعلها
أفعالاً خاصة ليست كالافعال الثلاثية الاخرى التي تتألف من الاصوات
الساكنة •

وربما استطعنا ان نقول : ان هذه الافعال تشعرنا بالثنائي القديم الذي
ابتدأت به الالفاظ العربية ثم انتقلت الى مرحلة الثلاثي التي صارت من
ميزات العربية كما هي الحال في سائر اللغات السامية •

(١١) ونشر الخشبة ويقال : وشرها ، ولهذا جاء منشار وميشار للآلة
المعروفة •

أفعال خاصة^(١)

نريد ان نبّحث في هذا الفصل ما أسماء النحويون الاقدمون بأسماء الأفعال • وهى عندهم أسماء قامت مقام الأفعال في العمل • وهى غير متصرفة فلا تتصرف تصرف الأفعال اذ لا تختلف ابنيها لاختلاف الزمان ، كما لا تتصرف الأسماء اذ لا يسند اليها فتكون مبتدأة أو فاعلاً ولا يخبر عنها فتكون مفعولاً بها أو مجرورة وبهذا القيد خرجت الصفات والمصادر فانها وان قامت مقام الأفعال في العمل الا أنها تتصرف تصرف الأسماء فتقع مبتدأة وفاعلاً ومفعولاً^(٢) •

وقد لمحوا فيها الفعلية فقالوا : ان «رويد» متعد لان فعله « امهل » فيقال : رويدَ زيداً ، و « صه » لازم لان فعله اسكت وفاعل كليهما مضمّر^(٣) • وقالوا : هيهات زيد بمعنى « بَعُد زيد » • وهكذا اثبتوا لهذه المواد كثيراً من الصفات الفعلية • وقد اكتفى الكوفيون بهذه الصفات الفعلية في استعمال هذه المواد فقالوا : بفعليتها • ذكر السيوطي : « وزعمها الكوفية أفعالاً » لدلالاتها على الحدث والزمان • وقال جمهور البصريين باسميتها • مدلولها لفظ الفعل لا حدث ولا زمان بل تدل على ما يدل على الحدث والزمان • وقيل : بل تفيدهما •

(١) ندرج تحت هذه التسمية جملة مواد : منها أسماء الأفعال ، وافعال خاصة أخرى •

(٢) السيوطي ، همع الهوامع ١٠٥/٢ •

(٣) المصدر السابق •

وقالوا : دلالتها على الزمان بالوضع لا بالطبع وعلى هذا فهي اسم
لمعنى الفعل وهو ظاهر كلام سيوييه • وهى اسماء المصادر ثم دخلها معنى
الفعل وهو معنى الطلب في الأمر أو معنى الوقوع بالمشاهدة ودلالة الحال في
غير الأمر •

اما التنوين الذى يعرض لطائفة من هذه المواد فهو لدلالة التنكير
بمعنى انه اذا وجد دل على تنكير الحدث المفهوم من اسم الفعل •
ومنها ما أصله ظرف أو جار ومجرور • قال الرضي في « شرح
الكافية » وهذا النوع لا يستعمل الا متصلاً بضمير مخاطب نحو « مكانك »
بمعنى اثبت و « عندك ولديك ودونك » بالثلاثة بمعنى خذ • و (وراءك) بمعنى
تأخر • و « امامك بمعنى تقدم • و « اليك » بمعنى « تتح » • و « عليك »
بمعنى الزم ولا تقاس هذه في الأصح بل يقتصر فيها على السماع •
وعلى هذا فان جميع اسماء الأفعال منقولة اما عن المصادر الاصلية او
المصادر الكائنة في الأصل أصواتاً او عن الظروف أو عن الجار والمجرور^(٤) •
وجعلوا من هذا الباب ما جاء على « فعَال » للدلالة على الامر كقولهم :
نزال ودراك بمعنى : انزل وأدرك •

وقد رأينا ان الكوفيين اعتبروا هذه المواد مواد فعلية و فعليتها جاءت
على الوجه الذى استفيد في الاستعمال •
والحق أنها مواد فعلية قديمة جمدت على هيئة مخصوصة فلم يتصرف
فيها تصرف الأفعال على انا ينبغي أن ننظر اليها أفراداً وذلك لان لكل
طائفة منها بناءً خاصاً وطريقة في الاستعمال :

(١) ما كان من أسماء الاصوات فاستعمل استعمال الافعال حكاية
لتلك الاصوات نحو : « صه » بمعنى اسكت و « مه » بمعنى اكفف وايه
بمعنى حدثت و « أف » بمعنى اتضحجر و « اوه » بمعنى أتحسر •
والاعراب عن هذه المعاني يتأتى بهذه الأصوات وما زلنا نستعمل في
لغتنا العامية شيئاً من ذلك فنعرب عن الحسرة حكاية بصوت « آه » وما أشبه •

(٤) الرضي ، شرح الكافية ٦٦/٢ •

ثم ان السكوت يستفاد من حكاية صوت السين او الصاد فاذا طلب السكوت جئنا بهذين الصوتين كأن نقول « إس » او « أص » ومجيء الهمزة شيء يقتضيه اخراج الصوت لان الصوت لا يقوم وحده فالهمزة واسطة يدرك بها الصوت الذي يأتي بعدها • ومثل هذا جرى في فصيح العربية • فالصاد في « صه » هو حكاية لصوت السكوت او طلب له ، اما الهاء فقد جئ به ليكمل لهذا الصوت المطلوب حرفان فيدخل في بناء الكلمات واقل بنية للكلمات حرفان ثم يصار من ذلك الى الثلاثة ولعل التنوين الذي أشاروا اليه في « صه » و « مه » و « ايه » مفيد هذه الفائدة فهو ينقل الثنائي الى الثلاثي الذي جرت عليه العربية كما جرت عليه سائر اللغات السامية •

وما قلناه في « صه » نقوله في « مه » بمعنى « اكفف » و « ايه » بمعنى « حدث » • والتنوين الذي يعرض لهذه الادوات ليس علماً للتكرير كما زعموا اذ لا معنى لكونها نكرة ، كما ان التكرير يقتضي ان يكون مقابلاً للتعريف • وينبغي على هذا ان هذه الادوات ان عريت عن التنوين كان عريها ذاك دليلاً على انها معارف ولا نعرف وجهاً لكونها معرفة كما لا يعرف وجه تنكيرها •

وقولنا « اف » في معرض الضجر و « اوه » في معرض الحسرة والتألم جار على هذا النحو فهما صوتان يحكيان هذه الاحوال النفسية ، وما زال شيء منها باقياً في لهجاتنا الدارجة في كثير من بلادنا العربية • وأكثر هذه المواد بمعنى الأمر ولذلك نجد فيها :

« هات » بمعنى « أعط » وتتصرف بحسب المأمور افراداً وتثنية وجمعاً نحو : هات ، هاتيا هاتوا ، هاتى ، هاتين • وقال الخليل : « أصل هاتِ آتٍ من آتى يؤتى ايتاءً »^(٥) •

و « هلم » بمعنى « أقبل » او « ايت » أو « أحضر » وقد خلطوا في حقيقتها تخليطاً فزعموا انها مركبة من (هل) و (أم) • أو أنها مركبة من (ها) التنبيه و (لم) كما ذهب الخليل^(٦) وليس من دليل لغوي

(٥) المصدر السابق ٧٠/٢ •

(٦) المصدر السابق ٧٢/٢ •

تأريخي يشير الى ذلك ، والذي يؤيده الاستعمال أنها تعنى الافعال الطليية
المشار اليها •

وقد جاء في كتب النحو ان « هلم » تلزم حالة واحدة فلا يلحقها من
الضمائر ما يشير الى المأمور مفرداً أو مثني أو جمعاً نحو : هلم يا زيد ، هلم
يا هند • وقالوا ان هذه لغة أهل الحجاز ، وبها جاءت الآية : « قل هلم
شهداءكم » وقال تعالى « والقائلين لاخوانهم هلم الينا » • وذكروا ان لغة
بنى تميم تستعمل « هلم » استعمال الامر المتصرف فيقال : هلم يا رجل
وهلمي يا فلانة وهلموا يا رجال وهلمن يا نساء • وقد قالوا بتركيب
« حيّهل » وهو من « حي » بمعنى « هلم » و « هل » بمعنى خشي فصار
كلمة واحدة^(٧) •

ومن هذه المواد « تعال » بمعنى أقبل ويلحقه الضمائر المختلفة للإشارة
الى المفردة والمثني والجمع •

(٢) ما كان مصدرأ في الأصل ثم استعمل هذا الاستعمال للدلالة
على الطلب نحو « رويدَ » و « تيدَ »^(٨) بمعنى أمهل •

وربما استطعنا حمل « فعّال » نحو « نزال » و « نراك » على هذا
الباب فهي أحداث استعملت استعمال الأمر فنقلت الى الفعلية الصريحة • فاذا
قلت حذارِ العدو كأنك قلت احذر العدو •

وليس من دليل الى ما ذهب اليه السيد المخزومي من أنها تقيّد طلب
ايقاع الفعل فوراً^(٩) •

كما نستطيع الحمل على هذا الوجه : « شتان » بمعنى « افترق » ،
و « بطآن » بمعنى « بطؤ » و « وشكان » بمعنى « أسرع » •

(٣) أما هيهات فلم نستطع ان نهتدى الى أصلها ، وقد حكى الصنعاني
سناً وثلاثين لغة فيها ومنها هيهات وأيهات وهيهان وأيهان وغيرها •
وقد جاءت مستعملة للاعراب عن البعد نحو هيهات الأمل أي بَعْد •

(٧) لسان العرب : حرف الحاء •

(٨) السيوطي ، الهمع ١٠٥/٢ •

(٩) المخزومي ، في النحو العربي ص ٢٠٦ •

ومثل هذه « هيت » بفتح الهاء وكسرها وضمها •
وقد قلنا أنهم اعتبروا من اسماء الافعال ما كان ظرفاً نحو : دونك
ومكانك ووراءك ، وما كان جار ومجروراً نحو : اليك وعليك وهذه
تستعمل استعمال الافعال وان كانت غير أفعال ، وهي لا تشبه اسماء الافعال
الآخرى وذلك لانها من لوازم الافعال •

ويبدو أنها استعملت استعمال الافعال من افادة التعدى وال لزوم نحو :
« دونك الكتاب » بمعنى اثبت و « وراءك » بمعنى تأخر وذلك لتعلقها بالافعال
كثيراً حتى ادى بها الاستعمال الى الاستغناء عن متعلقاتها فنابت عنها • ولم
يكن هذا الاستغناء عن الافعال الا التماساً للايجاز الذى تقصد اليه العربية
في كثير من الاساليب • والذي يسّر الاستغناء عن الافعال وقيام الظرف
مقامه ما يستدل عليه من احوال الجملة فهذه الظروف النابتة عن الفعل
والقائمة مقامه لا يتأتى لها هذا الا اذا وقعت في سياق جملة طلبية • فيطاب
بها شيئاً والمأمور هو المخاطب وعلى هذا فان مجيئها على هذه الصورة كان
من اسباب الاستغناء عن الفعل والابقاء على الجملة الطلبية مكثفة بالظرف
او الجار والمجرور •

وعلى هذا فان هذه المواد تختلف عما دعي ب « اسماء الافعال » التي
عرضنا لها ، فان تلك مواد قديمة حفلت بها العربية للاعراب عن حاجات
نفسية وحكاية لها ثم توسع فيها فاستعملت استعمال الافعال • وهي من أجل
ذلك بداية ظهور الافعال في العربية في مراحل نشوئها وتطورها •

أما هذه الظروف التى قامت مقام الفعل فليس في شيء من ذلك فهي
تقع في حيز الطلب فيكون لها شأن غير شأنها وهي ظروف منقطعة الى
الظرفية فقولنا « مكانك » بمعنى أثبت غير قولنا « مكانى متسع » و « وورائي
المدرسة » • وعلى هذا فانه لا يؤمر بهذه الظروف المتكلم فلا يقال : دوني
كما لا يؤمر بالجار والمجرور: اليّ وعلىّ ونحو ذلك ، وذلك لانتفاء الحاجة
الى هذا النوع من الطلب لان المتكلم لا يأمر نفسه الا في مجالات معينة أخرى
ليس هذا سبيلها •

ولا يؤمر بهذه الادوات الغائب فلا يقال : مكانه ، واليه ، ودونه وعليه

لعدم تيسر هذا النوع من الطلب .

وقد تناول الدكتور المخزومي هذه الظروف في كتابه « في النحو العربي »^(١٠) فقال : « وهذه الظروف من متعلقات الافعال ، ولكن كثر استعمالها وحدها ، لتؤدي الاغراض التي تؤدي بالافعال في أقصر لفظ ، وأسرع دلالة ، فكأنها تحملت معاني الافعال التي تعلقت بها ، وليست هي الافعال ولا بأسماء الافعال ، ولكنها ظروف استعملت حيث تستعمل الافعال التي لم يصرح بها بدلالة قرائن القول ومناسباته ، كما تقول لمن تراه يسدد سهماً : القرطاس وكأنك تقول له : ارم القرطاس ، ولا تجد فرصة ان تقول : ارم ، لان السهم يوشك ان ينطلق من قوسه ، ولا تجد فرصة تسمح لك بالتصريح بلفظ الفعل ، ولا تجد لزماً عليك أن تصرح بالفعل ، لان ملابسات القول تشعر به ، وتشير اليه فكذلك اذا قلت له : مكانك مثلاً . وكأن تقدير الكلام : اثبت مكانك ، ولكنك لم تجد فرصة للتصريح بلفظ الفعل ، فقد يقع المخاطب في خطر قبل ان تنتهي من اللفظ بالفعل ، أو لم تجد ما يلزمك بالتصريح به ، لان ملابسات القول ، وتهيؤ المخاطب بالتحرك مما يدل على الفعل ، ويشير اليه فلا حاجة بك الى اظهاره .

قال المخزومي : انها كثرت في الاستعمال ، وهذا صحيح ، ثم نص على استعمالها الكثير « وحدها » وكلمة « وحدها » يريد أنها غير مفتقرة الى فعل يسبقها ومجيئها « وحدها » مكّنّها من أداء الاغراض التي تؤدي بالافعال في أقصر لفظ وأسرع دلالة ، فكأنها تحملت معاني الافعال التي تعلقت بها . وبهذا اللطف وهذه الدقة التدريجية في العرض يريد أن يقول الاستاذ المخزومي ان هذه الجمل لا حاجة بها الى الافعال وكأنه يخشى ان يقال له : انه متعلق بالعمل الذي يسببه العامل والعامل هو الفعل فراح ينكره بلطف وكأنك تشعر أن الفعل عنده حاضر وهو صاحب العمل ، ألا تراه يقول : فكأنها تحملت معاني الافعال التي تعلقت بها .

وانت تشعر بسيطرة الفعل وقوته وعمله في عرض السيد المخزومي

(١٠) المخزومي ، في النحو العربي ص ٢٠٤ .

في المثل الذي ضربه فقال : كما تقول لمن تراه يسدد سهماً : القر
وكأنك تقول له : ارم القرطاس ، ولا تجد فرصة ان تقول : ارم ، لان
السهم يوشك ان ينطلق من قوسه ، ولا تجد فرصة تسمح لك بالتصريح
بلفظ الفعل •

وفي هذا القول خشية من تقدير الفعل صراحة لئلا يقال : ان الباحث
يثبت قوة الفعل وأصلته في العمل •

واذا قلنا : « دونك الكتاب » لابد أن نقدر فعلاً استغنى عنه لمعرفته
ولكثرة استعماله وفي هذا الاضمار تحقيق للايجاز الذي تتطلبه العربية في
كثير من مجالات القول ، وليس ان المتكلم لا يجد فرصة للتصريح بلفظ
الفعل (خذ) ولان المخاطب يوشك ان يأخذ الكتاب • هذه التفسيرات
والتأويلات شيء لا يسكن ان يحصل في جميع هذه الاستعمالات • ثم ان
المخزومي ابتداء كتابه قائلاً ينبغي ان يكون النحو الجديد بعيداً عن التأويلات
والتقديرات كما ينبغي ألا يلجأ الى استخدام المنطق والعقل في هذه المادة
اللغوية والسييل الصحيح هو المنهج الوصفي •

وأنا ارى ان هذه التفسيرات التي جاء بها ليقول ان الفعل غير موجود
ولا مقدر في هذه الاستعمالات ، بعيدة عن المنهج الوصفي الذي اراد ان
يأخذ به في هذه المباحث النحوية •

وقد أكد الاستاذ المخزومي هذا المنحى وهو اضمار الفعل في فصل
آخر فأعاد قوله : « القرطاس » لمن يسدد سهماً ، وكأن التقدير « ارم
القرطاس » وفي هذا عدم تقدير فعل ناصب واستشهد بما جاء في « الكتاب »^(١١)
من قولهم : « اتميمياً مرة ، وقيسياً اخرى ؟ فلم ينسب (تميمياً) او (قيسياً)
الى فعل ناصب بعينه محذوف ، ولم يرد الى تقدير ذلك الفعل •

قال سيويه « انما هذا انك رأيت رجلاً في حال نلون وتنقل • فقلت :
اتميمياً مرة وقيسياً اخرى ؟ كأنك قلت أتحوّل تميمياً مرة وقيسياً اخرى ،
فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له ، وهو عندك في تلك الحال في

(١١) سيويه ، الكتاب ١/ ١٧٢ •

تلون وتنقل ، وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ، ليفهمه إياه ، ويخبره عنه ، ولكنه وبخه بذلك » .

وأنا أرى ان هذه المسألة التي عرض لها الخليل حجة على السيد المخزومي فقد أول هذه الجملة بقوله كأنك قلت : أتحوّل قيساً مرة ... الخ ومعنى هذا ان الجملة استغنت عن الفعل لمعرفة ولتردد ذكره .

وقد حمل الاستاذ المخزومي على هذا التأويل مسائل عدة منها :

(١) المنصوبات التي تقع في سياق فعلي ، من نهى أو أمر كما مر من قوله تعالى : « انتهوا خيراً لكم » .

(٢) المنصوبات التي تقع في سياق فعلي ليس نهياً ولا أمراً ، كقولهم : أخذته بدرهم فصاعداً ، وقولهم : مرحباً وأهلاً .

(٣) المصادر المنصوبة على الدعاء نحو : سقياً ورعياً .

(٤) المصادر المنصوبة على غير الدعاء ، كأن تكون في سياق (حمد) نحو : حمداً وشكراً ، أو سياق تعجب نحو : عجباً ، نحو : بهراً في قول ابن أبي ربيعة :

قال قوم : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب
(٥) المصادر المنصوبة على التشبيه نحو قولهم : فإذا له صوت " صوت حمار ، ومررت به فإذا له صراخ " صراخ الثكلى ، فانما نصب (صوت حمار) و (صراخ الثكلى) لانك مررت به في حال تصويت وصراخ ، وكأنك قلت : يصوت أو يصرخ ، ولم ترد الى ان تجعل من صوت أو صراخ صفة لما قبله ، أو بدلاً منه ، « ولكن لما قلت : له صوت علم انه قد كان ثم عمل » (١٢) .

(٦) المصادر غير المتصرفة مما يلزم النصب ، ويمتنع عن (أل) نحو قولهم : سبحان الله ومعاذ الله .

(٧) المشتقات الجارية مجرى الأفعال المنصوبة على التشبيه نحو قولهم : أقائماً وقد قعد الناس ؟ أقاعداً وقد سار الركب ؟ وقد فسر سيويه

(١٢) المصدر السابق ١/ ١٧٨ .

هذا بقوله : « اتقوم قائماً وأتقعد قاعداً » وهذا التفسير يتعد كثيراً عن التأويلات التي جاء الاستاذ المخزومي في مسألة « القرطاس » التي ذكرها ، وذلك لان سيوييه لا ينكر تقدير الفعل الذي حاول انكاره المخزومي بتفسيره وتأويله مخافة أن يؤخذ عليه تمسكه بالعمل الذي هو أصيل في الفعل كما يقولون •

(٨) الامثال المنصوبة على التحذير نحو قولهم : اياك اياك ان تجادل في غير الحق وقولهم : اياك والكذب ، وقوله تعالى : « ناقة الله وسقياها » •
(٩) « الاسماء المنصوبة على الاغراء نحو قوله :

أخاك اخاك ان من لا اخاله كساع الى الهيجا بغير سلاح
(١٠) الاسماء المنصوبة على التخصيص ، او الاختصاص ، نحو قولهم : نحن العرب اقرب الناس للضيف •

(١١) الاسماء الجارية مجرى المشتقات منصوبة على الترتيب كما مر من نحو قولهم : اتميميا مرة وقيسياً اخرى •

(١٢) الصفات المنصوبة على (الشتم) نحو قوله تعالى : « وامراً حمالة الحطب » او علي الترحم كالذي ذهب اليه الخليل في تفسير نصب (المسكين) في قولهم : مرتت به المسكين •

(١٣) المصادر المنصوبة على الأمر كقوله تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقول الباعر وهو قطري بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

وفي هذه المواضع جميعها جاءت المنصوبات دون تقدير فعل ناصب لها • هذا ما يقوله المخزومي وذلك لان ما يحيط القول من « ملابسات وقرائن وتوفر الطلب كل ذلك ادى الى النصب •

يقول الدكتور المخزومي في الامثال المنصوبة في باب التحذير نحو : اياك والكذب وما يشبه ذلك : المقام في هذه المواضع نصب ، لانها داخلة في سياق طلب ، غير محمولة على اسناد وعلى اضافة ، وانما تقول مثل هذا حين ترى رجلاً يهم بالقيام بعمل ما ، وتدرك ان فيما يقدم عليه خطر ، تريد

الى ان تنبهه الى ما يواجهه ، وتحذره منه ، في أقصر لفظ ، وأوجز عبارة
فلا ترى لزماً عليك ان تذكر فعلاً بعينه ، بل لا تجد فرصة ان تذكر
فعلاً بعينه ، فيضمر الفعل اكتفاءً بقرائن الخطاب ، والملازمات المحيطة
بالقول . فالاسماء في مثل هذه المواضع منصوبة على التحذير ، والتحذير
اسلوب يعتمد على القرائن والدلالات التي تكتنف الخطاب ، ويكتفى فيه
بذكر ما يراد الى التحذير منه ، فلا يذكر معه فعل « (١٣) » .

أقول : ان هذا التفسير وهذا الايضاح شيء قريب من الخيال والتصور ،
ذلك ان المتكلم يرى رجلاً يهم بالقيام بعمل فيدرك الخطر فيخطر له ان
ينبهه بأقصر لفظ وأوجز عبارة ، فلا حاجة الى فعل في هذه الحالة لانه لا يجد
فرصة تكفي ان يذكر الفعل . وعلى هذا فماذا يصنع المتكلم في الاغراء ان
وجد الفرصة مواتية وليس في السياق ما يشير الى قرب وقوع خطر ؟
أقول : هذا تفسير لا حاجة اليه في مسائل لغوية مادتها الالفاظ . وعلى
هذا فانا نقول بتقدير الافعال لان الجمل جمل فعلية وقولنا بفعلية هذه التراكيب
لا يفرض علينا - ونحن باحثون وفق منهج جديد - ان نتمسك بتأثير هذه
الافعال وعملها ، وان نصب هذه الاسماء الكثيرة لا يثير في انفسنا حاجة للبحث
عن عامل فليس ذلك من منهجنا . فانا نكتفي بالاشارة الى ورود هذه
الاسماء منصوبة ولا نقول بالعامل الناصب لها ، ذلك ان المنهج الذي نأخذ
انفسنا هو وصف الكلام الذي يستعمله العربون .

أما الذهاب الى امثال التفسيرات التي جاء بها الاستاذ المخزومي فأمر
يأباه منهج جديد لا يكتفى بوصف العلاقات بين الكلمات في الجملة .
كما انه ليس من العلم في شيء ان تتبع تفسيرات الخليل الفراهيدي الذي
كان له منهجه في عصر بعد عن عصرنا الحاضر بمراحل طويلة .
وفي كتاب سيبويه مادة كثيرة تتعلق باضمار الفعل ومن ذلك قوله : (١٤)

« هذا باب ما جرى من الامر والنهي على اضمار الفعل المستعمل اظهاره
اذا علمت ان الرجل مستغن عن لفظك بالفعل » وذلك قولك : زيداً

(١٣) المخزومي ، في الذخو العربي ص ٢١٢ .

(١٤) سيبويه ، الكتاب ١٢٨/١ .

وعمرأ ورأسه ، وذلك لانك رأيت رجلاً يضرب أو يشتيم أو يقتل
فاكتفيت بما هو فيه من عمله فقلت : زيدا أى أوقع عملك بزيد ، أو رأيت
رجلاً يقول : أضربُ شر الناس ، فقلت : زيدا • أو رأيت رجلاً
يحدث حديثاً فقطعه ، فقلت : حديثك أو قدم رجل من سفر ، فقلت :
حديثك ، استغنيت عن الفعل بعمله أنه مستخبر فعلى هذا يجوز هذا وما
أشبهه •

وأما النهي فانه التحذير كقولك : الأسدَ الأسدَ ، والجدارَ الجدارَ
والصبيَ الصبيَ ، فانما نهيتَه أن يقرب الجدارَ المخوفَ المائل ، أو
بقرب الأسدَ أو يوطئ الصبي • وان شاء أظهرَ مع هذه الأشياء ما أضمر
من الفعل فقال : اضربُ زيدا ، واشتم عمرأ ، ولا توطئ الصبي ، واحذر
الجدارَ ، ولا تقرب الأسدَ • ومنه أيضاً قوله : الطريقَ الطريقَ ، ان
شاء قال : خلَّ الطريقَ أو تنحَّ عن الطريق • قال جرير :
خلَّ الطريقَ لمن يني النارَ به وابرُزْ برزوة حيث اضطرك القدرُ
ومن هذا القليل ما جاء في الكتاب :

« هذا باب ما يضمّر فيه الفعل المستعمل اظهار من غير الامر والنهي »
وقوله : « هذا باب ما يضمّر فيه الفعل المستعمل اظهاره بعد حرف » (١٥) •

ونريد ان نعرض في هذه « الافعال الخاصة » لطائفة من الافعال قد تم لها
البناء الفعلي بطريقة خاصة ومن هذه الافعال :

(١) هرق

يبدو أن هذا الفعل قد جاء من « هراق » وهذا الفعل الاخير ليس
من ابناء الافعال الشهيرة ، وعلى هذا فلا بد أن يكون أصله « أراق » ،
والنظر في كتب اللغة المطولة يدل على هذا الابدال الغريب • وهذا الابدال
قد عرض لهذا الفعل في لغة عربية قديمة فجاء في شعر المتقدمين والجاهلين ،
مما يدل على أن الهاء المبدلة من الهمزة في هذه الكلمة لغة من اللغات
الخاصة وان لم نفد ذلك من كتب اللغة •

قال الازهري : هراقت السماء ماءها وهي تهريق والماء مُهْرَاق ،
الهاء في ذلك كله متحركة لانها ليست بأصلية انما هي بدل من همزة أراق ،
قال : وهرقت مثل أُرقت والأصل أُرقت (١٦) .

ويبدو أن من هذا الابدال حروف قليلة هي : هَرَحَتُ الدابة
وأُرَحْتُها ، وهنرت النار وأُنرْتُها . كما يبدو أنهم توهموا أصالة الهاء
فقالوا : أهرقتها فزادوا همزة في اول الفعل مرة أخرى ، وقولهم مُهْرَاق
ومهرقة هي من باب توهم أصالة الهاء فكأنها غير مبدلة . انشد ابن بري :
رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتُهَا ، ابنَ لُؤْيٍ حَذَرَ المَوْتِ ، لم تكن معراقه
وانشد للنابغة : . . . وما هُرِيقَ على الانصاب من جسد
وقال امرؤ القيس :

وان شغائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارسٍ من معولٍ
وقد حكى سيوبيه أهرَقَ الماء يُهْرِقه اهراقاً كما حكى أهرَاقَ
يُهْرِيقُ ، ومن ذلك قول كثير :

فأصبحت كالمهريق فضلة مائه لصاحي سرابٍ باللا يترقرق
وقد جاء المصدر من هذا الفعل في قول ذى الرمة :
فلما دنت اهراقة الماء أنصت لأعزلةٍ عنها وفي النفس أن أثنى
وهكذا فان أصول هذا الفعل قامت على زيادة الهمزة في الاول ، ثم
ابدلت الهاء من الهمزة ، ثم توهمت هذه الهاء من اصول الكلمة ثم خُرم من
الفعل شيء من أصوله وهو عين الكلمة الاصل فصار هَرَقَ .

(٢) اتخم

يقال : اتخمه الطعام ، ومن غير شك أن التاء توهمت حرفاً من اصول
الفعل وهي في الحقيقة من تاء المصدر « تَخْمَة » وتاء المصدر مبدلة من
النوا ، ومادة الكلمة (و خ م) .

(٣) اتهم

اتهمته فهو متهم ، وقد توهمت التاء الاولى التي ادغمت في تاء افتعل

(١٦) لسان العرب (هرق) .

اصيلة في الفعل • واغلب الظن ان ذلك جاء من تاء المصدر « تهمة » وتاء المصدر مبدلة من الواو ايضاً ، ومادة الكلمة « و ه م » •

(٤) تقى

وهو فعل جاء على صورة قضى يقضي فيقال : تقى يتقي ، وفعل الامر : تق تقى قال الشعبي :

تق الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلعتني في الحج ملتمساً وصلاً
وهذا الفعل قد حصل من باب توهم أصالة التاء في « اتقى » المزيد على (افتعل) ثم خرم على هذا النحو فصار تقى يتقي • وكأن الواو غير موجودة في بنائه في الأصل •

(٥) اتخذ

وهو فعل لابد ان يكون من أصل (اخذ) ثم بني على (افتعل) فصار (اتخذ) ثم خرم على هذا النحو فصار (اتخذ) وكأن هذا الفعل صار بعيداً نوعاً عن أصله فجاء على (فعل) بكسر العين بعد توهم التاء اصيلة في بنائه وهكذا قرئ في لغة التنزيل : لتخذت عليه اجرا •

(٦) خنثى

يقال خنثاه يخنثه اذا صيره كالخنثى • وهذا بناء خاص في ابيية الافعال ومن غير شك ان الالف الاخيرة زائدة ، وهو من باب صوغ الفعل من الاسم لضرورة خاصة • وقد توهمت الالف الزائدة الاخيرة اصيلة كما في بيت المتنبي :

خنثى الفحول من الكماة بصيفه

ما يلبسون من الحديد معصفرا

وهذا النوع من التوهم حاصل في الافعال كثيراً ، وليس هذا مما يعني في هذا الباب •

هذا ما وددت ان اعرض له في هذا الباب الذي بدا لي أن اقول فيه ما عندي مما اختلف فيه مع النحويين الاقدمين كما اختلف فيه مع طائفة من الباحثين في عصرنا هذا •

بناء الرباعي

اسهب النصرفيون الاقدمون في مادة الفعل ، فذكروا الفعل الثلاثي وابنيته وما ينصرف اليه من خصوصيات معنوية تخص وزناً دون آخر •
ثم بحثوا في مزيد الثلاثي ومعاني الزيادات ، وبحثوا في الرباعي المجرد •
وختموا هذا الباب بالكلام على الابنية الغريبة من الأفعال •
وقد فاتهم أن يبحثوا في كيفية بناء هذه الأفعال ، وكيف نشأت ، وهل كان الثلاثي اصلاً في البناء ، وما علاقة الثلاثي بالمادة الثنائية • كل هذا اغفله الأقدمون ، فكان على أهل هذا العصر أن يتموا ما لم يعرض له اوئلك الأقدمون •

غير أنه لابد من الإشارة الى أن أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ قد أشار الى بناء الرباعي عامة في الأفعال والاسماء وذهب الى أن الكثير من ذلك حصل بالنحت • والنحت تركيب بطريقة خاصة لا قياس فيها ، ومثل لهذا النحت في « الصاحبى »^(١) بقول العرب للرجل الشديد « ضَبَطَّر » من « ضَبَطَّ » و « ضَبَّر » • وفي قولهم : « صَهْصَلِق » من « صَهْل » و « صَلِق » وفي « الصلدم » انه من « الصلْد » و « الصدم » • وملاك الأمر في هذا النحت أن الرباعي المنحوت يأتي من مادتين ثلاثيتين على هذا النحو من الاعتباط في البناء •

وشدَّ أحمد بن فارس من اصحاب المعجمات في ذكره لطريقة بناء

(١) ابن فارس ، الصاحبى ص ٢٢٧ •

الرباعي في « مقاييس اللغة » وسألتبع الرباعي في هذا المعجم لاتين قول ابن فارس في طريقة البناء •

ويفرد ابن فارس لما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة احرف أبواباً يذكرها بعد استيفاء الثلاثي • ومما جاء من ذلك وأوله باء قوله (٢) :
اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق •
وذلك أن أكثر ما نراه منه منحوت • ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت
منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ • والأصل في ذلك ما ذكره الخليل
من قولهم : حَيَّعَ الرجل اذا قال حيَّ على •

ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم « عبشَمي » وقوله :

وتضحك منى شيخة عبشَمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً
فعلى هذا الأصل بينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول : ان ذلك
على ضربين : أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر الموضوع
وضعاً لا مجال له في طرق القياس •

فما جاء منحوتاً من كلام الرباعي أوله باء :

(البلعوم) مجرى الطعام في الحلق • وقد يحذف فيقال « بُلْعُم » •
وغير مشكل أن هذا مأخوذ من « بَلَعَ » ، الا انه زيد عليه ما زيد لجنس
من المبالغة في معناه وهذا ما اشبهه توطئة لما بعده • انتهى كلام ابن فارس •
أقول : ليس في « البلعوم » نحت على النحو الذي ذكره ابن فارس من
كون المنحوت آتياً من مادتين ثلاثيتين وحقيقته أن الميم زيدت على
المادة الثلاثية « بلع » كما تزداد الميم في أواخر كثير من المواد للغرض نفسه •
أما الواو فلا يدخل في مادة البناء فهو نوع من أنواع المد •
ثم ذكر ابن فارس :

ومن ذلك « بَحْتَرُ » وهو القصير المجتمع الخلق • فهذا منحوت من
كلمتين من الباء والتاء والراء ، وهو من بترته فبتر ، كأنه حُرِمَ الطول فبُتِرَ

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨ - ٣٣٦ •

خَلَقَهُ • والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، وهو من حَتَرْتُ وأَحْتَرْتُ ، وذلك ان لا تفضل على أحد يقال : أَحْتَرَّ على نفسه وعياله أي ضَيَّقَ عليهم • فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يُعْطَ ما اعطيه الطويل • أقول : التوصل بلطف ودقة الى الأصلين اللذين جاء منهما المنحوت لا يخلو من افتيات واصطناع ، وذلك أننا لا نلمح المعنى لكل من الثلاثين يسر ووضوح ، ولا بد من التعليل والتأويل حتى يتم وينسجم لنا المعنى المتحصل الذي تحمله المادة الرباعية المنحوتة • وربما كان لمح الأصل في « بَحْثَرُ » أسهل من غيره كما سنرى في الأمثلة التي سيأتي ذكرها • ثم قال :

ومن ذلك (بَحْثَرْتُ) الشيء ، اذا بَدَدْتُهُ • والبَحْشَرَةُ الكَدَرُ في الماء • وهذه منحوته من كلمتين : من بحث الشيء في التراب - وقد فسر في الثلاثي - ومن البَشْرُ الذي يظهر على البدن وهو عربي صحيح معروف • وذلك انه يظهر مفرقاً على الجلد •

أقول : ربما صعب على الباحث أن يرد هذا الفعل الرباعي الى أصله الثلاثين للعلاقة الضعيفة بين المعنى المتحصل في الرباعي « بحثر » وبين المعنى المتحصل من كل من الثلاثين • وسنجد أن سلوك هذا السبيل في أغلب المواد التي ذكرها ابن فارس لم يُسلمه من التسطط والتزيد • وربما شعر بذلك ابن فارس نفسه فأحتاط في عبارته كما ستبين ذلك •

وسأعقب هذا القسم المتعلق بالمواد التي جاءت في مقاييس اللغة بالمواد الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية لاتين طريقة البناء • ومن المفيد أن أذكر هنا ان الفعل « بحثر » معرُوف في عاميتنا البغدادية على القلب المكاني^(٣) فهو « بَحْرَث » فماذا كان يقول فيه ابن فارس لو جاء هذا الفعل

(٣) أقول : ان القلب المكاني الذي قال به اللغويون الاقدمون شيء من ألوان الكلام في اللغات العامية • وعلى هذا فاني استرجح أن تكون « جبذ » و « صاقعة » وما الى هذا من الكثير الذي ورد في باب القلب ، من باب اللغات الخاصة أي ما يصطلح عليه اليوم بـ اللهجات • ذلك ان كلام العرب جرى على الفصيح المشهور وهو « جذب » و « صاقعة » • ومما يؤيد هذا النظر

على الطريقة من القلب في كلام العرب • أتراه يرده الى أصله « بحث »
و « بشر » أم تراه يقول : من « بحث » و « حرث » •
ثم قال :

ومن ذلك (البَعَثَقَة) وتفسيره خروج الماء من الحوض • يقال
تبَعَثَقَ الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها • وذلك منحوت
من كلمتين : بَعَقَ وبَثَقَ ، يقال انبعق الماء تفتح وبثقت في الماء وقد مضى
ذكره •

أقول : ذكر ابن فارس ان « بثق » مضى ذكره ويقصد في باب الثلاثي
ولكنه لم يذكر معناه هناك واكتفى بذكر المادة وكأنها من المشاهير • وحقيقة
البثق خروج الماء •

ثم قال :

ومن ذلك (ابلندَح) وتفسيره اتسع • وهو منحوت من كلمتين :
من البداح وهو الأرض الواسعة من البلد وهو القضاء البراز وقد مضى
تفسيرهما •

ثم قال :

ومن ذلك قولهم (بلطح) الرجل اذا ضرب بنفسه الارض • فهي
منحوتة من بَطِطَ وَأَبْلِطَ اذا لصق بِلَاطِ الأرض •
أقول : أجرى ابن فارس هذا الفعل على أنه منحوت • والنحت عنده
مادة ضخمة تدخل في الكثير مما زاد على الثلاثي • وكأنه لا يريد أن
يقول ان اللام في هذه المادة طارئة وهي ابدال من الطاء في « بطَّح »
بالتضعيف ، فانه حيث فك التضعيف حصل الابدال • وهذا لون من ألوان
بناء الرباعي كما سنرى •

ومن ذلك قولهم (بزمنخ) الرجل اذا تكبر • وهي منحوتة من قولهم
زمنخ اذا شمنخ بانفه ، وهو زامنخ ، ومن قولهم بَزَخَ اذا تقاعس ومشى

أنا نجد هذا القلب كثيرا في عاميتنا بالقياس الى الفصيحة المليح نحو
« دحق » وفصيحة « دحق » ، و « يواسى » وفصيحة « يساوى » ، وغيرها •

متبازحاً اذا تكلف اقامة صلبه •

أقول : ان النحت قد يلمح في « بزمنخ » للعلاقة بين « زمخ » و « بزخ »
دون أن يكون في سلوك هذا السبيل من شطط •
وقال :

ومن ذلك قولهم « تبلخص لحمه » اذا غلظ • وذلك من الكلمتين ،
من اللخص وهو كثرة اللحم ، يقال ضرع لخص ، ومن البخص ولحمة
الذراع والعين وأصول الأصابع •
وقال :

ومن ذلك (تبرعر)^(٤) أي ساء خلقه • وهذا من الزعر
والزعرارة ، والتبرع ، وتبرع الغلام ظرف •
أقول : ان لمح النحت في هذه المادة بعيد ، ذلك ان المادتين الثلاثين
لا تعينان على تكوين هذا المعنى الجديد الذي لا يلمح الى الظرف وما يقاربه
في المعنى •

ومن ذلك (البهنسة) التبخر فهو من البهس صفة الأسد ، ومن
بنس اذا تأخر • معناه انه يمشي مقارباً في تعظم وكبر •
أقول : ليس في هذه المادة الرباعية ما يقوي القول بالنحت ذلك انه
لا سبيل الى المح مادة (بنس) في الرباعي (تبهنس) •
وقال :

ومما يقارب هذا قولهم (بلهنس) اذا أسرع • فهو من (بهس)

(٤) لم ترد هذه المادة في اللسان ، بل جاءت في القاموس • واغلب
الظن أنها من الكلام العامي الذي يجد في عصر دون آخر • فمن الجائز
أنها لم تكن معروفة مستعملة في عصر ابن مكرم الافريقي صاحب اللسان ،
او قل أنها لم تكن معروفة في العافية المصرية او الافريقية بوجه عام في ذلك
العصر ، بل كانت معروفة في المشرق ولهذا ذكرها المجد الفيروزابادي الذي
عرف كثيراً من ديار المشرق • كما ذكرها ابن فارس من قبل •
ونريد ان نعلق على هذه المواد مثل (بزمنخ) و (تبلخص) و
(تبرعر) وذلك أنها ترد الفاظاً يتيمة في المعجم وهي تفتقر الى النصوص
المستعملة الماثورة ولم ترد حتى في أراجيز الرجاز • وهذا يقوى عندي عاميتها
وانها موضوعة مصنوعة •

ومن (بَلَهَ) وهو صفة الأبله •
ومنه (بَلَأَصَّ) بمعنى هرب غير أصل لان الهمزة مبدلة من هاء
والصاد مبدلة من سين •

أقول : يريد أن يقول ان (بلهس) تحولت بالابدال الى (بلاَص) •
ولا أرى وجهاً للنخت من (بهَس) و (بَلِهَ) لان مادة (بله) لا تلمح
في المادة الرباعية المنحوتة •

ثم ذكر ابن فارس باباً آخر من الرباعي فقال^(٥) :
ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ،
لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة ، كما يفعلون في
(زُرْقُم)^(٦) و (خَلْبَن)^(٧) لكن هذه الزيادة تقع أولاً وغير أول •
وقال :

ومن ذلك (بَلَدَمَ)^(٨) اذا فَرِقَ فسكت • والباء زائدة ، وانما
هو من لَدِمَ اذا لَزِمَ بمكانه فَرِقاً لا يتحرك •
أقول : ان بين الثلاثي والرباعي علاقة بينة ، وقد تكون هذه الزيادة
مقوية للمعنى أو موضحة له بشكل خاص • على ان الفعل رباعي وتلايته
من النوادر التي لم يعرف لها استعمال ، وما أكثر ذلك في المعجم القديم •
وقال :

ومن ذلك (برعم) التبت اذا استدارت رُؤُسُه • والأصل بَرَعَ اذا
طال •
وقال :

ومن ذلك (البرَكَلَة) وهو مشي الانسان في الماء والطين ، فالباء
زائدة وانما هو من تَرَكَلَّ اذا ضَرَبَ باحدى رجليه فأدخلها في

(٥) معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٢ - ٣٣٥ •

(٦) الزرقم الزاء والقاف الشديد الزرقة •

(٧) الخلبن بفتح الخاء والباء والخرقاء ، انظر مادة (خلبه) في
اللسان •

(٨) في المجمل بالبدال والذال •

الأرض عند الحفر •

قال الأخطل :

رَبَّتْ وَرَبَّأً فِي حَجَرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يظل على مسحاته يتركَّلُ
أقول : ان المعنى الجديد المتحصل بالزيادة لا يمكن ان يكون نوعاً
من المبالغة للمعنى الاول •
وقال :

ومن ذلك قولهم (بَلَسَمَ) الرجل كَرَّهَ وجهه • فالميم فيه زائدة ،
وانما هو من المَبْلِسِ ، وهو الكئيب الحزين المنتدم • قال :
* وفي الوجوه صُفْرَةٌ وابلاس* •

أقول : ان زيادة الميم كِسْعاً في الكلمة Suffixe كثير في الرباعي
من الافعال والأسماء نحو صِلْدِمَ ، وَزُرْقَمَ وَبَلَعَمَ وَحَلَقَمَ وَزَرْدَمَ •
وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تعثرت نفسي) فالعين زائدة ، وانما هو في الباء والياء
والراء •

أقول : لا أدري كيف علل الرباعي بزيادة العين في هذا الفعل ، في
حين أنه قال بالتحث في (بَحَثَر) من مادتي (بحث) و (بشر) •
وليس هذا هو الصواب عندي • فان كلا الفعلين مادة واحدة فان
(بعثر) هي (بحثر) والمسألة تتعلق بالاببدال بين الحرفين • وعلى هذا
فان الأصل (بحثر) ثم حصل الابدال •

ثم يعقب ابن فارس هذا الباب باب آخر يعرفه بانه وضع وضعاً^(٩) •
وهذا التعريف المقتضب يشير الى حيرة ابن فارس في فهم هذا النوع من
الرباعي ، ذلك أنه لم يعرف الأصل الذي جاء منه ويمثل له بجملته من
الأمثلة التي أولها الباء ومنها :

البُهْصُلَةُ : المرأة القصيرة ، وحمارُ بُهْصُلٍ قصير • والبُخْبُقُ :
البرْقُعُ القصير ،

(٩) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٣٥ •

البَلْعَت : السيء • البَهْكَةُ السرعة • بَرُشَطٌ^(١٠) اللحم

شرشره •

بَرُشَمَ الرجلُ اذا وَجِمَ •

وذكر ابن فارس في كتاب الثاء من معجمه في « باب ما جاء من كلام

العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله ثاء مواد منها :

(الثُرْمُطَة) ، وهي اللثَق والطِين • وهذا منحوت من كلمتين من

الثَرَط والرَّمْط ، وهما اللطخ • يقال ثُرِطَ فلان اذا لطخ بعيب وكذلك

رُمِط •

أقول : وهذه من النوادر أيضاً وما أكثر ذلك في الرباعي والخماسي •

ويبدو أن الوضع أو الاصطناع قد فشا في الابنية التي على أكثر من

ثلاثة أحرف •

وقال :

ومن ذلك (اثبجر) القوم في أمرهم ، اذا شكوا فيه وترددوا من

فزع وذعر • وهذا منحوت من الثَّبَج والثُّجْرَة •

أقول : والثَّبَج معظم الشيء ووسطه ، وثَّبَجَ الرجلُ اذا ألقى على

أطراف قدميه • اما الثُّجْرَة في الوادي فهي وسطه وما اتسع منه • ويتبين

من هذا أن كلتا المادتين يفيدان شيئاً واحداً وهو الاتساع والشمول ، ولست

أدري كيف تم التحت على قول ابن فارس ، وهل يشعر المنحوت بشيء من

هذا المعنى ، وعلى هذا فليس من الصواب القول بالتحت في (اثبجر) ،

واكبر الظن أنه من الموضوعات التي وضعت دون أن يكون هناك اتصال بمادة

ثلاثية •

ويوجز ابن فارس الكلام في كتاب الجيم من معجمه على ما جاء من

كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم فيقول^(١١) :

وذلك على أضرب : فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي

القياس • ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد الحق بالرباعي والخماسي بزيادة

(١٠) لم ترد هذه المادة في اللسان ..

(١١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/ ٥٠٥ - ٥١٣ •

تدخله • ومنه ما يوضع كذا وضماً •
فمن المنحوت قولهم للباقي من أصل السعفة اذا قطعت (جُذْمُور)
قال (١٢) :

بناتين وجذْمُوراً أقيم بها صدرَ القناة اذا ما آنَسُوا فزَعَا
وذلك من كلمتين : احدهما الجِذْم وهو الأصل ، والأخرى الجِذْر
وهو الأصل •
أقول :

وكان ابن فارس قد وجد في هذه الكلمة صدق ما ذهب اليه من
وجود النحت في هذه المادة فقال : وهذه الكلمة من أدلّ الدليل على صحة
مذهبنا في هذا الباب وبالله التوفيق •
وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للرملة المشرفة على ما حولها (جمهور) • وهذا
من كلمتين من جَمَر ، وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا
الجَمَرَات من العرب بما مضى ذكره ، والكلمة الأخرى جَهَر ، وقد
قلنا ان ذلك من العلو • فالجمهور شيء متجمع عال •

أقول : ان (الجمهور) يدل على التجمع وعلى هذا فهو ألصق
بـ (جمر) ولا أرى وجهاً أن يكون في (جمهور) مادة (جهر) التي تفيد
العلو ، ذلك ان العلو لا يلمح في الكلمة المنحوتة •

والذي يبدو لي أنه من (جُمُور) بتشديد الميم وتعويض الهاء من
احدى الميمين ، وهذه طريقة سنجدوها في كثير من المواد الرباعية •
وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للأرض الغليظة (جَمْعُرة) • فهذا من الجمع ومن
الجمر •

(١٢) البيت لعبدالله بن سبرة يرثى يده وكانت قد قطعت • اللسان
مادة (جذمر) •

أقول : هذه مادة تشعر بالنحت من الأصلين الثلاثين اللذين ذكرهما ابن فارس • وسأورد من الرباعي العامي هذه المادة وهي (جَعْمَرَة) وهي تختلف عما اثبت ابن فارس بما نسميه بـ (القلب المكاني) • غير أن ابن فارس يعود ثانية الى هذه المادة فيذكر أنها منحوتة أيضاً • ولكنها في هذه المرة من (جمع) و (مَعَر) والمعر وهو الأرض لانبات بها • وهذا القول الثاني يدل بوضوح أن ابن فارس في حيرة ، ولهذا فهو متخبط متردد ، ذلك أن القول بالنحت أمر يلمح بالنظر الصائب ، واللفظ في تناول المواد وان افتقر الى القياس والتقدير ، ولهذا فقد كان على من يبحث أن يكون حذراً دقيق النظر في القول بالنحت فلا يقول به الا متى اشعر بذلك بوضوح وجلاء •

ويعود ابن فارس فيقول :

ومن ذلك قولهم للقصير (جَعْبَر) وامرأة جَعْبَرَة قصيرة • قال (١٣) :

* لا جعبريات ولا طهاميلا *

فيكون من الذي قبله ، ويكون الراء زائدة • أقول : ذكر ان (جَعْبَر) من مادة ذكرت قبلها وهي (جَرَّعَب) التي جاءت من الجَعَب وهو التقبض والجرع التواء في قوى الجبل ، والراء زائدة • وفي كلتا الكلمتين الراء زائدة ، واراد ان يقول : ان القلب المكاني قد دخل في هذه المادة • غير أن (جَرَّعَب) معناها الجافي ، وهو معنى بعيد كل البعد عن معنى (جَعْبَر) • وما أظن ان القلب المكاني يغير في معاني الالفاظ على هذا النحو من البعد • والذي أراه أن (جَعْبَر) للقصير و (جَعْبَرَة) للقصيرة لم تخرج

(١٣) الرجز لرؤية في ديوانه ١٢١ واللسان (جعبر طهمل) • ويبدو لي أن مقالة الاقدمين بنسبة الوضع الاصطناعي للغوي لرؤية وأبيه العجاج لها ما يقويها ، وهو أن كثيرا من الغريب الذي جاء في ارجازهما لم يعرف عند غيرهما ، وان الكثير منه من ابنية غريبة ليست مشهورة في فصيح العربية وربما افتقرت الى خصائص الفصاحة الاخرى •

عن مادة (جعمر) والباء في (جَعَبَر) مبدلة بالميم •

وذكر ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للحجر (جَنْدَل) • فمن أن يكون نونه زائدة ،
ويكون من الجَدَل وهو صلابة في الشيء وطَيٌّ وتداخل ، يقولون حلق
مجدول • ويجوز أن يكون منحوتاً من هذا ومن الجند ، وهي أرض صلبة •
فهذا ما جاء على المقاييس الصحيحة •

أقول : قوله : ان يكون نون (جَنْدَل) زائدة ليس بصحيح فهي
تعويض من الدال في (جدَل) بالتشديد • فان فك الادغام يؤدي الى هذا
العوض وهو كثير في الفصح وأكثر منه في العامي • وسنرى ذلك عند
الكلام على الرباعي العامي •

ثم يختم ابن فارس كتاب الجيم بالمواد التي وضعت وضعاً وهي تلك التي
لا يقول في بنائها شيئاً ومنها :

المجْلَنْظِي الذي يستلقى على ظهره ويرفع رجليه •

أقول : هذا البناء من الابنية الغريبة فان (اجلنظي) ليس على صيغة
معروفة مشهورة وهو من الفرائد الرائب • ومثل هذا قولهم (اسلنقي)
في المعنى نفسه واجنظي للمتفخ بطنه • والذي أراه ان هذه الأفعال مما لا
تدع شكاً في ان الوضع والاصطناع قد حدثا في العربية وان شيئاً كثيراً من
ذلك كان من صنعة اللغويين •

ومثل هذا المَجْلَسِبَ والمَجْلَخْدَ للمستلقى أيضاً •

ويذكر ابن فارس في كتاب الحاء مما جاء من كلام العرب على أكثر
من ثلاثة احرف^(١٤) ما يأتي :

ومنه (الحَلْقُوم) وليس ذلك منحوتاً ولكنه مما زيدت فيه الميم ،
والأصل الحلق • والحَلَقَمَة • قطع الحَلْقُوم •

أقول : هذا صحيح وزيادة الميم في هذه المادة واضحة ولكن ما بال
ابن فارس لم يقل هذه المقالة في (بلعوم) وحسبها مما زيد فيه الواو والميم

(١٤) معجم مقاييس اللغة ١٤٣/٢ - ١٤٨ •

وليس كذلك فإن حروف المد لا تعتبر من الاصول في ابنىة الاسماء اذ لو كانت منها لكانت حلقوم خماسية وليست رباعية وهذا خلاف ما اتفق عليه .
وقال :

ومنه (المَحْلَقِينَ) من البُسر وذلك أن يبلغ الِارطاب ثلثيه .
وهذا مما زيدت فيه النون ، وانما هو من الحلق ، كأن الِارطاب اذا بلغ ذلك الموضع منه فقد بلغ الى حلقه . ويقال له الحُلُقَان ، الواحدة حُلُقَانَةٌ .
أقول : كما يزداد الميم في آخر المواد الثلاثية لتكون رباعية كذلك يزداد النون في مواد كثيرة من اجل هذا . والفصيحة في هذا مثل العامية كما ستبين ذلك في عرضنا للرباعي العامي .
وقال :

ومن ذلك (احرنجم) للابل ، اذا ارتد بعضها على بعض ، واحرنجم القوم اذا اجتمعوا . وهذه فيها نون وميم ، وانما الأصل الحَرَج ، وهو الشجر المجتمع الملتف .

أقول : وهذا الفعل من الافعال التي كثر الاستشهاد بها في كتب الصرف واللغة ، ولكنها افتقرت الى الاستعمال المشهور ، والزيادة كما ذهب ابن فارس واضحة بينة . وأريد أن أزيد شيئاً وهو أن الفعل معروف في العامية البغدادية ، وعند العامة ان (حرجم) معناه ثبت في مكانه دون حراك لا يقوى على عمل أي شيء ، وفي هذا المعنى ملح لشيء من معناه في اللغة الفصيحة .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تحترش) القوم : حشدوا والتاء فيه زائدة وانما الاصل الحرش والتحريش . وفيه ايضاً أن يكون من حَتَرَ وأصله حَتَار الخيمة وما اطاف به من اذيالها فكذلك هؤلاء تجمعوا واطاف بعضهم بعض فقد صارت الكلمة اذاً من باب النحت .

أقول : لم يكن ابن فارس على بينة من هذا الفعل ، فإنا هو قال بزيادة التاء عاد فمال الى القول بالنحت وللتوصل الى القول بالنحت سلك سبيلاً غير ممهد وتشبث بالضعيف من العلاقات المغنوية . وعندى أن زيادة التاء

أمر صحيح يدل على أنهم قالوا : حرَّشْتَ بينهم اذا اغريتَ وألقيت
العداوة •

ومن المفيد أن نذكر أن الفعل (تحترش) موجود في العامية العراقية
ومعناه قريب من (حرَّشَ) المذكور وهو التقرب من احد من الناس بقصد
الاذى واثارة العداوة والبغضاء •

وقال ابن فارس في كتاب الخاء مما جاء من كلام العرب على أكثر
من ثلاثة احرف^(١٥) : ومنه (المخرنطم) الغضبان • وهذه ومنحوته من
خطم وخرط ، لان النضوب خروط راكب رأسه • والخطم : الأنف ،
وهو شمنح بأنفه • قال الراجز في المخرنطم :

ياهيء مالى قَلِقَتْ محاورى وصار أمثال الفغا ضرائرى
مخرنطمات عُسْراً عواسرى

والمخرنشم مثل المخرنطم •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (خردات) اللحم : قَطَعْتَهُ وفرقته • والذي عندى في هذا
أنه مشبه بالحب الذى يسمى الخردل ، وهو اسم واقع فيه الاتفاق بين
العرب والعجم وهو موضوع من غير اشتقاق • ومن قال خَرَّ ذَلْ جعل الدال
بدلاً من الدال •

أقول : هذه طريقة من طرائق صوغ الرباعي وهو اشتقاقه من أسماء
الأعيان كما اشتق (خَرَّ دَلْ) من الخردل ، و (فَلْفُلْ) من الفُلْفُل ،
و (نَرَجَسْ) من النرجس و (يَرْنَأْ) من اليرنأ •
وقال :

ويقولون (خَلْبَصَ) الرجل ، اذا فرَّ والباء فيه زائدة وهو من
خَلَصَ • وقال :

لما رآنى بالبراز حصصا فى الأرض منى هرباً وخبصاً

(١٥) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٤٨ - ٢٥٤ •

أقول : يبدو لي أن الباء غير زائدة ، وإن اللام هي الزائدة والأصل
خَبَصَ لا خَلَصَ ، وفي (خَبَصَ) معنى الخلط والحيرة والذي يخبص
هو الذي اختلط عليه الأمر . وقول الراجز :

• • • • • في الأرض منى هرباً وخالبصاً

يتخرج على هذا المعنى من الخلط والحيرة لا فرق .
وبعد فالكلمة مما يستعمله عامة العراقيين في عصرنا في هذا المعنى
الذي أشرت إليه .
وقال :

ويقولون (الخَبَصَة) : اختلاط الأمر . فان كان صحيحاً فالنون
زائدة وإنما هو من (خَبَصَ) ، وبه سُمِّيَ الخييص .
أقول : وهذا من المادة السابقة والابدال بين اللام والنون كثير في
العربية .

وقال ابن فارس :

و (الخرطوم) معروف ، والراء زائدة ، والأصل فيه الخطم .
أقول : هذا هو الوجه ، ولكن لم قال بالنحت في (مخرنظم)
و (مخرنشم) وكلها متساوية في كونها من أصل ثلاثي زيدت فيه الراء .
وعندى أن الراء في هذه المواد جاءت تعويضاً من احد من حرفين
بعد فك ادغامهما . ألا ترى ان (خطم) بالتشديد حين يفك الادغام يحصل
فيه هذا التعويض ، كما سنعرض لذلك في كثير من الافعال .

وفي كتاب الدال يذكر ابن فارس في باب ما جاء من كلام العرب
على أكثر من ثلاثة احرف مواد على نحو ما ذكره في الحروف
الأخرى .

وهذه المواد بصورة عامة تحملني على القول : ان معجمات العربية في
هذا الباب حفلت بالغريب المهجور الذي لم يسلم من الوضع والاختراع
فانت واجد في هذا الباب كلمات يتيمة وأقصد باليتيمة ما لم تدخل في
الاستعمال المشهور الفصيح ، ثم انها بعد ذلك غريبة الابنية تقتقر الى شيء

كثير من تناسق الاصوات وانسجامها •

لقد شك أهل البلاغة في لفظة (الهعخع) وذلك أن الكلمة الفصيحة عندهم ما تباعدت فيها مخارج الحروف كما قال الخليل • وفاتهم ان يقولوا شيئاً في اجلَنْظَى واحرَنْبَى واسلَنْقَى والجلَنْفَع والجُخْدَب والْبَحْزَج والبرعس والبرْفُطَة والحَزَنْبَل والحَبَوَكِر والحبْلَق واجبَنْطَى والخُبَيْبَة والخُثَارِم والدُّلْمَص' والدُّمْلَص والدِفِيس والاِدْرِنَاق والاِدْعَنَكَار والِدَهَكَم والدَغْفَل ومثل هذا كثير نجده في جميع كتب اللغة المطولة •

وعندى ان جل هذا مما اصطنع اصطناعاً فبقي حيساً في هذه المطولات • غير انى اخترت من مجموع هذا ما توسمت الصحة فيه ولا سيما ما وجد نظيره في لغتنا الحديثة فصيحة ام عامية •

ومما ذكره ابن فارس من كتاب الدال من هذا الباب : (الدَّعْبَل) وهو الجمل العظيم^(١٦) وهو منحوت من كلمتين من دَبَلْتُ الشيء اذا جمعته ومن عبَل •

أقول ان هذه المادة ما زالت في عاميتنا (دَعْبَل) ومعناها كَوَّر الشيء فصار كالكرة التى تتدحرج • وفي هذه الدلالات ما يشعر ولو قليلاً بالفصيحة القديمة •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (الدُّعْشور) وهو الحوض الذى لم يَتَنَوَّق في صنعته • وهذا مما زيدت فيه العين ، وهو من (دَعَّر) • ويجوز ان يكون من (دَعَث) •

أقول : وعندى أنه من (دَعَّر) أولى ، وذلك لان (الدَعَث) الحقد وبعيد هذا عن المعنى المتحصل بالزيادة • والذى يقوي عندى هذا المعنى ان المادة موجودة في عاميتنا الحاضرة (دَعْشَر) والدعشرة في لسان اهل هذا العصر عدم التنوق في الملبس كقولهم علان مدعشر (بالبناء للمفعول) •

(١٦) الدعبل في المعجمات المطولة : الناقة القوية أو الشارف •

وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب^(١٧) :

(رَعَبَلْتُ) اللحمَ رَعَبَلَةً إذا قطعته • قال :

ترى الملوك حوله مرَّ رَعَبَلَهُ^(١٨) •

فهذا مما زيدت فيه الباء ، وأصله من رَعَلَ ، والرَّعْلَةُ ما يقطع
من اذن الشاة ويترك معلقاً ينوس •

أقول : ان هذه المادة حية في العامية المتداولة في العراق (رَعَبَل)
ومعناها فقدان الحسن والتنوق في الملبس بحيث يبدو الرجل (مُرَّعَبَلًا)
فاقداً للرشاقة والانسجام أميل الى الضخامة والانساع • وجملة هذه المعاني
تقوى عندي ان هذا الفعل العامي صيغ على طريقة النحت من رَبَلَ وِعَبَلَ
وكلا الفعلين يدلان على التجمع والكثرة والانضمام ، وشيء من هذا المعنى
ثابت لهذه المادة في المعجمات المطولة فالرَّعْبَلَةُ ما أُخْلِقَ من الثوب وثوب
مُرَّعَبَلٌ ممزَّق ، وثوب رعايل أخلاق •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (المُرَّجَحِنَ) وهو المثل ، فالتون زائدة لأنه من رَجَحَ •

أقول : وهذا صحيح وزيادة النون معروفة للمصير الى الرباعي •

وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب^(١٩) :

فمن المشتق الظاهر اشتقاقه قولهم (الزُرُقَم) ، أجمع أهل اللغة أن

أصله من الزرق ، وان الميم فيه زائدة •

أقول : ان زيادة الميم في الآخر مما جرت عليه العربية وهو في الكثير

الغالب يراد به نوع من المبالغة فان (زُرُقَم) كما ذكر الليث^(٢٠) الشديد

الزرق ، قال : يقولون اذا اشتدت زرقه عين المرأة : انها لزرقاء زُرُقَم •

وزيادة الميم في آخر الكلمة مما جرت عليه العربية طبيعةً وذلك ان الميم

مما يحسن أن يوقف عليه •

(١٧) معجم مقاييس اللغة ٥٠٩/٢ - ٥١٠ •

(١٨) ويروى أيضا مغربلة كما في اللسان (غربل) •

(١٩) معجم مقاييس اللغة ٥٢/٢ - ٥٥ •

(٢٠) اللسان (زرقم) •

وكما تزداد الميم في الآخر تزداد في حشو الكلمة نحو : (ازمهر)
في قولهم ازمهرت الكواكب اي ازهرت ولمعت •
ومثل هذا (زمجر) فهي من غير شك من (زجر) •

وفي كتاب السين مما ذكره ابن فارس جاء :
(اسلهم) اذا تغير لونه فاللام فيه زائدة ، وانما هو من سهم
وجهه يسهم اذا تغير والاصل السهم •
أقول : مثل هذا الفعل ما نجد في العربية الحديثة وهو (سلهم)
والمعنى واحد •

ومن ذلك (السرطم) الواسع الحلق والميم زائدة وانما هو
سراط اذا بلع •
أقول : هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من زيادة الميم في الآخر للمبالغة •
وهكذا يستمر ابن فارس في ذكر ما جاء من كلام العرب على أكثر
من ثلاثة أحرف مبوباً ذلك على الأحرف التي تبدأ بها المواد •

وقد قلت : ان ابن فارس قد قال بالنحت في كثير من المواد ، ولكنه
مع ذلك يقف حائراً في مواد كثيرة ايضاً ينعتها بأنها وضعت وضماً ، ومعنى
ذلك أنه لم ير وجهاً من وجوه البناء وصيورتها على أكثر من ثلاثة
أحرف •

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الأفعال الرباعية مما جرى على
السنة العامة في بغداد أو في غيرها من صنع العربيين • أقول من صنعهم لانه
لا نستطيع ان نعرف أصول تلك الأفعال الرباعية ولا ما يقرب منها في
الفصح المشهور ، فقد ينطلق أحدهم ببناء من اربعة احرف على « فعلَل »
يتصور فيه صاحبه ان عدة هذه الاصوات على هذا النحو تفيد اللفظ والهدر
او ما اشبه ذلك • ربما كان هذا المعنى من باب حكاية الاصوات التي جرى
بها اللسان •

وأنا لا اشك في أن الغرائب من المواد في العربية التي لم تخرج الى
الاستعمال المشهور مصنوعة موضوعة ، وعلى هذا نستطيع ان نفسر كثيراً

من الرباعي العامي الذي ينطلق به اللسان ثم يكتب له الشيوع .

وإذا أجلنا النظر في (جمهرة) (٢١) ، ابن دريد وجدنا مادة غريبة ذات ابنية غريبة وأن معنى واحداً تتوارد عليه مئات من الالفاظ . فإذا اخذنا شدة الخلق وقوة البناء في الانسان والحيوان كالجمل والناقة على سبيل المثال ، وجدنا طائفة كبيرة من الالفاظ تتناول هذا المعنى . وليست (الجمهرة) بدعاً بين كتب العربية فهي كلها تحوى من هذا الغريب الشيء الكثير .

ويبدو أن شيئاً كثيراً من هذا الغريب الذي لا يدل الا على معان يسيرة موضوع مفتعل .

وقد اورد السيوطي (٢٢) طائفة من هذا مما روي ولم يصح ولم يثبت ، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راو منه ، أو جهالته ، أو عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه . والسيوطي ينقل هذه الالفاظ من « الجمهرة » .

وكان ابو منصور الازهري صاحب « التهذيب » قد ذكر في « مقدمته » (٢٣) : « وممن ألف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية ، وتوليد الالفاظ ، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامها : ابو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب « الجمهرة » وكتاب « اشتقاق الاسماء » ، وكتاب « الملاحن » وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروي عن حاتم والرياشي وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي . وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثقه في روايته . والفيتة أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم « الجمهرة » فلم أَرِدْ ، لا على معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة انكرتها ولم اعرف مخارجها فابتنها في كتابي في مواقعها منه ، لأبحث أنا وغيري عنها » .

(٢١) ابن دريد : الجمهرة ، الجزء الثالث .

(٢٢) السيوطي ، المزهري ١٠٣/١ .

(٢٣) الازهري ، مقدمة التهذيب .

وقد دافع عنه السيوطي في « المزهر »^(٢٤) فقال :

« معاذ الله هو بريء مما رمي به ، ومن طالع « الجمهرة » رأى تحريره في روايته » . غير ان السيوطي حين أثبت في « المزهر » ان في العربية ما لم يصح ولم يثبت ، أتى بشواهد كثيرة أخذها من « الجمهرة » . وسئل عنه الدار قطني^(٢٥) : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه «^(٢٦)» .

وقال حمزة : سمعت ابا بكر الابهري المالكي يقول :

جلست الى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ما قال الأصمعي ، فكان يقول في واحد : حدثنا الرياشي ، وفي آخر : حدثنا ابو حاتم ، وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي ، كما يجيء على قلبه «^(٢٧)» .

وقال المسعودي في « مروج الذهب »^(٢٨) : « وانتهى » ابن دريد في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين » .

وبعد فاذا كان هذا مما يؤيد القول ان في العربية الفصيحة كما اثبتتها معجمات اللغة افتعالاً واصطناعاً وكذباً فحقيق بنا أن نقول : ان عامية اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال .

غير أن الافتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن كالافتعال الذي تعمد به اللغويون الأقدمون وقصدوا اليه اظهاراً للعلم وادعاءً بالمعرفة ، بل ان هذا مما يجري به اللسان عفواً وبداهة .

وسأعرض للافعال الرباعية في العامية المراقية مبوباً المواد على النظام

(٢٤) السيوطي ، المزهر ١/ ٩٣ .

(٢٥) هو علي بن عمر ابن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي المعروف بـ الدارقطني الحافظ المشهور المتوفى سنة ١٣٨٠ ، انظر الخطيب البغدادي ١٢/ ٣٤ ، ابن خلكان (نشر محمد محي الدين عبد الحميد) ٢/ ٤٥٩ .

(٢٦) القفطي ، انباه الرواة ٣/ ٩٥ .

(٢٧) شرح مقصورة ابن دريد الخطيب التبريزي (دمشق ، المكتبة الاسلامي) المقدمة .

(٢٨) المسعودي ، مروج الذهب ٤/ ٢٤٧ .

الابجدي ، شارحاً كيف تمت هذه الابنية موضحاً الطرق العامة التي جرت عليها العامة في بناء الرباعي .

حرف الباء

ومما جاء من الافعال الرباعية على السنة العامة مما أوله باء ما يأتي :
(بحرث) ومعناه يبحث عبثاً ويقابله في الفصيح « بحر » كما أشرنا اليه عند الكلام على (بحر) الفصيح . والعامة تجرى على القلب المكاني Métathèse لما كان من الفصيح ، وقد اسلفنا الكلام على هذا . وقد ذهب ابن فارس الى ان « بحر » جاء من « بحث » و « بشر » . ولكنه عاد في « بعثر » وقال انه ثلاثي « بشر » زيدت فيه العين وهي في الحقيقة مبدلة من الحاء .

ومن ذلك (بَحَوَّشٌ) ومعناه في العامة حفر باصبعه قليلاً فصدأ في البحث عن شيء .

ويبدو لي ان في هذا الفعل طريقة في بناء الرباعي وهي زيادة الواو ثالثة في البناء فالاصل الثلاثي هو « بحش » وهو من غير شك من (بحث) الفصيح على طريقة الابدال بين الشين والياء .

ومن ذلك (بحلق) ويقابله في الفصيح (حملق) والحملقة معروفة في الفصيح وهي دوام النظر وتثبته . والفعل العامي (بَحَلَّق) هو صورة من الفصيح بابدال الباء بالميم في الصيغة الفصيحة وبالتزام القلب المكاني .

ولا بد من القول في طريقة بناء هذا الفعل ، ولما كانت الصورة الفصيحة هي التي ولدت الفعل العامي ، فان معنى ذلك ان الميم زيدت على الثلاث (حلق) ، وهذا الميم صار باءً في العامة . والدلالة المعنوية التي يضيفها الفعل (حلق) لتكوين الرباعي هي ان دوام النظر يستدعي هذا الفعل الذي يفيد الاستدارة حتى يكون النظر شاملاً وافياً .

ومن ذلك (بَخَنَقَ)^(٢٩) ويرد في الاستعمال مزيداً بالياء (بَخَنَقَ)

(٢٩) القاف الفصيحة تلفظ بالعامة بالكاف المفخمة التي تنطق كما ينطق الحرف اللاتيني G .

والمعنى هو وضع البُخْنُق وهو البرقع القصير • والفعل معروف في فصيح العربية • ويبدو أنه من اثلاثي (خنق) زيدت عليه الباء •
ومن ذلك (بربح) بمعنى استقر في فغدته واسترخى ، والتربخ في فصيح العربية شيء مثل هذا • وليس من شك ان الفصيح هو (ربخ) ولكن العامية تزيد كثيراً في صدر الفعل والزيادة من جنس عين الكلمة • ومن ذلك (بربح) بمعنى أكل حتى شبع ويستعمل مجازاً بمعنى أفاد وانتفع • وهو كالفعل السابق آت من الثلاثي (ربع) ومصدره « الربع » ودلالته في العامية الزمان والمكان الذي يعمر فيه الربيع من خضرة وخير وفير • ثم زيد الباء في الاول وهو من جنس عين الكلمة •

ومن ذلك (بربد) بمعنى قوّض وحطم ولا نعلم كيف تم هذا الرباعي ذلك اننا لا نستطيع ان نقرب بينه وبين الثلاثي (ربد) الفصيح • ومن ذلك (برش) بمعنى يحاول النظر فلا يبصر بوضوح وكأن جفنيه يرمشان • ومن غير شك ان الاصل الثلاثي هو (رمش) ثم حصل الابدال بين الباء والميم وهذا كثير • ثم زيد الباء في الاول وهو من جنس عين الكلمة • ومن ذلك (برطل) بمعنى (رشا) من الرشوة والاصل هو الاسم (البرطيل) اي الرشوة • والعامية كالفصحى تشتق الافعال من الاسماء •

ومن ذلك (برطّم) بمعنى أن يُدلي الرجل شفّيته على نحو ينبيء بعدم الرضا والغيط • والبرطام والبراطم في فصيح العربية الرجل الضخم الشفة • وشفة برطام ضخمة • والبرطّم في العامية الشفة الضخمة • وعلى هذا فالفعل مأخوذ من الاسم وما أكثر ما تصاغ الافعال من اسماء اعضاء الجسد في الانسان في الفصحى والعامي •

ومن ذلك (برقع) والقاف في النطق العامي كاف غليظة كما بينا • والفعل يعنى ألقى عليه البرقع ، والبرقع معروف • ومثل هذا ما استعمل في الفصحى ، واشتقاق الفعل من الاسم •

ومن ذلك (برکش) وهو بمعنى خدع واحتال ، وليس لنا فعل فصيح يقرب من هذا • وأظنه مقلوب (كريس) مع الابدال بين السين والشين ،

والكريسة في العامية ان تدفع الرجل فتوقعه في هُوَّة • وليس شيء من
الفصيح يقرب من هذا فالكَرْبَاس ثوب وهو فارسي معرب • ومن ذلك
(بَسْمَر) وهو بمعنى دق المسمار او سمر أو مسمر والباء ابدال بالميم
والفعل مصوغ من الاسم وهو مسمار •

ومن ذلك (بعلج) وهو بمعنى أن يشتكى الرجل من ألم في بطنه •
واظنه من (بعج) الفصيح وبعج البطن شقه • ثم زيدت اللام في العامية •
ومن ذلك (بلبس) بمعنى صيره محتالاً شيطاناً ومن غير شك أنه مأخوذ
من (ابليس) ثم زيد الباء في الاول ليجانس عين الفعل كما رأينا في انعال
أخرى وهذا سبيل من سبل العامية في بناء الرباعي •

ومن ذلك (بَلَعَم) واستعماله بزيادة التاء في الاول (تبلمع) وهو
بمعنى صار يبلع ريقه وذلك دليل على أنه مُحَرَج لا يحير جواباً •
واشتقاقه من البُلعوم وهو مجرى الطعام في الحلق وبلعم اللقمة أكلها •
ومن ذلك (بهذل) بمعنى حَقَر ووبَّخ وهو من (بذل) وفي
الفصيح المشهور الابتذال والتبذل ، وابتذال الثوب وغيره امتهانه • والتبذل
ترك التصاون والمبذلة الثوب الخلق والمبتذل لابس •

وكان العامي (بهذل) من هذا بزيادة الهاء • وقيل انها منحوتة من
(بَهَل) و (بَذَل) وليس يشبث عندي هذا القول •

وفي كتب اللغة (البهدلة) بالذال المهملة وتعني الخيفة كما وتعني
ضرباً من الطير أخضر وليس الفعل العامي من هذا ولا قريباً منه •
وقد يكون الهاء في (بهذل) العامية تعويضاً من الذال اذ الأصل في
(بهذل) (بذل) بالتشديد ثم فك الادغام ثم عَوِض وهذه طريقة في
بناء الرباعي في العامية كما سنرى •

وقد أثرت أن الحق الفعل (يرجم) وهو بالباء الفارسية المقابلة لـ P .
اللاتينية وبالجميم الفارسية • وكان الطبيعي ان يلحق هذا الفعل بالافعال
المبدوءة بالفاء ولكنني الحقته بالافعال المبدوءة لان هذا الحرف يرسم بالباء
كما في الفارسية • وهو من (پرچيم) الفارسية ومعناه عند التجارين ضبط
الألواح بالمسامير •

حرف التاء

ومما جاء من الافعال الرباعية في العامية مما اوله تاء ما يأتي :

(ترخم) واظنه من (تركم) وهذا من الركّم وهو جمع الشيء فوق شيء تجعله رُكاماً والركام الرمل المتراكم والسحاب المتراكم .

والفعل العامي يفيد ما يجتمع في الصدر من اخلاط عند الاصابة بالزكام . والخاء في العامية قد تقابل الكاف في الفصيح على سبيل الابدال .

ومن ذلك (تَشْرَن) وتشرن جلد الانسان أصابه نوع من الورم والتشقّق نتيجة للبرد وربما جاء هذا من لفظة (تشرين) من اسماء الشهور .

ومن ذلك (تَرَيَع) وهو من (رَجَعَ) ومعناه تَجَشَّأً وهو معروف وصيرورة الفعل رباعياً كان بزيادة التاء في الاول .

ومن ذلك (تَنَحَّرَ) بمعنى الاتفاح من الغضب وعدم الرضا .

حرف الجيم

ومن ذلك (جَرَبَنَ) بمعنى ادّعى وتظاهر والحقيقة على عكس ذلك . وهو من (الجِرَاب) الكيس المعروف . وصوغ الربلي كان بزيادة النون وقد رأينا ان الفصيح قد اعتمد هذا السبيل في بناء الرباعي .

ومن ذلك (جَرِزَمَ) بمعنى سبب الجذام وهو الداء المعروف .

واظن ان الراء جاءت تعويضاً من الذال في (جَذَمَ) بالتشديد .

ومن ذلك (جَعَمَر) وجعمر الشيء لم يعمل به بضبط وانسجام فالشيء المجعمر هو الضخم الذي يفتقر الى التنوق والانسجام . وربما قاربه في الفصيح (جَعَبَر) والجَعَبَر القَعْب الغليظ الذي لم يحكم نحته .

وبين الفصيح والعامي ابدال بين الميم والباء .

ومن ذلك (جَلْفَطَ) وهو من الجُلْفُطَة وجمعها الجَلَاْفِط وهي قطع اللحم التي لا تؤكل لاشتغالها على العروق والالياف والعصب . والفعل المصوغ من الاسم يستعمل مجازاً بمعنى لم يحسن الكلام نطقاً ومعنى .

ومن ذلك (جَلَوَزَ) بمعنى تكلم بما يحمل على الملق والزلفي وهو

من الجلواز وهو فارسي معرب •
ومن ذلك (جَنَدَل) وأصله من (جَدَل) بمعنى اسقط ولكن
العامية تعوض من الدال الاولى بعد فك الإدغام نوناً وهذا التعويض كثير
في العامية قليل في الفصحى •
وقد آثرت ان الحق الأفعال المبدوءة بالجيم الفارسية بهذا الحرف
للتشابه في الرسم • ومن ذلك (جقلب) وهو من (قَلَبَ) الفصحى زيد
هذا الصوت الدخيل في أول الفعل • وهذا الفعل العامي معروف في غير
العراق من البلدان العامية غير ان الحرف الزائد فيه هو الشين كما هي الحال
في سورية ولبنان فيقولون (شقلب) •
ومن ذلك (چنگل) وهو رباعي مصوغ من الاسم (چنگال) بمعنى
الكَلَاب •

حرف الحاء

ومن ذلك (حترش) واستعماله مزيداً بالتاء هو الغالب (تحترش)
ويتحترش بغيره يتحترش بهم أي يخشك بهم قصد اثارتهم او اغضابهم •
وفي اللغة الفصيحة : تحترش القوم : حشدوا ، ويقال : سعى فلان بين
القوم فتحترشوا عليه فلم يدركوه أي سعوا وعدوا عليه • اما بناؤه على
هيئة الرباعي فكان بزيادة التاء ثانية •
ومن ذلك (حترف) واستعماله مزيداً بالتاء كنظيره (حترش) هو
الغالب • يقولون فلان يتحترف أي لم يستقر فهو متحرك لا يسلك سلوكاً
مقبولاً فكانه يثير هذا على ذلك متسبباً في احداث بلبلة وعدم استقرار •
وفي المعجم : حرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف
عدَل •

ومن ذلك (حرجم) بمعنى ثبت في مكانه حائراً مندهشاً لا يحير
جواباً ، وأكثر ما يكون ذلك من الغبي • وعندى أن هذا الفعل جاء من
(حرج) ثم زيدت عليه الميم في الآخر كما رأينا في قبر هذا المكان • وفي

فصيح العربية حَرَجَمَ الابل ردّ بعضها على بعض واحر نجت اذا رددتها .
فارتد بعضها على بعض واجتمعت •

ومن ذلك (حَكَرَش) واستعماله مزيداً بالتاء فيقولون فلان
يَشْحَكُرَش ويَقْصِدون به ما قصدوا بـ (يَتَحَرَف) السابق • واطنه مقلوب
(يتحركش) ، واذا كان هذا فهو من (حرك) وزيادة الشين في الآخر ذات
دلالة معنوية مهمة • وهذه أول مرة نعرض فيها لمثل هذه الزيادة فالشين
تشير الى كلمة (شيء) وهذه الكلمة ترمز للقلّة ، ومعنى ذلك انه يتحرك
حركة مّا ، أي حركة قليلة ، وهذا من سبل العامية المعروفة في تكوين الرباعي
وغير الرباعي • وربما كان شيء منه في الفصحح غير ان اهل اللغة لم يعرضوا
لهذا بشيء من البحث • الا ترى ان الفعل العامي (دَقَّش) بنطق القاف كالکاف
الثقيلة يعني انه دقّ قليلاً قليلاً • ولذلك يستخدمون هذا الفعل للمبتديء
في تعلم مهنة من المهن او مادة من المواد او درس من الدروس •

ومن ذلك (حلفص) بمعنى تحرك • يقولون (فلان ما يحلفص)
على سبيل العامية اى لم يعد في طوقه الحركة والهروب • واطنه من
(خلص) مع الابدال ثم زيدت الفاء حشواً •

ومن ذلك (حَصَرَم) فيقولون : الدم يحصرم في الاصبع أي يتجمع
ويظهر من خلال الجلد نتيجة لرض الاصبع او سقوط شيء ثقيل عليه
مثلاً • وهذا من غير شك من مادة (حصر) ثم زيدت الميم وقد تكون من
الحَصَرِم وهو حب الغنّب قبل ان ينضج • وقد يرد في الاستعمال مقلوب
هذا الفعل وهو (حَرَمَص) •

ومن ذلك (حَسَقَل) فيقولون : فلان يحسقل القضية أي أنه لا
يبدل في الصرف • فهي شيء من (بَخِلَ) والكلمة مأخوذة من (حسقل)
من الاعلام العبرانية التي اختص بها اليهود قديماً وحديثاً • وكأن في هذا
اعترافاً ضمنياً ان (حسقل) رمز لليهودي بصورة عامة الذي من خلقه
الاقتصاد والبخل •

ومن ذلك (حقرص) وتنطق القاف كافاً ثقيلة • وفلان يتحقرص
أي لا يثبت في قعدته ، وليس بينها ومادة (حرقص) الفصيحة علاقة

فالحرقوص في الفصيحة دَوَّيَّة صغيرة تقرص وتشقق الاغشية الجلدية •
ويبدو أن في المادة الفصيحة الاصل الثلاثي (قَرَص) ثم زيدت الحاء
اولاً مع شيء من القلب •

ومن ذلك (حَبَبُ) بمعنى اظهر الانتفاخ من الغضب ، وهو بزيادة
النون ، وقد يكون النون تعويضاً من الباء بعد فك الادغام في (حَبَطَ)
ومادة (حبط) في الفصيحة تعنى الانتفاخ ، وحَبِطَ جلده وَرِمَ •

وعندهم : احبناً الرجل انتفخ بطنه • قال ابو زيد المحببطيني مهموز
وغير مهموز الممتلي غضباً •

ومن ذلك (حَنْدَلُ) واستعماله مزيداً بالياء (يتحندل) هو الكثير
الغالب • ومعناه (يتعلق) و (يتأرجح) يقال للطفل الذي يعلق
نفسه على حامل من خشب او حديد • والنون فيه تعويض من الدال بعد
فك الادغام في (حَدَل) ومادة (حدل) الفصيحة تفيد الميلان بصورة عامة
فالأحدل هو المائل كما قال الفراء وربما كان بين العامي والفصيح نوع من
العلاقة •

ومن ذلك (حَنْفَشَ) يقولون حنفش الولد على صاحبه بمعنى
توثب وانتصب كما يفعل الديك مثلاً حين يتهيأ لمخاضة ديك آخر •
والنون من غير شك زائدة • وفي الفصيحة احرَنَفَشَ الديك تهيأ للقتال
وأقام ريش عنقه • وقد يكون الفعل العامي من كلمة (حنفش) التي تعني
الحية العظيمة الضخمة الرأس •

حرف الخاء

ومما جاء من الأفعال الرباعية مما أوله خاء ما يأتي :
(خرش) واظن أن الباء فيه مبدلة بالميم فالاصل (خرمش) وزيادة
الراء فيه واضحة والأصل (خمش) • وربما كانت الراء تعويضاً من الميم
في (خمش) بالتشديد بعد فك الادغام • ومعنى الفعل لا يخرج عن معنى
الثلاثي (خمش) فيقولون : يخرمش الصغير باظافره كما تخرمش القط •

ومن ذلك (خربص) وهو من الخبص بمعنى الاختلاط نحو : تخربص
الخيوط ، بمعنى اختلط فلم يعرف رأسه • والراء زائدة وقد تكون تعويضاً
على نحو ما أشرنا إليه في الفعل السابق •

ومن ذلك (خربط) ومعناه يقرب من الفعل السابق والخربطة
المفوضى وعدم النظام • وبناء الفعل اما يكون على طريقة النحت بين (خلط
و (خبط) بعد ابدال الراء من اللام الاصلية • وأما ان يكون الراء تعويض
من الباء في (خبط) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (خرخش) بمعنى احداث صوت يشعر به من اجتماع
الحاء والشين فالاصل (خشن) ثم زيدت الراء والحاء •

ومن ذلك (خرطش) ومعناه (خرط) والخرط نزع الاوراق من
الشجرة او نزع القشور او ما أشبه • والاصل الفصيح (خرط) ومجال
استعماله واحد فيقال خرط العود والشجر واللحاء وما أشبه ذلك •

وزيادة الشين في الآخر ترمز لـ (شيء) والشيء يرمز للقلة فكأن
(خرطش) أقل من (خرط) في المعنى •

ومن ذلك (خرطم) وهو من (خرط) بزيادة الميم ومعناه خرط
ولكن بغير انتظام فكأن العنقود المخرطم هو الذى لم يخرط جميع حبه •
وربما استعمل في مجالات أخرى كأن يقال في طفل ملئ وجهه بالبشور
والدمامل (تخرطم وجهه) • وفي فصيح العربية (خرطمه) اصاب خرطومه
او عوّجّه والمخرنطم الغضبان المتكبر والأصل في الرباعي الفصيح الاسم
(خرطوم) •

ومن ذلك (خرّمش) وقد أشرنا إليه في (خرّش) •

ومن ذلك (خنزر) ومعناه خنّز بقوة وليس من شك ان النون
تعويض من الزاء في (خنّز) المضعف بعد فك الادغام • والتعويض بالنون
كثير في العامية قليل في الفصيح كما سنتبين •

ومن ذلك (خنّطل) يقال خنّطل الولد بمعنى كُسِف وكسرت
نفسه • والنون من غير شك كالتون في الكلمة السابقة فهي تعويض •
والأصل الفصيح قد يتعد عن هذا المعنى فان (الخطل) هو المضطرب •

اما الخطيئة فهي القطعة من الابل والبقر والسحاب وهذا شيء آخر •

ومن ذلك (خفر) بمعنى تفتح منخرا الرجل في وضع خاص يحمل على الدهشة والانفعال او الخوف او الغضب • والنون من غير شك تعويض من الفاء في خَفَّرَ بالتشديد بعد فك الادغام • ومقلوب هذا الفعل (فنخر) في معناه • والاصل الفصيح (خفر) لا يعين على هذا المعنى المتحصل في الرباعي العامي • غير ان في معجمات العربية (خُنْفَر) اسم رجل • ومن ذلك (خَرَّوْط) وهو بمعنى (خرط) والواو من غير شك زائدة حشوآ •

حرف الدال

ومما جاء في كلام العامة مما أوله دال من الافعال الرباعية ما يأتي : (دحلب) بمعنى دلف الى مكانه دون أن يشعر به • والأصل الثلاثي هو (داب) والحاء زيدت حشوآ و (دلب) هي (درب) بإبدال اللام بالراء وفي الفصيح (ادرب) اي دخل الدرب وقد يكون في هذا المعنى شيء نستطيع به فهم الفعل العامي •

وربما استطعنا لمح أصل هذا الفعل في (دَحَبَ) • وفي اللغة الفصيحة يعنى هذا الفعل (دَفَعَ) ، ودحب الرجل دفعه ، والفعل (دَحَبَ) فصيح عامي ولكنه في العامية يكون (دحم) ، ولهذا كان من اعلام العامة (دحام) بتشديد الحاء على (فعَال) وكأنه صيغة مبالغة • وهذا الاسم لا يكون الا عند العوام ذوى الاصول البدوية •

ومن ذلك (دربك) وهى تعنى دق الطبل او الطبطة بصورة عامة • والاصل الثلاثي هو (دَبَكَ) والراء زائدة وزيادتها حاصلة من التعويض من الباء في (دَبَكَ) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (دَرْدَش) بمعنى تحدث بصوت خافت في شؤون شتى • ولا نعلم اصله الثلاثي فليس هناك علاقة بين المتحصل من الرباعي وبين الثلاثي الفصيح (دَرَدَ) ، والَرَدَ في اللغة ذهاب الاسنان •

ومن ذلك (دَرَدَم) ومعناه هو معنى الفعل السابق • ولا نستطيع أن نتبين أصله الثلاثي بوضوح • فقد يبدو أنه منحوت من (دَرَدَ) أى ذهبت أسنانه و (دَرِم) ومعناه تمحات أسنانه • ويتخرج عن هذا أن من ذهبت أسنانه وأتحات لا يفصح في الكلام • وفي (دَرَدَم) العامي شيء من هذا المعنى •

ومن ذلك (دَرْدَق) وهو يعنى حكاية صوت الضحك ، او حكاية صوت الماء ينصب من مكان الى آخر •

ولم اهتمد الى أصل ثلاثي يرجع اليه هذا الرباعي ، وربما كان موضوعاً على أربعة احرف قصداً في حكاية هذا المعنى •

ومن ذلك (درفع) ومعناه (دفع) والراء فيه زائدة وهي تعويض من الفاء في (دقع) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (درمك) يقال : درمك الثوبَ بمعنى وسَّخَه بحيث صارت فيه بقع من القذر والوسخ • ولم اهتمد الى شيء من أصل ثلاثي لهذا الفعل •

ومن ذلك (دَعْبَل) ومعناه جعل الشيء على هيئة الكرة ودحرجة هذا الشيء أيضا • والأصل الثلاثي لهذا الفعل هو (دَبَل) ، وفي فصيح العربية دَبَل الشيءَ جمعه ، كما تجمع اللقمة بأصابعك ، والتدبيل تعظيم اللقمة وازدرادها • وربما كان هذا الأصل الذى جاء منه (دَعْبَل) العامي ، ومعنى ذلك ان العين زائدة • وليس من علاقة بين (دَعْبَل) ويعنى الناقة المسنة وهذا الرباعي العامي •

ومن ذلك (دعر) بمعنى لم يُعَن بلباسه من حيث النظافة والنظام • وأكبر الظن ان الأصل الثلاثي هو (دثر) والعين زائدة • وفي فصيح العربية (سيف دائر) بعيد العهد بالصقال والدَّثَر بفتحين الوسخ وقد دَثَرَ دثوراً اذا اتسخ •

ومن ذلك (دلغم) بمعنى عبس وتجهم وجهه ، والأصل الثلاثي لهذا هو (دغم) ثم زيد اللام • وفي فصيح العربية الدُّغمة والدَغَم من الوان الخيل : ان يضرب وجهه وجحافله الى السواد مخالفاً للون سائر جسده •

والادغم في العامية ما مال الى السواد وهو لون غير حبيب الى النفوس •
ومن ذلك (دَنْبَس) بمعنى شكّل بالدَّبَّوس والدَّبَّوس معروف •
ومن غير شك ان الفعل مأخوذ من اسم هذه الآلة ، ومعلوم ان العامة تفك
ادغام الباء في (دَبَّوس) وتعوض النون من الباء الاولى فيكون (دببوس)
ثم اشتق الفعل الرباعي من هذه الصيغة فظهرت النون فيه •
ومن ذلك (دنفش) بمعنى انتفش مزهواً • ويبدو أن الاصل الثلاثي
هو (نفش) ثم زيدت الدال في اول الفعل •
ومن ذلك (دَهْرَب) ومعناه (دحرج) والأصل الثلاثي هو
(دَرَب) والفعل مشتق من الاسم (دَرَب) والكلمة من الاصول
المشتركة بين الفصح والعامي • والهاء فيها زائدة أو انها تعويض من الراء
في (دَرَب) بعد فك الادغام •

حرف الذال

ومما جاء من الرباعي في العامية العراقية مما أوله ذال ما يأتي :
(ذَرَبَن) ومعناه فسد واتسخ وهو من الذَرَب وفي اللغة الفصيحة :
امرأة ذَرَبَة او الذَرَبَة الصخابة السليطة اللسان الفاحشة • وفي هذا
الاصل الفصح قرب من الفعل العامي •
ومن ذلك (ذَرَنج) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء (تَذَرَنج)
ومعناه تكلف الضعف والعجز وعدم الاستطاعة •

حرف الراء

ومما جاء من الرباعي مما أوله راء في هذه العامية ما يأتي :
(رَسْمَل) ومعناه معروف ، فهو من الفاظ التجارة أي أن البضاعة المبيعة
لم تخسر ولم تربح وبلغت رأس المال • وطريقة بناء هذا الفعل أنه اخذ
من هذا الاسم المركب ، وذلك لان العامة او قل أهل هذا الفن قد ركبوا
الاسم حتى ظهر التركيب في الرسم فقالوا (راسمال) بغير همز (راس)

ومن هذا المركب جاء الرباعي فعلاً شهيراً في الاستعمال الحديث •
أقول : ان هذا المركب اعتبر كلمة واحدة ولذلك جمعه أهل التجارة

والباحثون في علم الاقتصاد الحديث على (رساميل.) •

ومن ذلك (رَعَبَل) والمرعبل بزنة اسم المفعول هو من لا يعنى بلباسه وهيأته بصورة عامة • وفي اللغة الفصيحة رَعَبَل الثوب فترعبل : مزقه فتمزق ، والرعبولة : الخرقه الممزقة وثوب مُرْعَبَل ممزق • وامرأة رَعَبَل أي ذات خُلُقَان •

ولست على يقين من الاصل الثلاثي لهذا الفعل الرباعي ذلك أن (رَبَل) الثلاثي بعيد في معناه عن الرباعي واستعماله •

ومن ذلك (رَعَوَط) بمعنى (شق) مع إحداث صوت واضح هو صوت الشق والمشقوق الذي يناله هذا الفعل هو القماش والجلد ونحوه • والاصل الثلاثي هو رعط ومعناه (شق) والواو زيدت حشواً فيه • وأظن أن هذا الفعل من حكاية صوت الشق وليس له اصل فصيح •

ومن ذلك (رقطش) وتلفظ القاف كافاً ثقيلة كالكاف الفارسية • ومعناه (يرقط) أي يحدث النقاط والبقع على القماش او الجلد او نحوه بقصد التزيين وهي من الفاظ أهل الصناعة • والشين زيدت في آخر الفعل لحاجة معنوية فقد تكون رمزاً لـ (شيء) والشيء يشير الى القلة في العمومية في افعال عدة • وقد يكون الفعل منحوتاً من (رقط) و (رقتش) •

ومن ذلك (رَهْدَن) والرهْدَنَة الأناة والتروي ، والمرهْدَن هو المستقر في مكانه والمرتب في اموره عامة • اما (الرَهْدَن) الفصيح فهو الاحمق ، وهذا من العجب في البعد بين العمومية والفصيحة •

ومن ذلك (رَهْوَل) أي سال منه اللعاب • وهو الرُّوَال من الفصيح بمعنى اللعاب • وعندي ان الهاء تعويض من الواو في (رُوَل) بالتشديد بعد فك الادغام • ومن العجيب ان الفعل الفصيح (رُوَل) لا يعنى (سال اللعاب) اذ يقال : رُوَل الخبز بالسمن والودك ترويلاً اي دلكها دلكاً شديداً •

حرف الزاي

ومن الأفعال الرباعية التي أولها زاء مما جرى في العامية ما يأتي .
(زحلف) بمعنى أزاح قليلاً وهي من (زحف) واللام زائدة حشواً .
والفعل مما شاركت به العامية الفصيحة واستعماله في الفصح كاستعماله في
العامية .

ومن ذلك (زحلق) والقاف تنطق كافاً ثقيلة كأنها حرف G
اللاتينية . والزحلقة مثل الزحلفة ، وهي الدحرجة قليلاً . وهي فصيحة
أيضاً . واللام فيها زيدت على الأصل الثلاثي .

ومن ذلك (زَعَبَل) يقال (الطفل يزعبل بلُعبه) أي يعبث ويكسّر
ويتلف . ويزعبل الرجل أي لا يعمل عملاً منظماً مثمراً . والزعبلة
الأتساخ والفوضى . واطن أن الفعل أقيم على مادة (زبل) والزَبَل
والزبالة الفضلات التي تُرمى عامة ، وفي الفصحح الزَبَل : السرقة .
وقد تكون العين تعويضاً من الباء في (زَبَل) بالتشديد بعد فك الإدغام .

ومن ذلك (زغلط) يقال زغلط في اللعب بمعنى لم يصدق في اللعب .
والفعل منحوت من (زغل) و (غلط) . وليس شيء منها في الفصحح .

ومن ذلك (زنبر) يقال (زنبر وجهه) أي احمرّ والتهب من تأثير
الحرارة أو الشمس . وهو من (زبّر) بالتشديد والنون تعويض من الباء
بعد فك الإدغام .

من ذلك (زنعر) أي صاح بصوت يشبه صوت الحمام . وهو من
(زعر) والنون تعويض من العين بعد فك الإدغام . . ويبدو أن (زَعَر)
الثلاثي هو من (زأر) بالهمزة ثم حصل الإبدال .

ومن ذلك (زهلق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة . والمزهلق بزنة اسم
الفاعل ما علته الزهلقة وهي لزوجة كريهة علامة فساد الشيء أن
كان مما يؤكل .

حرف السين

ومما جاء من الرباعي مما أوله سين في عاميتنا الحاضرة ما يأتي :
(سربت) وهو بمعنى صرف وطرّد وأبعد ، يقال : سربت الرجل الخادم أي صرفه وأبعده • ومن غير شك أن الأصل الثلاثي في هذه المادة هو (سرب)
والسارب في فصيح العربية الذهاب على وجهه في الأرض ، والسُرْبَة
بالضم المذهب والطريقة • وتبين من هنا ان التاء زيدت للمصير الى
الرباعي • وزيادة التاء كسماً واردة في العامية •

ومن ذلك (سربس) وهو بمعنى جعله يسرب في الماء أي يسري على
سطح الماء • وهذا الفعل كنظيره الفعل السابق من أصل ثلاثي هو (سرب)
وقد اسلفنا الكلام عليه • والسين الاخيرة زيدت كما زيدت التاء في الفعل
السابق • ومن ذلك (سروط) وهو بمعنى (استرط) ومعنى ذلك أن
الأصل الثلاثي هو (سرت) ومعناه معروف ، والواو زيدت خشواً •

ومن ذلك (سريف) ومعناه ترطب كثيراً وجري ماؤه • ويبدو أن
الأصل الثلاثي الذي انبنى عليه الرباعي هو (سرف) • وفي استعمال مادة
(سرف) الفصيحة شيء ثبت هذا الاصل الثلاثي ، فقد جاء : ذهب ماء
الحوض سرفاً أي فاض من نواحيه • وعلى هذا فان الياء زيدت خشواً
للمصير الى الرباعي •

ومن ذلك (سكرت) وهو بمعنى (سربت) الذي سبق ذكره أي
صرف وأبعد وطرّد • ولم نستطع أن نعرف الأصل الثلاثي الذي جاء منه على
كثرة ما قلّبناه على وجوهه كلها •

ومن ذلك (سلطن) أي جعله سلطاناً أو صيره سلطاناً ، والسلطان هنا
ليس مصدرأ كما في اللغة الفصيحة أي بمعنى السلطة بل هو بمعنى صاحب
السلطة أي ما يقابل الملك أو الأمير كما استعمل عند العثمانيين في هذه
الدلالة •

وكان ينبغي أن اعرض لهذا الفعل مع الأفعال التي اشتقت من أسماء
الأعيان وسيأتي الكلام عليها • ولما كان لهذا الفعل العامي فعل فصيح

يشترك واياه في المادة نفسها (سلط) أثرت أن ادرجه هنا .
وقد زيدت النون على الثلاثي فصار رباعياً وهي النون في (سلطان)
نفسها . ومثل هذه النون ما سيأتي ذكره في أفعال رباعية أخرى .
ومن ذلك (سلقط والقاف فيه تلفظ كافاً ثقيلة جرياً على العامية
العراقية . وهو بمعنى (اسقط) أو (ألقى) . ومن هنا يتبين أن الأصل
الثلاثي هو (سقط) ثم زيدت اللام حشواً في الفعل .
ومن ذلك (سلهم) يقال (سلهم العين) بمعنى كان ناعس الطرف ،
والأصل الثلاثي بنى عليه الرباعي (سهم) والسهم في العربية العبوس ،
ورجل مسهم الجسم ذاهبه في الحب . ويتبين من هذا ان اللام زيدت حشواً
كما هو الحال في الفعل السابق .
ومن المفيد أن نشير الى ان (سَلَّهَمَ) كجعفر : الضامر والطويل .
والناقة من المرض ، وليس هذا مما نحن فيه من العامية (سلهم) . ولكن
هذا (المسلهم) المتغير . وقد اسلهمَّ لونه .
ومن ذلك (سَنَكِرَ) وهو يقال لمن كان في سورة الغضب يبدو وكأنه
في سكرة . والأصل الثلاثي هو (سكر) والنون زائدة وقد تكون تعويضاً
من الكاف في (سكر) بتشديد الكاف بعد فك الادغام .

حرف الشين

ومما جاء من الرباعي مما أوله شين في اللغة العامية ما يأتي :
(شخبط) وهو بمعنى أحدث خطوطاً غير منتظمة وكتابات غير
مفهومة .

والنحت واضح في هذا الرباعي ، فهو من (شخط) و (خبط) ومعنى
(شخط) مثل (خط) الفصح ويبدو أنه من باب حكاية الصوت لعملية
الخط . والخبط معروف وهو الضرب .

ومن ذلك (شربك) بمعنى ربط وأعاق وهو منحوت من (شرك)
و (شبك) ومعنى (شرك) في العربية الفصيحة حبائل الصيد التي تنشر
فيقع فيها الطائر مربوطاً ، وشبك شيء يشبه هذا .

ومن ذلك (شعبط) بمعنى مزَّق وشقَّق وهو منحوت من (شعط)
(عبط) والفعل الاول حكاية للصوت الذي يحدث من شق الجلد أو
القماش • ومعنى (عبط) شيء مثل هذا ، ففي فصح العربىة : عبط الذبيحة
نجرها •

ومن ذلك (شعوط) يقال شعوط الخبز أو اللحم أي مَسَه
الشعوط ، والشعوط في لغتنا العامية رائحة الاحراق ، فكأن (شعوط الخبز)
أحرقه بحيث ظهرت رائحة الحرق • ومنه (شوَّط الصقيع النبات) (٣٠) في
الفصيحة أي أحرقه ويتبين من هنا أن مادة (شوط) هي الاصل الذي
جاء منه الرباعي ، ثم زيدت العين حشواً •

ومن ذلك (شَلَتَغ) بمعنى سلك سلوك المحتالين • ولم نهتد الى
الاصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي • ويبدو لي أن الفعل أخذ من مادة
أعجمية • ولا نعرف شيئاً يقرب من هذه المادة في الاستعمال العامي أو
الفصحى الا أنهم يطلقون (شِلَاغ) بكسر الشين على أنه علم للمذكر في
عصرنا هذا ، وأكثر ما يكون ذلك عند القرويين من أهل جنوبي العراق
ومؤنثه شِلَاغَة •

ومن ذلك (شَلَوَّط) بمعنى ضربه على رجله ضربات مؤذية •
ويبدو ان مادة (شوط) هي الأصل الثلاثي الذي جاء منه الرباعي واللام
زيدت حشواً •

يقال في عربيتنا الفصيحة : شوَّط اللحم انضجه ، وشوَّط القدر
أغلاها •

ومن ذلك (شنبط) بمعنى انتفش من الغضب ونزا • وهو من
(شبط) في العامية بمعنى (نزا) والنون تعويض من الباء في (شَبَط)
بتشديد الباء بعد فك الادغام • وأكبر الظن ان الفعل الثلاثي مأخوذ من

(٣٠) « اللسان » شوَّط الشيء لغة في شيطه • وشناط الشيء شيطا
وشنيطة احترق ، وخض بعضهم به الزيت والنرب • وشايط القدر شيطا
احترقت ، وشوَّط القدر وشيَّطها اذا أغلاها •

(شبوط) وهو ضرب من السمك في العراق يكون دقيقاً في جملته بالنسبة الى الضروب الاخرى • ومما يؤيد هذا أنهم يتبعون في استعمالهم العامي هذا الفعل بفعل آخر يقرب منه في أصوله الصوتية ومعناه فيقولون (شبط لبط) للدلالة على النزوان والوثوب السريع • والاتباع في العامية كثير ، وربما كان الاتباع في الفصيحة شيئاً من بقايا اللغات الخاصة التي لا ترقى الى اللغة المهذبة العالية •

ومن ذلك (شتر) واستعماله مزيداً بالتاء (تشتر) هو الغالب ، وهو بمعنى لم يظهر كالرزين الوفر ، وانما كان في سلوكه خفة ورعونة • وليس بين المادة الفصيحة والعامية علاقة معنوية • يقال في الفصح : شتر ثوبه أي مزقه ومادة (شتر) تعني الشق •

ومن ذلك (شتف) يقال : شتف الثوب فهو مشتف أي قصير مُلَمَّم • ويبدو أن الأصل الثلاثي هو (شنف) ثم زيدت التاء حشواً • وفي الفصح : شَنَفَ الجارية أي جعل لها شَنَفاً أي قُرطاً في أذنيها •

ومن ذلك (شنهق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة ومعناه احدث أصواتاً مزعجة • وربما كان الفعل منحوتاً من (شهق) و (نهق) والشهيق معروف وهو التنفس ، والنهيق صوت الحمار •

ومن ذلك (شيمص) بمعنى هرب ، والأصل الثلاثي (شمص) وهو معروف في العامية والفصيحة ، ثم زيدت الياء ، وأكبر الظن أنها تعويض من الميم في (شَمَص) المضعف بعد فك الادغام • يقال في الفصح : شَمَصَ الدواب أي طردها طرداً شيطاً أو عنيفاً •

حرف الصاد

ومما جاء من الرباعي مما أوله حرف الصاد ما يأتي :
(صخمن) وهو من الصخام أي السخام في اللغة الفصيحة وهو ما يعلق على ظاهر القدر من مادة سوداء • والمادة الثلاثية هي (صخم) زيدت النون في الآخر فصارت رباعية • ومن المفيد أن نشير الى أن الصاد تبدل بالسين كلما جاورت الخاء في النطق العامي • فالعامي يقول

(صَخِي) ويريد بها (سَخِي) ، ويقول (مِصْحَنَة) ويريد بها (مِصْحَنَة) ويقول (صُخُونَة) ويريد بها (سَخُونَة) وغير هذا كثير . وقد جاء شيء من ذلك في اللغة الفصحى فقد ورد الصَخَب والسَخَب . وقد يؤدي هذا الابدال تغييراً في الدلالة كما في (صخمته الشمس) أي لفحته .

ومن ذلك (صرَّع) بالكاف الثقيلة وهي القاف في اللغة الفصحى . وأكثر ما يستعمل هذا الفعل مزيداً بالتاء (تصرَّع) ومعناه خاف كأنما صقق صعقاً وهو من (صقع) ومعناه (ضرب) والراء فيه زائدة أو فل تعويض من القاف في (صقَّع) بالتشديد بعد فك الادغام . والصرقة في فصح العربية تعني الفرقة .

ومن ذلك (صفرج) أي صار مائلاً للصفرة ، ومعنى ذلك ان الجيم زيدت للمصير الى الرباعي . ويبدو لي ان الجيم مبدلة بالشين الذي يرمز لـ (شيء) وهو يرمز للقلة .

ومن ذلك (صفرن) وهو كالفعل السابق في افادته الميل للصفرة والنون زيدت كسماً للمصير الى الرباعي .

ومن ذلك (صلَّع) أي صيره كالاصلع عند حلق شعره . والأصل الثلاثي الذي بني عليه هذا الرباعي هو (صلَّع) والميم زيدت حشواً . وهذه الزيادة في الفصحى أيضاً .

ومن ذلك (صنبر) بمعنى أظهر وادعى والأصل الثلاثي هو (صبر) والنون تعويض من الباء في (صَبَّر) بالتشديد بعد فك الادغام .

والذي نقول ان الباء في الفعل ابدال بالواو فالأصل الفصحى هو (صوَّر) بتشديد الواو ثم حصل الابدال في اللسان العامي الدارج كما حصل بذلك شيء من الجديد في الدلالة .

ومن ذلك (صندح) يقال صندحه الحلاق أي حلق شعره وجعله مصندحاً أي كالسطح أو كالأصلع . ومن غير شك ان الثلاثي فيه هو (صدح) والنون تعويض من الدال في (صدح) بالتشديد بعد فك الادغام . وفي فصح العربية (الصندَّح) الحجر العريض .

حرف الضاد

- ومما جاء من الرباعي مما أوله ضاد في العامية العراقية ما يأتي :
- (ضجور) بمعنى أضجر والواو زيدت حشواً للمصير الى الرباعي
 - ومنه (ضولع) بمعنى (ضلع) في مشيته والواو زيدت حشواً •

حرف الطاء

- ومما جاء من الرباعي مما أوله طاء في العامية العراقية ما يأتي :
- (طربق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة بمعنى أحدث اصواتاً مزعجة ، وهو من الطرق والطبقة وكلاهما يفيد الصوت • وينجم عن هذا أن (طربق) منحوت من هذين الأصلين •
 - ومن ذلك (طرخم) يقال (طرخم) صدره أي امتلأ من اخلاط السعال • واطنه من (ترخم) أي أن الطاء مبدلة بالتاء ، و (رخم) من (ركم) •
 - ومن ذلك (طرطب) أي بلل بالمساء وهو من (رطب) والطاء زائدة في أول الفعل •
 - ومن ذلك (طنبر) بمعنى ظهرت أمارات عدم الرضا والغضب على وجهه ، أو كأنه انتفخ مما به من كدر • والنون زائدة على طريقة التعويض • وفي الفصح (طَنَبَلَ) تحامق بعد تعاقل • وليس من علاقة في الدلالة بين الفصح والعامي •
 - ومن ذلك (طهمج) والمطهمج هو السمين القبيح • وفي الفصح من العربية (الطَهْمَل) الجسم القبيح الخلقة • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي جاء منه •

حرف العين

- ومما جاء من الرباعي في اللغة العامية مما أوله عين ما يأتي :
- (عثول) بمعنى لا يعمل عملاً ذا نتيجة أي يعبث ، وقد يأتي بمعنى

(يوسَخ) • والأصل (عثل) (٣١) ثم زيدت الواو حشواً • وفي العربية الفصيحة (العَثُولَ) الفَدَمُ المسترخي كالْعَثْوِثَل • والكثير شعر الرأس والجسد ، وعَثُول مثل صبور الأحمق •

ومن ذلك (عذرب) والمعذرب بزنة اسم المفعول هو الوقح الذي يسعى الى الشر • وليس في اللغة الفصيحة شيء من هذا • ولسنا على يقين تام من أمر الثلاثي من هذا الفعل •

ومن ذلك (عثر) بمعنى (احترم) وهو فعل مصنوع من انفصيح (اعتبر) فقد حذفت الهمزة وابقيت التاء توهماً لاصالتها • وهذا النوع من التوهم موجود في غير العامية ومن ذلك (تَخَذَ) و (تَقَى) فقد توهمت الاصلة في التاء في هذين الفعلين • وحقيقتهما الزيادة •

ومن ذلك (عربد) بمعنى اغلظ في كلامه وتجاوز الحدود • وفي انفصيح عربد السكران أي تكلم وتصرف على النحو المعروف بين السكران وهو العريضة • ومن هذا (عربيد) المؤذي لنديمه في سكره • ولا نلمح الاصل الثلاثي من هذا الفعل •

ومن ذلك (عرش) بمعنى تفرّع واشتبكت فروعها • يقال : قماش معرش أي مطبوع بنبات او اغصان مشبكة • والاصل في هذا (عرب) ثم زيدت الشين في الآخر •

ومن ذلك (عروج) أي (عَوَجَ) يقال : عروَج الطريق كما يقال عروج القضية أي لم ينجزها وأعاق سيرها عن قصد • والراء تعويض من النواو في (عَوَجَ) بالتشديد بعد فك الادغام •

ومن ذلك (عَصْرَنَ) بمعنى استعصى وصعب • والاصل الثلاثي هو (عصا) • والفعل الفصيح (عصى) يائي الآخر ، الا ان العامية عدلت عن الياء الى الواو ، وهذا العدول من الياء الى الواو كثير في العامية • والنون زائدة في الآخر • وربما كان الفعل العامي مأخوذاً من (عصا) الاسم • وكأن المعنى أصبح صلباً كالعصا •

(٣١) لعل الاصل هو « العثير » ثم عرض الابدال •

ومن ذلك (عكنش) بمعنى انكمش وصار ذا طيات كثيرة • والاصل الثلاثي هو (عكن) ثم زيدت الشين في الآخر • وقد يكون منحوتاً من (عكن) و (عكنش) والمعنى المتحصل من هذين الفعلين يؤيد ظاهرة النحت في (عكنش) • وقد يرد هذا الفعل في الاستعمال الدارج على القلب المكاني فيقال (عكنش) •

ومن ذلك (عنجر) بمعنى أصابه في رأسه وسبب له عُنْجَداً بارزة نتيجة الضرب • والرأس المنعجر هو الكبير الذي يبرز من جميع جهاته على خلاف المألوف • وفي العربية الفصيحة (عَنَجَرَ) بمعنى مدَّ شفتيه وقلبهما • والاصل الثلاثي هو (عجر) ثم جاءت النون تعويضاً عن الجيم في الفعل المشدد العين (عَجَّرَ) •

ومن ذلك (عنفص) والاصل في استعمال هذا الفعل للحصان الذي لا يستقر بل يجمع ويتأبى على صاحبه ويضرب الأرض بقوائمه ، وهذا هو الاستعمال العامي ثم استعير للناس يقال : عنفص الرجل أي تصرف تصرف الحصان الجموح فأخذ يزعق في كلامه دلالة على نكوصه وعدم رضاه •

وفي الفصح من الكلام ان (العَفْص) الالتواء في الانف ، والعُفْصَة المראה والقبض • والمعْفَص : الجارية النهاية في سوء الخلق • والعِنْفِص : المرأة البذيئة القليلة الحياء والداعرة الخيثة والقصيرة المحتالة والمنتنة الريح ، والتعنْفص الصلف والخيلاء والخفة • والنون زائدة للمصير الى الرباعي •

ومن ذلك (عنقر) والمزيد بالتاء هو الغالب في الاستعمال • يقال : فلان يتعنقر اي يصطنع القول ويبالغ فيه ويزينه زينة كاذبة • والذي عندي أنه مقلوب (يتعنقر) كما سيأتي في حرف القاف • والنون من غير شك جاءت على طريقة التعويض التي أشرنا اليها كثيراً •

حرف الغين

ومما جاء من الافعال الرباعية مما أوله غين في اللغة الدارجة ما يأتي :
(غربل) بمعنى صفى الحب والبذر ونحوهما في الغربال والمصدر الغربلة •

ولا ندرى ما اذا كان الاسم مأخوذ من الفعل أو العكس ، ثم اتنا لم نهتد الى الاصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي •
 (غشمر) بمعنى خدع وكذب وهى بالعين في اللسان العامي القروي او البدوي وبالقاف عند أهل الحواضر • ولم نهتد الى الاصل الذي جاءت منه • وقد تشعر بأن اصلها أعجمي •
 وقد جاءت (غشمر) في فصيح العربية والغشمرة اتيان الامر من غير تثبت والتهضم والظلم ، وتغشمره اخذه قهراً • ويبدو أن هذه المادة في اللغة الفصيحة قامت على (غشم) فالغشم هو الظلم •

حرف الفاء

ومما جاء من الرباعي مما أوله فاء ما يأتي :
 (فرزن) بمعنى ميّز والاصل فيه (فرز) أي فصل • ومادة (فرز) فصيحة كما هى عامية • والنون زائدة للرباعي •
 ومن ذلك (فرطن) والغالب في استعماله مزيداً بالتاء (يفرطن) وهو بمعنى يتصرف كما يريد متجاوزاً الحدود • وهو من التفريط ومادة (فرط) هى الاصل الثلاثي • والنون زائدة •
 ومن ذلك (فرقس) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة : وهو بمعنى ظهور انتفاخات على الجلد من جراء الكي • والاصل الثلاثي هو (فقس) الرء فهى تعويض من القاف في (فقس) بالتشديد بعد فك الادغام •
 ومن ذلك (فرقط) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة • وهو بمعنى تفرق يقال : شعر الصبي مفرقط اي متفرق • وهو منحوت من (فرق) و (رقط) •
 ومن ذلك (فرّفح) بمعنى خفق واضطرب يقال : فرّفح الغريق أي خفق واضطرب نتيجة التعب والارهاق • ولا نعرف شيئاً من الثلاثي الذي بني عليه الرباعي • اما الفرّفح في اللغة الفصيحة فهو الارض الملساء •

ومن ذلك (فرقع) بمعنى أحدث انفجاراً واصله (فقّع) والرء تعويض من الرء بعد فك الادغام • ومن المفيد أن نشير أن (فرقع) في

اللفظة الفصيحة تعني عدا شديداً • وفرق فلاناً لوى عنقه •
وهذا الفعل قد يرد في الاستعمال العامي في صورة أخرى وهي أن
القاف فيه تلفظ كافاً ثقيلة وهو يعني احراق السمن بحيث يتم الاحراق
ويسمع له ما يشبه صوت الانفجار •

ومن ذلك (فركت) بمعنى فرق الشيء اذا كان مجتمعاً في حقيقته •
يقال فركت الرمان او فركت الجبن ونحو ذلك • ويبدو أنه منحوت من
(فرك) ومعناه (ذلك) و (فَرَكْتَ) ومعناه نثر • والمعنى المتحصل من
هذين فيه شيء من كل منهما •

ومن ذلك (فَرِهْد) ومعناه في جنوبي العراق (سَلَب)
والفَرُهُود هو السَلَب • والمُفْرَهْد المسلوب • ولا نعرف له اصلا
تلايياً • غير أن هذا الفعل يستعمل مزيداً بالتاء في لغة أهل بغداد وما
جاورها من انحاء المنطقة الوسطى ، وهو يفيد الاتساع والرحب • فيقولون
المكان متفرهد ، والناس تفرهدوا في مستقرهم • وهذا من لطف الدلالة
ومن غرابة الاستعمال •

اما الفُرْهْد بالضم والفُرُهُود في فصيح العربية فهو يعني الغليظ •
والناعم التارُّ وولد الأسد • والغلام الممتلىء الحسن ، والفُرُهُود وَلَدُ
الوَعِل • وهذا بعيد عما نحن فيه من أمر العامة •

ومن ذلك (فَلَطَحَ) بمعنى صير الشيء مُفْلَطَحاً أي مسطحاً
واسعاً • والثلاثي فيه هو (فطح) واللام زائدة حشواً او أن هذه اللام
تعويض من الطاء في (فطَحَ) المشددة الطاء بعد فك الادغام • وقد تكون
اللام مبدلة بالراء من (فرطح) • وفي عربيتنا الفصيحة (فطح المكان)
جعلها عريضاً ومثله (فرطح) بالراء وفلطح القرص بسطه وعرضه ورأس
فِلطاح ومفلطح اي عريض •

ومن ذلك (فَلَحَمَ) يقال فلحم الرجل أي اشتد به الحر والتعب
من العطش وما اشبه ذلك • وقد يستعمل منه الوصف للشيء المحترق او
لما اوشتك أن يحترق • ولم اهتم الى شيء من أصله الثلاثي • وربما اشتق
من (الفحم) •

ومن ذلك (فلفص) بمعنى تحرك يقال : فلان لا يستطيع يلفف من
أي ضَبَطَ في مكانه فلا يملك عنه حولاً • ولم اهتم الى أصله الثلاثي
كما أن ليس في الفصح شيء منه •
ومن ذلك (ففغر) يقال : ففغر الجرح بمعنى انفتح وجرى دمه وهو
من غير شك من (ففر) ثم جاءت النون زائدة على طريقة التعويض التي
عرضت في كثير من الأفعال الرباعية •
ومادة (ففر) في اللغة الفصيحة واردة • يقال : ففغر فاه كَمَنَعَ
وَنَصَرَ فَتَحَهُ • ومثله أفغره فَفَغَرَ فوه وانفغر •
ومن ذلك (ففوعر) بمعنى اشتد حره • يقال : ففوعر الرجل •
وهو من (فَعَرَ) الثلاثي ثم زيدت الواو حشواً • ولا شيء من ذلك في
فصح العربية •

حرف القاف

ومما جاء من الرباعي في العامية من أوله قاف ما يأتي :
(قَحْوَر) يقال : قحور الشيء بمعنى أخذ من أطرافه ليكون على
هيئة دائرية • وقد ينطق القاف كافاً ثميلاً عند جماعة • وفي فصح العربية :
قوّر الشيء قطعه من وسطه خرقاً مستديراً ، والقوارة ما قطع من جوانب
الشيء • ويتبين من هذا أن الأصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي العامي
هو (قور) أما الحاء فهي زائدة للمصير الى الرباعي ، أو أنها جاءت على
طريقة التعويض من الواو في (قوّر) المضعف بعد فك الإدغام • وربما
كانت منحوتة من (قوّر) و (حوّر) •
ومن ذلك (قرضم) والقاف تنطق كافاً ثميلاً ومعناه قرض قليلاً •
والتحت واضح في هذا الرباعي فهو من (قرض) و (قضم) •
ومن ذلك (قرطف) بمعنى قص واقتطع قليلاً • والقاف تلفظ
كافاً • يقال : قرطف الشعر • والأصل (قطف) والراء جاءت على طريقة
التعويض التي أشرنا إليها • أو أنها منحوتة من (قرط) و (قطف) •

ومن ذلك (قرفص) بمعنى شده وامسك به وجبسه • والقرفصة
في فصيح العربية شد اليدين والرجلين • وأظن أن الراء تعويض من الصاد
في (قفص) المضعف بعد فك الادغام ، وذلك لان الثلاثي (قفص) في
فصيح العربية يفيد المعنى نفسه • يقال : قفص الظبي : شد قوائمه
وجمعها • والشئ قرَّب بعضه من بعض • ومثله (قفس) على الابدال •

ومن ذلك (قرفع) القاف تنطق كافاً ثقيلة • يقال : قرفع جلده أي
يبس وتشقق وتكون عليه ما يشبه القشور من تراكم الأوساخ • والاصل
الثلاثي هو (قفع) • يقال في فصيح العربية في الكلام على ابن المقفع
الكتاب : ان أباه لقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده • وتقفع
تقبض • وقد زيد الراء تعريضاً في العامية من الفاء في (قفع) المضعف
بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قرمط) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة • والمعنى قرض قليلاً
يقال (قرمط) الخبز أي اخذه بالقرض من أطرافه • وقد تلفظ القاف
على حقيقتها والمعنى ينصرف حينئذ الى شيء من الاستعمال المجازي •
يقال : قرْمَطَ في النفقات أي اقتصد وقتّر • والكلمة منجوتة من (قرم)
و (قرط) وكلتا المادتين يفيدان القطع •

ومن ذلك (قرمع) والقاف تنطق كافاً • يقال : قرمعت الام ولدها
أي ضربته على أصابع يديه وآذته ولا تخلو القرمة من أذى وتبريح •
والثلاثي من هذا (قمع) يقال في العربية الفصيحة : قمعه بالمِقمعة أي
ضربه بها •

والمِقمعة كمِكنسة : العمود من حديد أو كالمِحجن يضرب به رأس
الفيل • وخشبة يضرب بها الانسان على رأسه • والراء تعويض في العامية
من الميم في (قمع) المضعف بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قحطل) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة والغالب في استعماله
مطاوعاً لـ (قحطل) يقال (قحطله) فتقحطل أي تشنجت رجله وتوتر
عضلها فلم يطبق المشي • ولم اهتم الى الأصل الثلاثي الذي بني عليه

الرباعي • غير أن كتب اللغة أشارت الى (قحطر) بالراء يقال قحطر القوس وتَرَّها • والمرأة جامعها • وقد يكون بين العامي والفصحى علاقة والابدال طارئ وليس بشيء •

ومن ذلك (قشمر) وهي في لغة الحضريين العامية تعني (خدع) و (كذب) أشرنا الى ذلك في (غشمر) •

ومن ذلك (قشول) والكاف تنطق كافاً ثقيلة ، وهو بمعنى أتى على جميع ما في الدار سلباً • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي جاء منه هذا الرباعي •

ومن ذلك (قلو ط) والقاف تنطق كافاً ثقيلة • وهو بمعنى عذَّبَ • وهذا من غرائب العامية مما لا نستطيع رده الى أصوله التي اخذ منها • ومن ذلك (قلفس) والمقلفس غير المقبول منظره وصورته • وهو مما لا نستطيع رده الى أصوله •

ومن ذلك (قبص) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة والمعنى قعد منتصباً على قدميه وبهيأة مجتمعة • واطنه من (قمص) ثم ابدلت الباء بالميم وهذا الابدال كثير في العربية فصيحها وعاميتها • ثم ان النون جاءت تعويضاً من الباء في (قبَّص) المضعف بعد فك الادغام •

ومن ذلك (قنعر) وأكثر استعماله مزيداً بالهاء • يقال : فلان يتقنعر ، والمراد يتقنعر والمعنى العامي هو أنه يتصنع في كلامه وسلوكه ، وفي فصيح العربية التقنعر في الكلام اخراج الكلمات بهيأة يتقنعر معها جهاز النطق • والنون تعويض من العين •

حرف الكاف

ومما جاء من الافعال الرباعية مما أوله كاف في اللغة العامية ما يأتي : (كرجح) بمعنى أوقع وصرع والاصل (كبح) والراء جاءت على طريقة التعويض التي أشرنا اليها غير مرة • وهذا الرباعي من المشترك بين الفصيحة والعامية •

ومن ذلك (كرس) وهو بمعنى (كرجح) أي أوقع • ومن غير

شك أن الاصل هو الثلاثي (كبس) ثم جاءت الراء على طريقة التعويض .
والثلاثي (كبس) في العامية معناه : جمع وصف يقال : كبس التمر أي
ضمه في وعاء خاص مصنوع من خوص النخل على هيئة التحصير .
والكاف ينطق جيماً فارسية . وفي فصيح العربية يقال : كبس البئر والنهر
يكبسهما طمهما بالتراب ، وذلك التراب كبس بالكسر . وكبس رأسه
في ثوبه أخفاه وأدخله فيه . وكبس الدار هجم عليه . وجملة هذه المعاني
للفعل (كبس) لا تقرب من الرباعي وهذا من اسرار الزيادة في العربية
في توليد المعاني واختراعها . ومن المفيد ان نشير الى ان (الكربسة)
في اللغة تعني مشي المقيد . وهو مكربس الرأس اي مجتمعه .

ومن ذلك (كريل) يقال : عمل مكربل اي غير دقيق ولا أنيق ، وربما
كان فيه شيء من ضخامة مقبته . ولا نعرف له اصلاً ثلاثياً ، ولكن ربما
يقال : ان الراء جاءت تعويضاً من الباء في (كبّل) بالتشديد ، غير أن
(كبل) الثلاثي لا تفيد ما يقربها من معنى الرباعي .

ومن ذلك (كردح) يقال : تكردحت رجله أي اصابها خدوش
نتيجة سقوط او اصطدام . وفي كتب اللغة : تكردح تدحرج وتكرت
وكردحه صرعه . والاصل الثلاثي هو (كدَح) والراء جاءت على
طريقة التعويض التي أشرنا اليها . ومن معاني (كدَح) خدش ، وبه
كدح اي خدش والجمع كدوح وتكدَح الجلد تخدَش ، وحمار مكدَح
معضَض .

ومن ذلك (كردس) أي جمع وضم . وفي فصيح العربية
(الكردوسة) بالضم : قطعة عظيمة من الخيل . وكل عظيمين التقيا في
مفصل ، وكل عظم عظمت نَحَضَتْهُ . والكردسة الوثاق . ومشى في
تقاربٍ خطوٍ كالمقيد والسوق الغنيف ، وكردس بالضم جمعت يدها
ورجلاه والمكردس الملتزم الخلق . وتكردس : انقبض واجتمع .
والاصل الثلاثي هو (كدس) والراء جاءت على طريقة التعويض المشار
اليها . وفي كتب اللغة ان (الكدس) اشراع المثلث في السير .
و (الكدُس) و (الكُدسان) الحب المحصود المجموع و (كُداس)

بالضم ما كدس من التلج • و (الكُداسة) ما يكدس بعضه فوق بعض •
وفي العامية تنصرف مادة (كدس) كذلك الى الجمع والضم •
ومن ذلك (كردش) يقال كردش العظم أي أكل ما يلصق به من
لحم • والاصل الثلاثي هو (كدش) ثم جاءت الراء تعويضاً من الدال
في (كدش) بالتشديد بعد فك الادغام • ومعنى (كدش) في العربية
الفصيحة (خدش) يقال : (كدشه) أي خدشه وضربه بسيف أو رمح
ودفعه دفعاً شديداً • وقطعه وساقه وطرده • ويقال : أكدشت منه عطاءً
وكدشت أصبت •

ومن ذلك (كحوش) بالكاف وقد ترد بالكاف الثقيلة فتكون منقلبة
عن قاف وهو بمعنى فتش واخذ من الشيء ، ولا نعرف له اصلاً • وهو
من غرائب العامية •

ومن ذلك (كَرَكَش) يقال : كركش الشيء أي أخذ نصيبه منه •
ولا نعلم من أصله شيئاً كما أنه لا قرابة بينه وبين (كَرَكَس) في اللغة
الفصيحة •

ومن ذلك (كرمش) بمعنى تقبّض يقال : (تكرمش) الجِلْد
أي تقبض من البرد أو الحر • والاصل فيه (كمش) والراء جاءت تعويضاً
من الميم في (كمش) المضعف بعد فك الادغام • وتكمش الجلد مثل
انكمش أي تقبّض الجلد •

ومن ذلك (كشمّر) وهي في العامية القروية في جنوبي العراق
وهي (قشمّر) في لغة أهل المدن وقد سبق الكلام عليها في (قشمّر) •
ومن ذلك (كعبر) يقال : كعبر الشيء أي لم يتقن عمله فجاء غير
منتظم الشكل تخرج منه تنوعات لا تجعله مقبولاً • والكعاير جمع
كُعبرة وهي في العامية ما تجتمع وتضخم وتنتأ • وفي فصح العربية
ان الكُعبرة بضمين وتشديد الراء ما يرمى من الطعام اذا نُقّي • وكل
مجتمع كالكعبور والنعظم الشديد المتعقد وأصل الرأس • والورك الضخم •
وأظنه منحوت من (كعب) و (كبر) وفي معنى كل من هذين الثلاثين
شيء يدخل في مدلول (كعبر) في الفصيحة والعامية • وقد يحصل في

هذا الفعل ان تبدل الواو بالباء فيصير (كعور) وهو يفيد المعنى نفسه •
ومن ذلك (كلفت) بمعنى ملاً الفراغ يقال كلفت السفينة أي
ملاً الشقوق والفروج بين ألواحها • والاصل هو (كفت) • وفي فصيح
العربية الكفات بالكسر الموضع يكفّت فيه الشيء أي يُضَمّ ويجمع •
واللام زيدت حشواً •

حرف اللام

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله لام ما يأتي :
(لخبط) وهو مقلوب (خلبط) وهو من (خلط) و (خبط)
ثم نحتا فجاء (خلبط) كما بيناه في حرف الخاء •
ومن ذلك (لعوس) وهو في لغة القرويين يفيد (وسّخ) ولست
على علم بالطريقة التي تم بها بناء الرباعي •
ومن ذلك (لعبط) وهو بمعنى يتحرك يقال : الرضيع يتلعبط يريد
يتقلب ويتحرك حركات غير ارادية • وأكبر الظن ان الاصل الثلاثي هو
(لبط) وهذا الثلاثي يفيد في العامية الحركة نفسها • يقال : السمك يلبط •
وفي فصيح العربية (لبط) به الارض ضرب • والعين زائدة للمصير الى
الرباعي •

ومن ذلك (لغمط) يقال : لغمط الصبي ثوبه بمعنى وسّخه وحدث
فيه بقعاً وذلك بسكب صبغ او دهان عليه مثلاً • وهذا الرباعي منحوت
من (لغم) و (غمط) والفعل الاول معناه في اللغة الفصيحة رمى باللُغام
وهو زَبَدُ الجمل • وتلفم بالطيب جعله فيها • والفعل الثاني من صورهِ
(تغمط) يقال : تغمط عليه التراب غمّاه •

ومن ذلك (لغوص) يقال لغوص الحلاوة اي أكلها بادارتها في فمه
وباعمال اللسان • وهو منحوت من (لغو) و (لوس) ، ولغا لغواً تكلم
أي ادار الكلمات في فمه • اما (اللوس) فهو تتبع الانسان للحلاوات
وغيرها ليأكلها واللّواس بالضم الطعام • واللّواسة بالضم اللقمة • وابدال
الصاد بالسين كثير في العامية • على أنه قد يأتي في الفصح ايضاً •

ومن ذلك (لهوج) يقال : هو يلهوج في كلامه يريد يدور فيه
ولا يستقيم • وهو من (اللوج) يقال : لوَّج بنا الطريق أي عوّج •
والهاء اما أن تكون زائدة أو أنها جاءت على طريقة التعويض من الواو
في (لوَّج) المضعف بعد فك الادغام • وقد يبدل بالجيم جيماً ثقيلة على
نحو ما ينطق به أهل مصر وفي هذا الابدال صرف للفعل الى معنى آخر •
يقولون : خبز مُلهوَّج بالجيم الثقيلة أي لم يتم خبزُه •

حرف الميم

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله ميم ما يأتي :
(مخطن) وهو من المخاط أي صار مخاطياً • والاصل الثلاثي هو
(مخط) والنون زائدة في الآخر •
ومن ذلك (مرجح) واستعماله مزيداً كثير يقال : (تمرجح)
وهو من الأرجوحة أي ما يتأرجح عليها مما يلعبه الصبيان • والميم زائدة
للرباعي • ولكن هذه الميم في الفعل الرباعي العامي مأخوذ من ميم الاسم
وهو (مرجوحة) وهي الأرجوحة •
ومن ذلك (مرشق) بمعنى رمى • وقد تستعمل مجازاً بمعنى قذف
بالسبب والشتيم ومختلف ضروب التبز • والاصل الثلاثي (رشق) والميم
زيدت بسبب الرباعي • ومن المفيد أن نشير الى ان القاف تنطق كافاً ثقيلة
في العامية •
ومن ذلك (مرعد) بمعنى مزَّق وقطَّع • يقال : مرعد ثوبه •
والاصل الثلاثي فيه (مرد) وفي فصح العربية (مرد) بمعنى قطع ومزَّق •
والعين زائدة حشواً •
ومن ذلك (مرعط) بمعنى شقق ومزَّق وهو منحوت من (مرط)
و (رعط) وكلاهما في العامية يفيدان المعنى نفسه •
ومن ذلك (مروَّج) والكثير في استعماله أن يأتي مزيداً بالتاء يقال :
العمود يتمرَّوج أي يتحرك ويتمايل • ويبدو أن الواو زائدة في حشو الكلمة •
ومن ذلك (ملفظ) وهو مقلوب (لغمظ) وقد سبق الكلام عليه

في حرف اللام • •

ومن ذلك (مقلج) وأكثر استعماله مزيداً بالتاء • يقال : الصبي يتمقلج أي يترنح في مشيته • ولا نعرف الأصل الثلاثي الذي بنى عليه الرباعي •

حرف النون

ومما جاء من الرباعي مما أوله نون في العامية ما يأتي :
(نخبش) بمعنى حفر قليلاً أو ثقب قليلاً والأصل الثلاثي هو (نخب) والثلاثي يفيد هذا المعنى في العامية • والمنخوب في الفصحى من الكلام الذاهب اللحم المهزول • والشين زائدة في الآخرة وهي ترمز لـ (شيء) أي القليل وقد رأينا هذه الزيادة وما أفادته من دلالة معنوية في غير هذا المكان وقد يحصل ابدال النين بالخاء فيقال (نخبش) والمعنى نفسه كما يحصل ابدال الميم بالباء فيقال (نغمش) وفي هذا شيء من المعنى نفسه يقال : هو ينغمش بالقلب كناية عن كونه مجنوناً •

ومن ذلك (نعوص) بمعنى احدث صوتاً فيه غنج ودلال • وأكثر استعماله مزيداً بالتاء (تنعوص) • وأكبر الظن ان الواو زائدة • ولا نعرف وجهاً لهذا الثلاثي من حيث الأصل الفصحى •

ومن ذلك (نقبش) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة • والمعنى مثل (نخبش) والأصل الثلاثي (نقب) بمعنى (ثقب) ثم زيدت الشين في الآخر رمزاً لـ (شيء) الذي يفيد القلة •

ومن ذلك (نقرش) يقال تنقرش وجه الصبي (أي حدثت فيه آثار نتيجة الدمامل والبثور • والقاف ينطق كافاً ثقيلة • والأصل الثلاثي (نقر) والنقر معروف بمعنى الخدش والشين في الآخر زائدة ترمز لـ (شيء) أو مقتطعة منها لإفادة القلة •

حرف الهاء

ومما جاء من الرباعي مما أوله هاء في العامية ما يأتي :
(هجول) والمعنى أبعد وطرده وحمله على الانتقال والابتعاد •

والثلاثي فيه مادة (جول) ثم صدرت بالهاء لتكون على الرباعي ولتفيد هذا المعنى •

ومن ذلك (هتلف) يقال هو (مهتلف) أي رث الملبس زري المنظر معوز • والأصل الثلاثي هو (تلف) ثم صدر بالهاء لافادة هذا المعنى •
ومن ذلك (هربد) والمعنى تكلم بصوت مجمجاً دون الاعراب عن معنى واضح • ولا نعرف وجهاً للثلاثي من هذا الرباعي واكبر الظن أنه من مبتدعات العامة في وضع الالفاظ وخلقها •
ومن ذلك (هربش) يقال هربش الرجل أي كبر وشاب رأسه • وهذا نظير الفعل السابق من حيث عدم المعرفة بأصله الثلاثي • وهو من وضع العامة لهذه الدلالة •

ومن ذلك (هدرس) يقال (تهدرس) الولد في مشيته أي اطمأن في مشيته وتهادى • ولم نهتد الى الأصل الثلاثي الذي بني عليه الرباعي •
ومن ذلك (هرول) والهرولة ضرب من العدو وهو فصيح كما هو عامي •
ومن ذلك (هنجل) والهنجلة ضرب من العدو بطيء • ولا نعرف من أصلها الثلاثي شيئاً ، غير أن النون زائدة في الغالب في مثل هذه الابنية • وهي تعويض عن الجيم في (هجّل) المضعف بعد فك الادغام •

حرف الواو

ومما جاء من الرباعي في العامية مما أوله واو ما يأتي :
(ورشع) يقال : تورشعني أي أخذني وغلب عليّ وابسكتني • وهذا مما لا نستطيع رده الى أصله • وهو مما اختصت به العامية •
ومن ذلك (وندخ) بمعنى داخ وسهم وخارت قواه • وهو كظيره السابق مما لا نعرف له أصلاً ثلاثياً •
ومن ذلك (وهدن) بمعنى غش وخدع • وأغلب الظن أن الأصل الثلاثي هو (هدن) ثم صدر بالواو فصار رباعياً •

ما جاء من الرباعي مأخوذاً من الاسماء

اتسعت العربية فجاء فيها من مادة الفعل ما أخذ من الاسماء وهذه الاسماء هي اسماء الأعيان وغيرها • وفيها ما جاء من أسماء دخيلة معرّبة • ولم يلتفت النحويون الاقدمون وعلماء اللغة الى هذه المسألة اللغوية الحقيقية بالدرس والبحث التفاتهم الى مسألة أخرى أقل منها شأناً هي مسألة المصدر والفعل وأيهما اشتق من الآخر • وهذه المسألة لم تخدم العلم اللغوي كما سنرى •

وهذه المسألة من مسائل الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة وانتصر كل فريق من هؤلاء لرأيه مستدلاً بأدلة عرض لها أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله بن ابي سعيد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ في المسألة الثامنة والعشرين من كتابه (الانصاف في مسائل الخلاف)^(١) فقال :

« ذهب الكوفيون الى ان المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، نحو ضَرَبَ ضَرْباً ، وقام قياماً • وذهب البصريون الى ان الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه » •

ثم عرض لأدلة كل من الفريقين ودحض كل فريق لاقوال الفريق الآخر • وفي هذا العرض الذي سجله ابن الأنباري وشارك فيه مادة ضخمة لم يفد منها العلم اللغوي فقد اتبع كل من الفريقين الجدل والمنطق في اثبات

(١) ابن الأنباري ، الانصاف ج ١ ص ١٤٤ •

ما يرمي اليه من المسائل النحوية • وفي هذا ابتعاد عن النحو وافساد له •
وجميع مادة الكتاب تجري هذا المجرى الذي لا يفيد منه الباحث اللغوي
علماً حقيقياً •

ومن ذلك ما جاء من احتجاج البصريين في هذه المسألة قوله :
« وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن المصدر أصل
للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين فكما
ان المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل » •

وفي عرضه لاحتجاج الكوفيين قال :
ومنهم من تمسك بأن قال : « الدليل على أن المصدر هو الأصل أن
الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر والمصدر لا يدل على ما يدل عليه
الفعل ، ألا ترى أن ضَرَبَ يدل على ما يدل عليه الضرب ، والضرب
لا يدل على ما يدل عليه ضَرَبَ ، وإذا كان كذلك دل على أن المصدر
أصل والفعل فرع لان الفرع لا بد أن يكون فيه الأصل ، وصار كما تقول في
الآنية المصوغة من الفضة ، فانها تدل على الفضة والفضة لا تدل على الآنية
وكما أن الآنية المصوغة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك هاهنا ، الفعل فرع
على المصدر ومأخوذ منه » •

هذا طرف من الأساليب التي درج عليها اللغويون والنحويون الأقدمون
في مادة مهمة من مواد العربية أكثرها فيها دون كبير جدوى ، ذلك أنهم لم
يفطنوا الى أن الكثير من مادة الفعل جاءت من أسماء الاعيان المختلفة كما
سنرى • على أن من الحق أن نقول : ان ابا القتح عثمان بن جني في النصف
الإخير من القرن الرابع قد أشار الى هذا فقال باشتقاق الفعل من اسماء
الأصوات وأسماء الاعيان ، ولكنه لم يفصل في ذلك التفصيل الوافي • واشتقاق
الفعل من أسماء الاعيان أو قل من الاسم يبطل قيمة الجدل بين النحويين
الأقدمين من حيث الفعل والمصدر وعلاقة كل منهما بالآخر ، وذلك أن كلا
من الفعل والمصدر مادة متشابهة ، أو قل ان كليهما مادة واحدة فكل منهما
دال على حدث غير أن الفعل زمانه مقيد معين والمصدر لا يستفيد الزمان الا

في حال اعماله كما هو معروف •

ولنعرض لطائفة من الافعال مأخوذة من أسماء الأعيان •

ومما أخذ من أسماء الامكنة ما يأتي :

(أتهم) قالوا : أتهم الرجل أتى تهامة • ومثله (أعرق) و (أشام)
و (أصحر) و (أنجد) و (أحزن) أي دخل العراق والشام والصحراء
ونجداً والحزن •

و (أجنب) دخل الجنوب • و (جنبَ) اصابته الجنوب فهو
مجنوب •

و (أحرم) دخل الحرَمَ ، و (أروضت) الأرض و (أراضت)
البيسها النبات • ومثل هذا كثير والاستقراء يهدي الى مواطن هذا الاشتقاق •
ومما أخذ من أسماء الازمنة ما يأتي :

(بكر) يقال : بكر فلان بكوراً اذا خرج (بكرة) والبكرة أصل
الفعل وهي اول النهار • ومن هذا (بكرَّ) المضعف وابتكر وباكر •

ومن ذلك (حال) يقال : حال الغلام أي أتى عليه حول • وأحال
عليه الحَوَل أي حال • ودار محيلة اذا أتت عليها أحوال • وأحولت بالمكان
وأحلت أقمت به حوالاً •

ومثل هذا ما اشتقت العربية من (الحين) أي المدة ومن (الدهر)
و (الربيع) و (الشتاء) و (الزمن) و (السحر) و (السنة) و (الشهر)
و (الصبح) و (الضحى) و (الظهر) و (العشوة) و (الفدوة)
ونحو ذلك •

ومثل هذا ما اشتق من مادة (خلق الانسان) فقد أخذ الفعل من كثير
من أعضاء جسم الانسان • كما أخذ الفعل من أسماء النبات والحيوان وسائر
المواد مما حفلت به البيئة العربية •

وقد أشار النحويون الى شيء من هذه الأفعال المأخوذة من أسماء
الأعيان فقالوا : يرئأت الثوب أي صبغته باليرناء وهي الحِنَّاء ، كما قالوا :
نرجست الدواء أي وضعت فيه النرجس •

ولفتنا الحديثة الفصيحة والعامية حفلت بهذا النوع من الأفعال التي
تشتق من الأسماء المعربة الدخيلة • وفي الفصيحة الحديثة ان هذه الأفعال
مما يقتضيه موضوع الجديد من مواد العلم التجريبي •
ومن ذلك قولهم (بَسْتَرَّ) الرباعي بالباء التي هي أثقل من الفاء ،
وهي تستعمل للحليب المعقم والمحفوظ بالطريقة التي ابتدعها الكيميائي
الفرنسي (Pasteur) وعرفت به واشتق اسم الطريقة من اسمه ثم صيغ
من هذه الطريقة فعل لهذا المعنى • ثم نقل الى العربية رباعياً كما مثلنا •

ومن ذلك (غَلَوَن) يقال في العلم الحديث « الحديد المغلون » وهو
نوع من الحديد المطلي بمادة ما • وهذا الفعل الرباعي في العربية مبني من
الكلمة الأعجمية التي تفيد الحقيقة العلمية المذكورة •

ومن ذلك (كهْرَب) يقال في العلم الحديث « كهْرَب المصنع » أي
جعل المعمل مسيراً بالقوة الكهربائية • والفعل الرباعي مأخوذ من « كهْرَبَا »
الكلمة الأعجمية المعربة • ثم تطور استعمال الكهْرَباء والافادة منه وتم
في العلم الحديث أن استحدثت القوة الكهربائية أو التيار الكهربائي من
تيار الماء المتدفق نتيجة لبناء السدود في عرض مياه الانهار والبحار والبحيرات
الطبيعية والاصطناعية ، وسمي هذا النوع من الكهربائية « الكهْرِمائية »
بالافادة من النحت فهو كهْرِمائية من تيار الماء ، ومن ذلك قالوا : كَهْرَمَ
كما قالوا : كَهْرَبَ •

ومن ذلك (مغنَط) يقال : حديد ممغنط أي حديد اكتسب المغناطيسية
وهي الخاصية العلمية المعروفة • وقد أخذ أهل العلم فعلاً رباعياً من الكلمة
العلمية •

ومن ذلك (هدرَج) يقال : « زيت مهدرج » أي انهم أمرّوا عليه
عنصر الهيدروجين ليكون ذلك مساعداً على جودته •

ونعود الى ما في العامية من الأفعال الرباعية المشتقة من الاسماء سواء
كانت أعجمية أم غير أعجمية •

ومن ذلك (جَوْرَبَ) جَوْرَبَهُ أي ألبسه الجورب وتجبورب

مطاوعه • والجورب من اللباس معروف وهو دخيل أعجمي •
من ذلك (دستر) وأكثر استعماله في ميدان البناء ذلك أن البناء يمد
خطه على الجدار حين يصف أحجاره ليأتي البناء مستقيماً مستويًا • والفعل
من غير شك مأخوذ من (دستور) وهو كلمة أعجمية •

ومن ذلك (دُودَى) بمعنى دبّ مستخفياً وهو من مأخوذ من الدود
فكأنه دب كما يدب الدود على الأرض • وهذا الفعل من أصل حيواني وما أكثر
ما أعطت الأصول الحيوانية من أفعال • والواو في الفعل من مادة الاسم •
ومن ذلك (دولب) يقال دولبه بمعنى خدعه وغشه وجعله في ورطة
كما لو دار به « دولاب » والاسم « دولاب » وهو من الآلات الدوارة
المتحركة •

ومن ذلك (خوصر) وأكثر استعماله مزيداً بالياء « تخوصر » أي
وضع يديه على خصره إشارة للوقوف والثبات • وزيادة الواو على هذا
النحو كثيرة في العامية نحو : دُوَهَن من المداينة وسُورَبَ من السرب
وهو الذهاب و « نوقل » بالكاف الثقيلة لا بالقاف بمعنى نقل ويبدو أن
هذه الواو قد تولدت من امالة الالف فهي : داهن وسارَب وناقل ونحو
هذا •

ومن ذلك (رندج) يقال رندج النجار الخشبة أي أمر عليها الأداة
المسماة عند النجارين بالرندة لاخذ شيء منها حتى تأتي صقيلة نظيفة •
وهذه الاداة من الدخيل الفارسي في عاميتنا العراقية غير أنهم حين أخذوا
الفعل من ذلك ذيلوه بالجيم على نحو العربات الفارسية المذيلة بالجيم
نحو : بابونج ولوزينج وساذَج ومالَج وقالوذج وفالَج ونحو ذلك •

ومن ذلك (زَنْجَرَ) بمعنى صدأ وهو من الزنجار أي الصدأ
والزنجار ليس بعربي وإنما هو كلمة أعجمية عرفت في العامية دون الفصيحة •
والزنجار والزنجور في العربية الفصيحة ضرب من السمك •
ومن ذلك (زنجل) بمعنى قيَّده بالزنجيل والزنجيل يعني السلسلة
وهو من الدخيل الأعجمي في العامية العراقية •

ومن ذلك (زَقَب) يقال زَقَبه أي اطعمه الزقَبوت والزقَبوت كلمة عامية أعجمية وهي تعني الطعام المرّ أو الزقوم •
ومن ذلك سَخَنَ أي تقذّر وصار كالسخت والسخت كلمة أعجمية تؤدي هذا المعنى الذي نجده في الفعل • وقد يكون سَخَنَ من السَخَتَان وهو جلد الماعز اذا دبغ •

ومن ذلك (سَكْرَب) أي قَدُمَ وتعطل عن العمل وأصابه البلى، يقال لما هو مصنوع من الحديد كالمكائن ونحوها • وهو مأخوذ من السُكراب والسكراب الحديد البالي من بقايا المكائن مما لا فائدة كبيرة فيه • وقد تستعمل الكلمة (سكراب) مجازاً كأن يتحدث الشخص عن نفسه فيقول تسكربت أي لم يبق فيه بقية من قوة • ومن غير شك ان كلمة (سكراب) أعجمية دخيلة •

ومن ذلك (سَلِج) بمعنى صار كالسلبوح ، وهو الديدان الكبيرة • والاصل هو هذا الاسم • وأكبر الظن أن اللام في (سلبوح) عوض من الباء في (سَبَّوح) المشدد الباء بعد فك الادغام • « والسابحات » في قوله تعالى هي السُفُن • او أرواح المؤمنين ، او النجوم •

ومن ذلك (سَنَبَل) يقال : سَنَبَل الزرع أي ظهرت سنبله • والاصل هو الاسم سنبله وهو معروف •

ومن ذلك (سَوْدَن) أي أورثه السوداء وهو مرض من الامراض • والاصل هو الاسم المذكور وانما صير الى الفعل الرباعي منه بزيادة النون في الآخر •

ومن ذلك (شَكَبَن) وهو بالكاف الثقيلة ومعناه عبأ البضاعة بالشكابين واحدها (شُكْبَان) وهو الجوالق • والشكبان كلمة أعجمية عرفتھا العامية دون الفصيحة •

ومن ذلك (شَيْطَنَ) يقال شيطنه فتشيطن وهو من الشيطان •

ومن ذلك (صَلِخ) بمعنى صار كالصلبوخ والصلبوخ هو قطع الحجر او الحصى الكبيرة الصلبة •

ومن ذلك (صخرج) أي صار كالصخر • وصوغ الرباعي ثم
بتذيل الكلمة بالجيم والاصل هو الاسم •

ومن ذلك (صنكر) أي وقف كما يقف الصقّر وهو من الطيور •
وصيرورة الرباعي من الاصل الحيواني قد تم بزيادة النون •

ومن ذلك (صفلم) يقال صفلم الشيء بمعنى أحسن صنعه •
والاصل الذي أخذ منه الرباعي هو كلمة مركبة (صالح سليم) من الكلم
التركي الدخيل في العامية •

ومن ذلك (عسكر) بمعنى أقام معسكراً والمعسكر هو ثكنة الجند
والكلمة معروفة في العامية والفصيحة • والاصل الذي اخذ منه الرباعي
هو (عَسْكَرٌ) بمعنى الجند •

ومن ذلك (عفرت) أي صار كالعفريت وقد يعرض القلب لهذا
الفعل فيصبح (عفتر) والفترة أي الاغتصاب عنوة •

ومن ذلك (عورض) أي اعترض ووقف في العرض • والواو في
هذا الرباعي ربما جاءت من إمالة الالف في (عارض) نحو الضم •

ومن ذلك (فرعن) يقال : فرعن وتفرعن أي صار متجبراً
مستبداً • والاصل الذي أخذ منه الرباعي هو (فرعون) •
ومن ذلك (فرنج) يقال تفرنج أي تظاهر كالافرنج في كلامه ولباسه
وعاداته •

ومن ذلك (فنطر) أي صار ذا هوى خاص • والاصل الاسمي
الذي بني عليه الرباعي هو مادة فرنسية هي Fantaisie •
ومن ذلك (فرنس) يقولون تفرنس الرجل أي صار كالفرنسيين
في مظهره •

ومن ذلك (قندل) أي تلاًلأ كالقنديل • والقنديل معروف •
ومن ذلك (قنزع) يقال هو مقنزع في مكان ما أي واقف وحيد •
ومن ذلك (قولب) أي صبّه في القالب • والقالب على وزن فاعل
معروف •

ومن ذلك (كروآن) أي أخذه وغلبه وهو من الكروان وهي فارسية دخيلة معروفة في العامية وهي جماعة الابل التي تسير • وقد عربت الكروان بكلمة (قيروان) في العصور الاسلامية الاولى •

ومن ذلك (كلبج) وهو بالجيم الفارسية والمعنى قيده بالحديد • والاسم الذي اخذ منه هو (كلبجة) •

ومن ذلك (كرزك) وهو من الكِرْزِل • والكرزل هو الحجارة غير المنتظمة •

ومن ذلك (كزبر) يقال : كزبر الجلد أي اقصع وهو مأخوذ من الكزبرة من الاجزاء التي يبيعها العطارون من العلاجات •

ومن ذلك (كَلْبَس) أي ربط بالسلك للسجلات والدفاتر نحوها وهو من Clips .

ومن ذلك (كَمْرَك) وهي بالكاف الثقيلة • والمعنى أن تستوفي الحكومة الضريبة الكمركية على البضائع المستوردة • والاسم هو الكمرك وهو الضريبة المقتضاة •

ومن ذلك (مسكن) والكثير في استعماله مزيداً بالتاء أي صار كالمسكين • والاسم الذي أخذ منه الفعل هو « مسكين » •

ومن ذلك (نَشْتَر) يقال نَشْتَر الجُرْح أي انشق الدم منه • وهذا الفعل مأخوذ من الاسم « نَشْتَر » مما يفيد هذا المعنى وهو كلمة أعجمية عرفت في العامية دون الفصيحة •

ومن ذلك (نيشن) أي أشار الى هدف ، يقال هذا لمن يصوب عياراً نارياً •

وكذلك يقال نيشن البضاعة أي وضع « نيشاناً » وهو علامة ما • والاصل الذي اخذ منه الثلاثي هو الاسم نيشان •

ومن ذلك (نكرز) بالكاف الثقيلة وأكثر استعماله مزيداً بالتاء (تنكرز) يقال تنكرز الغلام أي تصنع وتظاهر بالتمدن الكاذب في الحديث اللباس وسائر العادات • والفعل يشير الى ان المتكرز هو المتشبه بالانكليز

ومن غير شك ان الاسم هو الذى اعطى هذا الفعل الرباعي •
ومن ذلك (هندس) بمعنى خطط ووضع مخططاً لمشروع من
المشروعات • وهذا الفعل مأخوذ من الاسم العربى (هندسة) • وفي لغة
العامة يميلون الى الزاء بدلاً من السين رجوعاً الى الاصل الفارسي
(هندازه) الذى جاء منه (هندسة) •

ومن ذلك (هندَم) وهو من الهندام اي اللباس عامة •

طريقة في بناء الرباعي في العامية

للعامية طرقها في الالفاظ واشتقاق الكلمات • والاستقراء الوافي يدل على هذا وقد بدا لي أن افرد فصلاً خاصاً لافعال رباعية اتبعت فيها ميكانيكية واضحة من حيث البناء • ويقوم هذا البناء بتكرار فاء الفعل حشواً او بتكرار عين الكلمة ووضعه في الاول • ومن هذه الافعال ما يأتي :

(بَرَّ بَع) والمعنى شبع واطمأن والاصل الثلاثي (ربع) من الربيع ثم زيد الباء في الاول مجانسة لعين الفعل في الثلاثي •

ومن ذلك (بربخ) بمعنى استقر في قعدته واسترخى ، والتربخ في فصيح العربية شيء مثل هذا • والاصل هو (رَبَخَ) ثم زيد الباء في اول الفعل مجانسة لعين الفعل في الثلاثي •

ومن ذلك (دردق) بمعنى سكب الماء مع الاشعار بصوت السكب وهو من (درق) ثم زيد الدال حشواً وهو من جنس الفاء في الثلاثي •

ومن ذلك (طرطب) والاصل رطب وقد سبق الكلام عليه •

ومن ذلك (فرפט) والاصل (فرط) ثم زيدت الفاء حشواً مجانسة لفاء الثلاثي • ومعنى هذا الرباعي قريب من الثلاثي • يقال فرפט الحب اي فرقّه •

ومن هذا (كمكش) والاصل كمش) الثلاثي ثم زيد الكاف حشواً مجانسة لفاء الثلاثي • ويفيد الرباعي معنى اللمس طلباً لمعرفة الشيء •

يقال يكمكش الاعمى •

ومن ذلك (لهلب) يقال لهلبت النار اي صار فيها لهب • والاصل

الثلاثي (لهب) ثم زيد اللام حشواً على الطريقة نفسها •
ومن ذلك (مَرْمَش) يقال مرمش اللحم أي أكله بنهم ورغبة
ولم يبق منه • والاصل الثلاثي (مرش) والمَرش هو الخدش في نصيح
العربية وقد زيد الميم حشواً مجانسة للميم الاولي وهى فاء الفعل •
ومن ذلك (مَرْمَص) يقال مرمص التمر أكله برغبة • والاصل
الثلاثي (مرص) والمرص في فصيح العربية يعنى الغمز بالاصابع للثدي •
والميم زيد حشواً مجانسة لفاء الفعل •
ومن ذلك (مرط) يقال (مرط الطعام) بمعنى أتى عليه • والاصل
الثلاثي هو (مرط) يقال (مَرَطَ الشعر) في فصيح العربية بمعنى
تتفه • والميم زيد حشواً مجانسة لفاء الفعل •
ومن ذلك (ملمس) بمعنى لمس وفحص • والاصل الثلاثي هو
(لمس) ثم زيد الميم في اول الفعل مجانسة لعين الفعل •
ومن ذلك (نَعْنَس) بمعنى نعس وفتّر • والاصل الثلاثي هو (نعس)
ثم زيد النون حشواً مجانسة للنون الاولي •

المضعف الرباعي

يعرف الصرفيون هذا الرباعي بالفعل الذي فاءؤه ولامه الاولى من جنس واحد ، وعينه ولامه الثانية من جنس واحد أيضاً نحو : زلزل ووسوس • والحقيقة أن بناء هذا الفعل الرباعي يتم من ضم ثنائي مؤلف من حرفين صحيحين الى مثله • فالثنائي في (زلزل) هو (زَلْ) •

واضافة الثنائي الى مثله تؤدي الى معنى القوة والزيادة والمبالغة ، وهذا هو الاصل في تسميته عند الصرفيين الاقدمين بـ (المضعف) ، وذلك أن التضعيف عندهم يؤذن بهذه المبالغة المتحصلة من ضم الثنائي الى مثله • ونستطيع أن نستقري من هذه الافعال مادة تعرب عن صوت شديد أو خفيف وقد يكون في هذا الصوت لون من حركة ما ، ومن ذلك مثلاً : طقطق وقمقع وجعجع وطنطن وفحفح • وفي هذا شيء من حكاية لصوت ما ، وفيه ايضاً تتضح الصلة بين الصوت والمدلول وهو ما يدعي بـ “onomatopie” ونستطيع أن نرد الى هذا جميع الكلمات التي تعرب عن الاصوات التي الصقها العرب بالمصادر التي تخرج منها هذه الأصوات • وكأنهم لمحوا في هذا التضعيف طريقة حسنة لحكاية الأصوات ولذا جاءت الكلمات الآتية في العربية : دندن وزمزم ومأماً ونخنخ وصلصل ولقلق ومثل هذا من الأسماء ضوضى وغوغى وعوغى وذلك كثير في العربية •

ومن الرباعي المضعف ما أعرب عن عيب من عيوب النطق ومن ذلك : التمتة واللجلجة والخنخة والتتعة والتأتأة والوصوصة والوطوطة والتتلة •

وقد يكون في هذا الرباعي شيء من الإفصاح عن حركة ما نحو :
دَحْدَحَ بمعنى مشى بسرعة وبخطى قصيرة وغلغل بمعنى أسرع وشغشغ
بمعنى أسرع ومثله فرفر وزكرك ودعزع • ومنه هَدَهْدَ يقال : هدهدت
الام طفلها لينام وكذا ذبذب ودلدل بمعنى حرك ودفع وكذا دغدغ وبلبل •
على أن هذه الحركة المؤداة بهذه الطريقة من تكرار الشائين
الصحيحين تقتضى التكرار وهذا التكرار نلمحه في رأراً اى لمع للسراب
ورقرق للماء ولعلع للسراب ايضاً ولألاً وقد يكون هذا من اللؤلؤ وفي
اللؤلؤ حركة تنجم عن اللعان والبريق •

وقد جاء هذا النوع من المضعف الرباعي في الأسماء كثيراً فمن
الفاظ الصحراء وأوصافه جاء : سَبَسَ ومقلوبه سَبَسَبَ ومثله فَدَقَدَ
وصَفَصَفَ ونَفَنَفَ وصَحَصَحَ ومَوَمَى ومومة •

ومادة حكاية الأصوات قد اعطت ألفاظاً هي من أسماء الحيوان
والطير وسائر الدواب وقد أطلقت هذه على هذه الاحياء حكاية لأصواتها •
ومن ذلك : صَرَصَر نوع من الحشرات ومثله عَقَعَقَ لنوع من
الطير ومثله صَعَصَعَ •

ومن ذلك : وَطَواط و وَرَوَار و رَقَرَأف وكلها من الطير ومثله
بَلَبَل وجدجد وفَسَفَس وزُرُزور •

وقد ورد من المضعف شيء يدخل في أسماء النبات والشجر ومن
ذلك : سِمَسِمَ ونَعَنَعَ ومِشَمِشَ وفِلِفِلَ •

ومن هذه المادة الرباعية ما يدخل في خلق الانسان ومن ذلك
العُصْعُص وهو من عظام العجز في الانسان والتُغْتُغ من اجزاء
الحنجرة •

ومن هذه المادة يدخل الشيء الكثير من المعاني التي تفيد الكثرة
والمبالغة دون الاعراب عن حكاية لصوت او بيان لحركة مستمرة متناوبة
وهذا كثير ومنه : نَهَنَه بمعنى أبعد وفَضَضَ أي صار رجباً وهو من الفضاء
ورَعَرَعَ بمعنى كَبَّرَ النبلت وكَثَّرَه وكَسَكَسَ بمعنى سحق وضَمَضَعَ

بمعنى اضعف وطأطأ بمعنى حنى رأسه والطأطأ هو الارض المنخفضة •
في هذا القدر ايجاز وتلخيص لورود هذه المادة في العربية الفصيحة •
وأريد الآن أن اعرض لما في العامية العراقية من هذه المادة واستقراء
العامية في هذا الموضوع يدل على أن سبيلها في حكاية الأصوات قد جرى
كما حدث في الفصحى من العربية •

ومن ذلك : لعلع للصوت الشديد العالي يقال لمن يتكلم بصوت عال :
« لعلع » ويحكى بذلك صوت العيارات النارية •
ومنه « بَقْبَق » لصوت الماء حين يجري في ساقية فيصطدم بصخرة ،
او يقال لصوت الماء وهو ينزل قطرات فيحدث صوت نتيجة لذلك •

ومنه (قرقر) لصوت البطن و (مممع) لصوت الضأن و (خخنخ)
لمن يتكلم من منخريه و (هلهل) بمعنى هلل وأشد وصاح من الفرح ،
و (كركر) للضحك ، و (ششش) بمعنى (همس) و (طبطب) وهو
الصوت الغليظ الذى يحكى صوت الماشي على بلاط او خشب مثلاً • ومنه
(بَسْبَس) لمن يتكلم بصوت منخفض • ومنه (لقلق) لمن يتقعر في كلامه
بإظهار الصوت وأظنه في العامية مقلوب (قلقل) وذلك ان (اللققة) في
العامية تفيد الكلام الذى يأتي فيه صاحبه بالقاف كثيراً •

ومن ذلك (دمدم) بمعنى جمجم في كلامه من غير افصاح دليلاً
على عدم الرضى •

ومن ذلك (نقق) والقاف تلفظ كافاً ثقيلة بمعنى يقاطع الآخرين
في كلامهم كثيراً ولا يأتي بشيء مفيد في مقاطعته وهذا من العادات
المستكرة • وكأن هذا من نقيق الضفدع •

ومن ذلك (ددش) حكاية لصوت الثوب الجديد عند لبسه أول
مرة مثلاً •

ومن ذلك (ججج) بالجيم الفارسية حكاية لصوت الدهن حين
يحترق مثلاً •

ونستطيع أن نبصر الحركة الخفيفة التي تحدث ببطء وباستمرار أو

بصورة متقطعة في هذه الأفعال الرباعية ومن ذلك :

(زعزع) بمعنى دفع وحرك وأزاح ومثله (زَحَزَحَ) •

ومن ذلك (ضَعَضَعَ) بمعنى أضعف نتيجة لحركة ما يقال : ضَعَضَعَ البناء إذا حدث فيه خللاً فاضطرب في تماسكه وقوته •

ومن ذلك (خَلَخَلَ) إذا حدث خللاً في جسم من الاجسام فأدى ذلك الى حركة ما •

ومن ذلك (هَدَدَ) بمعنى أضعف • يقال هَدَدَ جسمه بمعنى أجهده فكان كل عضو فيه لم يستقر في مكانه •

ومن ذلك (هَزَزَ) للاهتزاز بشكل مستمر وببطء •

ومن ذلك (نَعَنَعَ) يقال نَعَنَعَ عظامه أي كسرها وفتتها •

ومن ذلك (حَلَحَلَ) بمعنى فصل الاجزاء المتصلة بحركته المستمرة • وقد نستقري طائفة من هذه الافعال آفادت من التضعيف الكثرة والمبالغة والقوة ، وهذا كثير ايضاً واليك ما ورد منه في هذه اللغة العامية :

(شَدَّ شَدَّ) أي شدَّ كثيراً •

و (كَبَكَبَ) أي كب الشيء كثيراً بمعنى قَبَّه أي كَوَّرَه وجعله كالكرة •

و (شَرَشَرَ) يقال : شرشر الملابس أي نشرها لتجف •

و (فَلَفَلَ) أي وضع الفلفل في الطعام • وقد يؤدي هذا الفعل

معنى آخر فالشَعْرُ المفلفل هو الجَمْعُ غير السبِط مثل شعر الزنج •

و (نَسَنَسَ) يقال نَسَنَسَ الثوب أي مشى فيه شيء من فعل النار

فبدا كأنه محترق •

و (لَلَمَ) أي لمَّ ما حوله من الاشياء •

و (لَفَلَ) أي اخذ كل شيء له وحاز عليه •

و (دَقَقَ) أي دقق كثيراً في عمله وسلوكه وكل ما يتصل به •

و (عَلَلَ) أي صيَّره عليلًا •

و (غَمَغَمَ) يقال (غَمَغَمَ) أي غُمَّ عليه الامر •

وقد يرد هذا الرباعي على هذه الطريقة من ضم الثنائيين الى بعضهما

في حين ان الثلاثي من ذلك الفعل الرباعي فعل ناقص ومن ذلك :
(بَكَبَكَ) واستعماله مزيداً بالتاء يقال فلان يتكبك اي يتباكى
تظاهراً ورتاءاً • والاصل الثلاثي (بكى) • وقد جاء في فصحح العربية
شيء من هنا فقولهم (فضفض) اي صار رجلاً وهو من الفضاء •
ومن ذلك (نشش) وهو من الأفعال العامية ويعنى الاستمتاع
والاطمئنان وهو من (النشوة) ومعناه معروف في الفصحح كما أنه مستعمل
في العامية •

وقد دل الاستقراء في العامية على أفعال رباعية مضعفة جاءت من
الأسماء ومن ذلك :

(رَبَّرَب) يقال : فلان يررب أي يتكلم ليظهر سخطه وغضبه وكأن
الذي يفعل ذلك يكثر من استعمال كلمة « الرب » •
ومن ذلك (رَصَّرَصَ) وهو من الرصاص يقال رَصَّرَصَ الباب
أو القفل أو أي شيء آخر ربطه أو شده بالرصاص تقوية وتثبيتاً • ويقال :
فلان مرصرص على سبيل المجاز أي صار كالرصاص صلابة وقوة •
ومن ذلك (صرصر) أي شد الأشياء في صُرَّر والصُرَّة هي الشيء
المضموم في قطعة من القماش أو القطعة نفسها •

ومن ذلك (عَبَّعَبَ) وهو من العب والعب في العامية ما فوق الحزام
وهو حيز يكون بين الملابس التحتية والملابس الفوقية • ويستخدمه العامة
لحفظ بعض الأشياء مثل كيس النقود وما الى هذا • وععب فلان أي ملأ
عبه فبدا ضخماً •

هذا ايجاز لما في العامية من افعال رباعية كثيرة وقد اجتزأت بهذا القدر
لأظهر المعاني العامة التي ينصرف اليها الرباعي في هذا اللسان الدارج •

مازاد على الأفعال الرباعية

وهذه افعال أخرى جاءت في العربية الفصيحة كما جاءت في العامية •
وأغلب هذه الأفعال من النوادر الفرائد التي قُبعت في بطون المطولات من كتب
اللغة • ألا ترى أن احرنجم واجلوذَ واسلنقى واحرنبي واكوأدَّ وازلعبَّ
واشمخرَ مواد تعافتها العربية وصارت شواهد يؤتى بها في كتب اللغة وكتب
الصرف •

غير أن من هذا ما جاء واشتهر في الاستعمال نحو : اطمأن واضمحل
واقشعر واشمأز ونحو ذلك •
وسبيل هذه الافعال الرجوع بها الى الرباعي • وقد سبق الكلام على
شيء من هذا •

« الجملة الفعلية »

قسم النحاة الاقدمون الجملة العربية قسمين : اسمية وفعلية • وقد جرى على مثل هذا التقسيم الكثير من النحويين في اللغات المختلفة • فقد صنفت الجمل في اللغات اللاتينية هذا التصنيف • ولا يهمنا في هذه المسألة أن يكون اساس التقسيم أغريقياً فالمعروف أن الاغريق الاقدمين أطالوا البحث في مسألة الجملة وتقسيمها ومسألة الاسناد فيها •

وقد يكون مسلماً أن العرب توصلوا الى تقسيمهم هذا دون أن يكونوا متأثرين بنحو أجنبي ، أو قل : أنهم جروا على طريقة اجنبية كائنة ما كانت • والجملة الاسمية عند النحويين العرب ما صدرت باسم ، وعلى هذا فإن الجملة الفعلية هي المصدرة بالفعل كما ذهب الى ذلك ابن هشام في كتابه (مغنى اللبيب)^(١) • واتفق النحويون على هذا الاعتبار غير أنهم اختلفوا في قولهم : (قائم الزيدان) فهي اسمية عند البصريين جرياً على الحد الذي رسموه للاسمية ، وفعلية عند الكوفيين لان (قائم) فعل عندهم كما رأينا ، وسنعرض لهذه المسألة •

ولن نخرج في بحثنا في مسألة الجملة عن الاسناد فالجملة كيفما كانت اسمية أو فعلية قضية اسنادية • والاسناد اللغوي علاقة وارتباط من طرفين موضوع ومحمول أو مسند أو مسند اليه • ولا بأس أن استعير هذه المصطلحات الفلسفية وهي المصطلحات التي أخذها العرب متأثرين بالقضية

(١) ابن هشام ، مغنى اللبيب ٤٠/٢ (المطبعة الازهرية) •

المنطقية عند الاغريق • والفعل والفاعل ، في الجملة الفعلية العربية ، والمبتدأ ، والخبر في الجملة الاسمية لا يخرج عن طرفي الاسناد •

واذا كنا ندعو الى فهم النحو فهماً جديداً يبنني على وصف الجملة وعلاقة كل جزء من اجزائها ببعضها فمن اللازم أن نظل في هذا المنهج فنبتذ التعليقات والتفسيرات والتخريجات التي تبعدنا عن المنهج العلمي الصحيح فنظل في متاهات بعيدة كل البعد عن العلم اللغوي • واذا درج الباحث على تفسير الجملة الفعلية باختراع أسباب ومسوغات أدت الى تقديم الفعل فهو متته لا محالة الى نحو يشبه النحو القديم ولم يكن من اختلاف بينهما الا في كون التفسير الحديث غير تفسير القدامى •

وقد بدأ بدراسة الجملة العربية النحويون ثم عقب على هؤلاء البلاغيون • ولم يتعد النحويون في هذه المسألة عن العلم اللغوي كثيراً على نحو ما جرى للبلاغيين الذين فسروا هذه المسائل اللغوية فلم يكتفوا بذكر العلاقة بين اجزاء الجملة بل جروا على تفسير هذه المسألة تفسيراً يقرب من توجيهاتهم البلاغية كما سنرى • ومن هؤلاء عبدالقاهر الجرجاني فقد ذكر في دلائل الاعجاز ما نصه :

« ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، واما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيد طويل ، وعمر وقصير ، فكما لا يقصد ههنا الى أن نجعل الطول والقصر يتجدد ، ويحدث ، بل توجبهما ، وتقضي بوجودهما على الاطلاق ، كذلك لا تعرض في قولك : زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد • واما الفعل يقصد فيه الى ذلك فاذا قلت : زيد هو ذا ينطلق فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً ، وجعلته يزاوله ويزجّيه ، وان شئت ان تحس الفرق بينهما من حيث يلطف وتأمل هذا البيت :

لا يَألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ، ولو قلته بالفعل : لكن يمر عليها وهو

وهو ينطلق لم يحسن^(٢) وعلى هذا فالجملة الاسمية مادل فيها المسند على الدوام والثبوت •

ومقالة الجرجاني هذه في التمييز بين الفعل والاسم ينبنى عليها التمييز بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية •

ومن هذه المقالة اتخذ الدكتور المخزومي^(٣) مادةً ميز فيها الجملة الفعلية عن الجملة الاسمية فتوصل الى أن الجملة الفعلية ما أفاد فيها المسند وهو الفعل التجدد ، أو التي يتصف فيها المسند اليه بالمسند انصافاً متجداً • وعنده أن التجدد حاصل من الفعل •

والجملة الاسمية هي التي افاد فيها المسند الدوام والثبوت ، أو التي يتصف فيها المسند اليه بالمسند انصافاً ثانياً غير متجدد • ومن هنا فالخلاف بين الاسمية والفعلية في رأي الاسناد المخزومي خلاف بين فعل متجدد واسم ثابت دائم • وهذه التفاتة الجرجاني الى الموضوع •

والذي أراه ان مقالة الجرجاني بحث أدبي قائم على الذوق وهو ان صلح في مادة النقد البلاغي فلا يمكن أن يكون ذا فائدة في النحو الذي لا يقبل مثل هذه التوجيهات الفنية ، بل سييله ذكر أقسام الجملة وعلاقة كل جزء بالآخر وما يطرأ على كل جزء من هذه الاجزاء من آثار اسميتها اصطلاحاً الاعراب •

وعلى هذا فلا يصح ان يتخذ البحث الحديث في علم النحو مادة لا تأتلف وطبيعته ومنهجه وهي مستعارة من علم آخر كما استعار الأقدمون الاسلوب المنطقي العقلي في مادتهم النحوية فأفسدها • والذي نعييه على الاقدمين حصل مثله لدى نفر من الباحثين المحدثين •

ومثل مقالة الجرجاني ما نقله الاستاذ المخزومي عن الخطيب القزويني في « تلخيص المفتاح » من كلامه في ذكر أحوال المسند : « أما كونه - أي

(٢) الجرجاني ، دلائل الاعجاز ص ١٣٣ •

(٣) المخزومي ، في النحو العربي ص ٤١ •

المسند - فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجهه مع افادة التجديد ، (٤) .

وقد خالف الدكتور المخزومي الأقدمين في حد الجملتين الفعلية والاسمية ، فقد ذكروا ان الجملة الفعلية ما كان فيها المسند فعلاً ، والاسمية ما كان فيها المسند اسماً .

أما النحويون الاقدمون فقد اهتموا بصدر الجملة فاذا كان فعلاً فهي فعلية ، واذا كان اسماً فهي اسمية . وعلى هذا فان قولهم : « سافر محمد » جملة فعلية ، وقولهم « محمد سافر » جملة اسمية . وفي هذا يكون الخلاف بين حد المخزومي للجملة وحد النحويين الاقدمين .

وقد أصاب الاستاذ المخزومي الحقيقة في الحد الذي رسمه للجملة فان « سافر محمد » جملة فعلية هي نفسها « محمد سافر » . غير أن الدكتور المخزومي الذي أفاد من مقالة الجرجاني واتخذها دليلاً للتمييز بين الجملتين الاسمية والفعلية لم يفتن الى ان هذه المقالة حجة عليه فالتجدد المنسوب للفعل المنسوب للاسم يتحقق في قولهم : « محمد سافر » و « سافر محمد » ومن هنا لا يمكن للسيد المخزومي ان يعتبر الجملتين فعليتين لوجود الاسم في الاولى صدرأ فيها ، والفعل في الثانية صدرأ فيها أيضاً . وعلى هذا فلا يمكن للسيد المخزومي ولا غيره الافادة من هذه المقالة البلاغية النقدية .

اما نحن فنقول ان « محمد سافر » و « سافر محمد » جملتان فعليتان ما دام المسند فعلاً وليس لنا ان نلصق التجدد بالفعل لان ذلك ليس من منهجنا ، ولأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم .

وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا « مات محمد » و « هلك خالد » وانصرف بكر . فهذه الافعال كلها أحداث منقطعة لم يكن لنا ان نجريها على التجدد .

ولعله قد فات الاستاذ المخزومي شيء في مقالة عبدالقاهر الجرجاني هو ان المثال الذي جاء فيها كان الفعل فيه « ينطلق » وبناء « يفعل » أو المضارع

(٤) الخطيب القزويني ، تلخيص المفتاح ص ٤٧ .

يفيد التجدد والحدوث • واختيار الجرجاني لـ « ينطلق » مفيد له في اثبات مقالته • أما ان يكون الفعل : سافر وذهب ومات وما الى هذا فليس . في ذلك ما يحقق غرض الجرجاني ولا ما ذهب اليه الاستاذ المخزومي •

وقد فرّ النحويون البصريون من اعتبار « محمد سافر » جملة فعلية ، وان « محمد » فاعل للفعل « سافر » المتأخر ، وذلك لأنهم يعتبرون الفعل عاملاً إذا أصالة في العمل ومن هنا كان حقه ان يتقدم ، فإذا تأخر الفعل فليس لهم الا ان يعتبروا الاسم المتقدم مبتدأً ، والفعل في هذه الحالة لا يمكن أن يخلو من فاعل ، وهو في قولنا : « محمد سافر » ضمير الاسم المتقدم •

وقد جرّتهم الى هذا الاعتبار مسألة العمل والفاعل • وقد اختصر الكوفيون هذه المسألة فقالوا بأن الفاعل هو الاسم المتقدم وللفاعل الذي تأخر عنه • وعندهم ان « سافر محمد » لا تختلف نحواً عن قولهم « محمد سافر » والخلاف بين الجملتين لا يمكن ان يكون مادة نحوية فهي من مسائل الاسلوب ، والتقديم والتأخير من مواد النقد البلاغي ، والعناية بلفظ من الالفاظ تقتضي تقديمه عندهم •

ويحسن بنا أن نعرض لهذه المادة في مقالة لأحد شيوخ هذا العصر وهو الشيخ علي الجارم وهو من هو في مادة النحو فقد خبرها وعلمها وكتب فيها • ومقالته هذه منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية ، وفي هذه المقالة يعتبر الاستاذ الجارم الجملة الفعلية ما صدرت بفعل ، والجملة الاسمية ما صدرت باسم •

وعلى هذا الأساس يكون « جاء محمد » جملة فعلية ، و « محمد جاء » جملة اسمية وهو الحد الذي رسمه الاقدمون للجملتين الفعلية والاسمية • ولائبات هذه الحقيقة ينظر الشيخ الجارم الى المسألة نظراً خاصاً فيقول :

« تقتضي العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير في التعبير لان العربي جرت سليقته ودفعته فطسته الى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة وهي التي لا يريد فيها ان ينبه السامع

الى الاهتمام بما وقع منه الحدث أو التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث ، فالأساس عنده في الاخبار أن يبدأ بالفعل فيقول : عدا الفرس ، ورعت الماشية ، وعاد المسافر • وقد يلتجئ العربي الى الجملة الاسمية اذا كان القصد الى الفاعل والى الاسراع بازالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولاً قبل أن يذكر الفعل لكي يخصصه به أو لكي يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه أن يظن به الغلط أو التزيد « (٥) » •

ومن هنا نعلم ان الجارم يرى ان الجملة العربية في الأصل هي الفعلية وهي المصدرة بالفعل وذلك لاهتمام العربي بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، وبهذا جرت سليقته ودفعته فطرته •

أقول ان الجارم مفتقر الى ان يثبت هذا الرأي بالاستقراء الوافي الشافي ليطلع علينا فيقول : « ان الأساس عند العربي في الاخبار ان يبدأ بالفعل » • وأنسى له أن يحقق هذا الاستقراء وكيف يتحقق وكلام العربية المأثور كثير لا يظفر به انسان والذي ضاع من كلامهم أكثر • ولنا أن تذكر مقالة ابي عمر بن العلاء وهي : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير » (٦) •

وكأن الشيخ الجارم يفرق بين الفعلية والاسمية في أن الاولى وهي المصدرة بالفعل تشير الى الاهتمام بالحدث ، أما الاسمية وهي المصدرة باسم فانها تشير الى الاهتمام بمن وقع منه الحدث • وهو يريد أن يقول مقالة البلاغيين في ان تقديم اللفظ على غيره دليل الاهتمام به •

وهذه المسألة البلاغية لا يمكن أن تكون مادة في البحث النحوي • والشيخ الجارم يجد في « دلائل الاعجاز » للجرجاني ما أعانه على اثبات ما اثبته ، وهو في ذلك كالاستاذ المخزومي في التماس مادته من المصدر نفسه •

(٥) علي الجارم ، الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية (مقالة في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية • القاهرة ١٩٥٣) •
(٦) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٧ •

يقول الجرجاني : « فإذا عمدت الى الذي أردت ان تحدث عنه بفعل
فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيد قد فعل وأنا فعلت وانت
فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد الى الفاعل • الا ان المعنى في هذا
القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلي لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلاً
قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجمله له وتزعم أنه فاعله دون واحد
آخر أو دون كل أحد • ومثال ذلك : أنا كتبت في معنى فلان وأنا شفعت
في بابه ، تريد ان تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه
وترد على من زعم ان ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما
كتبت • ومن اليس في ذلك قولهم في المثل : أتعلمني بضبط أنا حرشته ؟
والقسم الثاني ألا يكون القصد الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على
انك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك ، فأت
لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي
تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو
التزيد ، ومثاله قولك : هو يعطي الجزيل وهو يحب الثناء : لا تريد ان
تزعم أنه ليس ههنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا ان تعرض
باسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطي ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك
تريد أن تحقق على السامع أن اعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه ، وأن تمكن
ذلك في نفسه • • • • »

وقال عبدالقاهر : « ومما يحسن ذلك ويكثر ، الوعد والضمان كقول
الرجل : أنا اعطيك ، أنا أليك ، أنا أقوم بهذا الأمر • • • وكذلك يكثر في
المدح والفخر نحو :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر^(٧)
وينقل عبدالقاهر الجرجاني الى الحديث في عادة العربي بالتعبير
بالجملة الفعلية اذا لم يوجد مقتضى للاهتمام بالفاعل فيقول :
« ويزيدك بياناً أنه اذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال

لم يكذب يجيء على هذا الوجه ، ولكن يؤتى به غير مبني على اسم ، فاذا
اخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عاداته ان يخرج في كل غداة قلت :
قد خرج ، ولم تحتاج الى ان تقول : هو قد خرج . ذلك لانه ليس بشيء
يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه والى ان تقدم فيه ذكر المحدث عنه .
وكذلك اذا علم السامع من حال رجل أنه على نية الركوب والمضي الى
موضع ولم يكن شك وتردد أنه يركب أو لا يركب ، كان خبرك فيه أن
تقول : قد ركب ، ولا تقول : هو قد ركب » .

وهكذا ينبغي الاستاذ الجارم ملاحظته فيقول : ان من طبيعة العربي
تقديم ما يهتم به ، فهو مطبوع بشعوره الخاص على ان يبدأ الكلام بما
يرى أن السامع في حاجة الى تقديمه ، فاذا قال : « سبقت فرسى » فانه يرى
أن السامع يتطلع أولاً الى وقوع الحدث وهو السبق ، ثم يأتي صدور
السبق من الفرس ثانياً .

والجرجاني يعرض لهذا الموضوع كما يعرض للتقديم والتأخير فيذهب
هذا المذهب النقدي في تنويع الاساليب الكلامية .
وعلى هذا فان هذا المنحى ليس منهجاً نحويّاً ولا يقرب منه في أي وجه
من الوجوه .

ويلتمس الشيخ الجارم اثبات حجته في تقديم ما يشعر بالاهتمام في
جميع المواضع التي حدث فيها التقديم وهي مسائل كثيرة بعضها يتقدم لغرض
ما ، كما قالوا وبعضها مما له الصدارة في الكلام .

ويلتمس الشيخ الجارم فرقاً آخر بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية
فيقول :

« ثم ان العربي ميل بفطرته الى الايجاز وتجنب الفضول فهو يقول :
جاء الرجل ولا يقول : الرجل جاء ، لان الثانية تتضمن تكرار الاسناد لا
محالة . وهو لا يلجأ الى تكرار الاسناد الا لغرض بلاغي » (٧) .

(٨) الجارم ، الجملة الفعلية (مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧
ص ٣٥٠) .

والشيخ الجارم يعتبر ان في « جاء الرجل » ايجازاً وتجنباً للفضول ، وفي « الرجل جاء تكرر للاسناد » ولا نعلم نحن هذا الذي يقوله الشيخ الجارم من وجود الاسناد في الفعل المتأخر ، وهو هنا يرى رأي البصريين من الاقدمين وهو أن الفعل ان لم يرفع ظاهراً فلا بد ان يرفع ضميراً يرجع على ظاهر متقدم •

وكان الجارم قد شعر في نهاية عرضه ان للكوفيين رأياً ينافي ما ذهب اليه فقال :

« حقاً ان الكوفيين أجازوا تقديم الفاعل على الفعل ، وان مثل قولك : « الرجل قام » لا يتضمن الفعل فيه ضميراً على رأيهم وأنه كقولك « قام الرجل » تماماً •

ولكن الجارم لا يميل الى الأخذ بهذه المقالة الكوفية السهلة الواضحة فيعدل عنها الى قوله : « ولكنني ارى ان نحيزة العربي ألا يخلي فعلاً من فاعله ، سواء أكان هذا الفاعل ظاهراً أم ضميراً بارزاً أم مستتراً ، وان ذوقه العام يقتضيه ان يقدم . على الفاعل كما نراه في الكثير من لغة العرب » •

ورأي الكوفيين في هذه المسألة مقبول وذلك لقربه من المنهج الوصفي الواقعي •

وقد كان السيد المخزومي مصيباً باتباء رأي الكوفيين في هذا الموضوع •

واتباع هذا الرأي له نتائج في غير هذا الباب ، فقد عرف العربون ان في قوله تعالى : « وان أحد من المشركين استجارك فأخبره » اداة شرط هي (ان) وبعدها اسم مرفوع هو فاعل ولكن هذا الفاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور ، وينبني على هذا ان الفعل المفسر المذكور هو في جملة لا محل لها من الاعراب لانها جملة تفسيرية • والسبب في هذا الاسلوب المعقد هو أنهم اعتبروا المرفوع فاعلاً واذا كان فاعلاً فلا بد ان يرفعه فعل يسبقه وفي هذه الجملة يكون هذا الفعل السابق نظير الفعل المتأخر

المذكور • وتأخر الفعل عندهم مدعاة الى ان يتحمل ضمير الاسم المتقدم •
ومثل هذا الأسلوب يتبعونه في باب ما اسموه بالاشتغال وذلك كما في :
« ان محمداً قابلته فأكرمه » فان « محمداً » مفعول به لفعل محذوف يفسره
المذكور ، وقالوا أيضاً : ان الفعل (أكرم) اشتغل عن نصب الاسم المتقدم
بنصب ضميره •

ولكننا اذا اتبعنا مقالة الكوفيين سهل علينا الامر وصار « أحد »
في الآية الكريمة فاعل للفعل المتأخر المذكور بعده ، كما ان « محمداً »
مفعول به للفعل المتأخر المذكور ، وعلى هذا فليس هناك باب يدعي
بـ (الاشتغال) وفذلكة الفعل المشغول عن نصب الاسم المتقدم بنصب ضميره
المباشر له • وتتجنب التعقيد والاصطناع ان اعتبرنا محمداً مفعولاً به للفعل
التأخر وهو (اكرمه) والهاء في هذا الفعل ليست الا كناية عن الاسم المتقدم
واشارة اليه • ومن اصطناعهم وتعقيدهم قولهم في « ان محمداً مرت به
فسلم عليه » : ان « محمداً » منصوب بفعل محذوف هو في معنى (مر)
وهم يقدرّون ذلك (جاوز) والتقدير : ان جاوزت محمداً مرت به •••
وهذا كله قد حصل لهم بسبب من فهمهم الخاص للجملة الفعلية ،
وبسبب من ادراكهم المصطنع للفعل والفاعل ومكانة الفعل بالنسبة للفاعل ،
ومرد ذلك كله الى أنهم درسوا المسائل اللغوية النحوية بطريقة تبتعد عن
الحقيقة اللغوية •

لقد تبين لنا ان الجملة الفعلية في العربية ما كان فيها المسند فعلاً ،
ونريد هنا أن نبعد ما اعتبروه من قبيل الجمل الفعلية كجملة فعل الامر
وسائر الافعال التي تخلص الى معنى الطلب كالنهي •

ان قولنا : اكتب واكتبوا واكتبن ، ولا تلعب ولا تلعبوا
ولا تلعبين ولا تلعبن جمل وذلك لانها مفيدة ، وشرط الافادة متوفر في هذه
الالفاظ التي تكتسب ذلك من الظرف الذي تطلق فيه فاذا قلت : اكتب في
حال وجود مخاطب هو « محمد » مطلوب منه ان يكتب • غير أن أسلوب
الطلب هذا يفتقر الى الاسناد وعلى هذا فهي ليست جملاً اسنادية يسند فيها

الفعل للفاعل وليس فيها مسند اليه ، وعلاقة هذه الافعال بالمخاطب ليست علاقة اسناد ولا يمكن ان يكون الفاعل ضميراً مستتراً هو (انت) ، وفي قولنا : اكتبوا واكتبوا واكتبوا ولا يمكن ان يكون كل من الالف والواو والنون فاعلاً ، وهذه ليست ضمائر بل هي اشارات تشير الى أن المخاطب مثني أو مجموعاً أو مؤنثاً ، وهي من غير شك تشبه الالف في «الرجلان» والواو في جمع المذكر السالم والياء في المثني وجمع المذكر السالم ، فكما لا يقال : ان الواو في « المسلمون » ضمير كذلك لا ينبغي ان يقال : ان الواو في « يفعلون » ضمير .

وعلى هذا فانه لا يمكن ان يقال : ان في اسلوب الأمر على النحو الذي مثلنا اسناداً يدخل هذا الأسلوب في عداد الجملة الفعلية الاسنادية ، وهي بهذا الاعتبار جمل مفيدة فعلية ولكنها غير اسنادية .

والى مثل هذا ذهب الدكتور عبدالرحمن أيوب فأخرج جملة النداء وجملة نعم وبش وجملة التعجب من الجمل الفعلية الاسنادية وسمى ذلك جملاً غير اسنادية ، وعنده ان الجملة الاسنادية تكون : اسمية وفعلية^(٩) . وربما اختلفنا مع الدكتور في المصطلح الذي وسم به هذه الجمل غير الاسنادية فقد تخلص بوسمها بالجمل غير الاسنادية ، وهذا صحيح الا أن هذه التسمية لا تنفي كونها جملاً فعلية فكان ينبغي ان يقال : جمل فعلية غير اسنادية .

وقد حصر الدكتور أيوب الجملة غير الاسنادية فيما أسميناه باسلوب المدح والذم واسلوب التعجب وجملة النداء ، وربما كان عليه ان يدخل في هذه الجمل جمل الطلب كالفعل الأمر والفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية كما بينا .

أما اسلوب النداء نحو : يا محمد ، ويا عبدالله فللنحاة فيه كلام طويل ، وعندهم ان المنادي مفعول به في الأصل ولذلك أدرجوا المنادي في باب المنصوبات .

(٩) عبدالرحمن أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٢٩ .

زعم النحويون ان اداة النداء تنوب عن « فعل » ونقوم مقامه بل حلت محله ، وهذا الفعل قدروه بـ (ادعو) أو (انادي) • والذي جعلهم يذهبون هذا المذهب أنهم أدرجوا المنادى في باب المنصوبات وان المنادى منصوب في الحقيقة وهو مفعول به بهذه الأداة التي نابت مناب الفعل (ادعو) ، أو أن المنادى منصوب بالأداة نفسها كما ذهب الى ذلك المبرد ، لسدّ الفعل^(١٠) وتضمنها معناه •

وحقيقة الأمر على خلاف ما ذهب اليه النحاة الأقدمون ، فليس من العلم ان يقال : ان هذه الادوات نابت مناب فعل هو « ادعو » أو أنها سدت مسدها وذلك لان قولنا : « يا محمد » اسلوب يفيد النداء والنداء نوع من أنواع التثنية • وقد حفلت العربية بالفاظ كثيرة تفصح عن التثنية ، وان أدوات النداء وهي الهمزة و « يا » و « أيا » و « هيا » و « وا » من هذه الأدوات التثنية التي يؤدي بها هذا الأسلوب الذي اصطلح عليه بالنداء • واذا قلنا : ان « يا » تعنى الفعل « ادعو » أو نابت منابه ، انبنى على قولنا هذا أن « يا محمد » يعنى « ادعو محمداً » ومن غير شك ان اسلوب النداء من الأساليب الخاصة التي لا يمكن ان تكون من قبيل الجمل الفعلية الاسنادية ، فليس فيها أي لون من ألوان الاسناد ، في حين أن (ادعو محمداً) جملة فعلية اسنادية فيها المسند اليه وهو المتكلم والمسند وهو الفعل « ادعو » •

ولقد بحث علماء المعاني في الجملة العربية بحثاً خاصاً بهم وذلك لان ما خاضوا فيه ليس من مادة النحو الذي يقتصر على على اجزاء الجملة وعلاقات هذه الاجزاء ببعضها ووصفها كما تبدو في بناء الجملة • توصل هؤلاء البلاغيون الى القول بـ « الخبر » و « الانشاء » وعلى هذا فقد قسموا الجملة الى :

(١) خبرية : وهي ما تحتمل الصدق والكذب نحو : سافر محمد ومحمد مسافر •

(٢) انشائية : وهي ما لا تحتمل الصدق والكذب نحو : اكتب ،

(١٠) الرضي ، شرح الكافية ١/ ١٣١ •

ولا تلعبُ وكان النحويين المتأخرين شعروا بأن النداء داخل في حيز الجملة الانشائية • وعلى هذا فكيف يكون « يا محمد » بمعنى « ادعو محمداً » في حين ان الجملة الثانية خبر وليس انشاء •

أقول شعر النحويون بهذا التناقض فتناولوا هذا الموضوع فقد جاء في حاشية الصبان :

« واعترض نيابة حرف النداء عن (ادعو) بأن (ادعو) خبر • والنداء انشاء ، واجيب بأن (ادعو) نقل الى الانشاء » (١١) •

وقد تناول الرضي كلام سيويه في انتصاب المنادى على أنه مفعول به وناصبه الفعل المقدر وقد فسر الرضي هذا بان التقدير : يا « يا ادعوا زيدا » فحذف الفعل حذفاً لازماً لكثرة الاستعمال ، ولدلالة حرف النداء عليه وفادته فائدته » (١٢) فالفعل المقدر تفسيراً لعبارة سيويه فعل طلبي • ومن هنا نعرف ان ما ذكره الصبان كان بسبب ما تأثر المتأخرين من النحويين بمباحث أصحاب علم المعاني •

وعلى هذا فان النداء من الأساليب الخاصة التي تؤذي فائدة من الفوائد ولا يمكن ان يكون اسلوب النداء من قبيل الجمل الفعلية وليس في هذا الأسلوب اسناد كما في الجملة الفعلية •

(١١) حاشية الصبان على شرح الاشموني ١٣٣/٣ •

(١٢) الرضي ، شرح الكافية ١٣١/١ •

تأنيث الفعل للفاعل

ذكر النحاة ان التاء تلزم الفعل الماضي في موضعين :
أحدهما : أن يسند الفعل الى ضمير مؤنث متصل ، ولا فرق في ذلك
بين المؤنث الحقيقي والمجازي فنقول : « هند قامت ، والشمس طلعت » ولا
تقول « قام ولا طلع » فان كان الضمير منفصلاً لم يؤث بالتاء نحو : « هند
ما قام الا هي » •

أقول : كنا قد ذكرنا في باب « الجملة الفعلية » أن قولنا : « هند قامت »
جملة فعلية وهي لا تختلف عن « قامت هند » فان المسند اليه في كل من
الجملتين هو « هند » وان المسند في كل منهما هو الفعل « قام » • وعلى
هذا فليس الفعل في « هند قامت » مسنداً الى ضمير مؤنث متصل ، بل هو
مسند الى « هند » ، ومن أجل هذا لحقته تاء التأنيث •

أما قول النحويين : فان كان الضمير منفصلاً لم يؤث بالتاء نحو :
« هند ما قام الا هي » فليس بشيء وذلك لان هذا المثال لم يصنع على نحو
مثال أو أمثلة اشتهرت في الاستعمال ، وما أكثر هذا النمط من الشواهد
المصنوعة في كتب النحو القديم ، وكأن النحوي القديم لم يهتم باستيفاء مادته
من كلام العرب فربما صنعت الشواهد اعتقاداً منه أن شيئاً من ذلك يجوز
أن يرد في كلامهم •

الثاني : ان يكون الفاعل ظاهراً حقيقي التأنيث نحو : « قامت هند » •
وينبغي على هذا ان الفاعل اذا كان مجازي التأنيث فلا تلزم التاء نحو :
« طلعت الشمس » و « طلع الشمس » •

واذا فصل بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقي بغير « الا » جاز اثبات التاء وحذفها ، والأجود الاثبات فتقول قام اليوم هند والأجود « قامت » •
أقول : لم استطع التأكد من معنى قولهم : « والأجود الاثبات » وذلك لان هذا الزعم يفتقر الى الاستقراء الوافي ولا يستطيع الباحث ان يقطع على هذا النحو في هذه المسألة اللغوية •

واذا فصل بين الفعل والفاعل المؤنث « بالا » لم يجز اثبات التاء عند الجمهور فتقول : ما قام الا هند ، و « ما طلع الا الشمس » ولا يجوز « ما قامت الا هند » ولا « ما طلعت الا الشمس » وقد جاء في الشعر كقول ذي الرمة :

طوى النحر والأجراز ما في غروضها

وما بقيت الا الضلوع الجراشع

وقالوا : « وقد تحذف التاء من الفعل المسند الى مؤنث حقيقي التأنيث من غير فصل وهو قليل جداً ، حكى سيويه : « قال فلانة » ، وقد تحذف التاء من الفعل المسند الى ضمير المؤنث المجازي وهو مخصوص بالشعر كقوله :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض اقبل ابقالها

ويبدو ان الخروج على الكثير الشائع في الاستعمال أكثر ما يكون في لغة الشعر ، ولغة الشعر يتسامح فيها بسبب من كونها لغة خاصة في اوزانها وقوافيها وبناء جملها من حيث التقديم والتأخير •

واذا اسند الفعل الى جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث ، أو جمع سلامة لمؤنث جاز اثبات التاء وحذفها نحو قوله تعالى : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات » (سورة آل عمران ١٨٣) •

وقوله تعالى : « اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم » (سورة فصلت ١٤) •

وقوله تعالى : « وقال نوسة في المدينة » (سورة يوسف ٣٠) •
وورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري : « ففُطِعَ أيديهم »

وَسُمِّرَتِ اعْيُنُهُمْ » (البخاري ٦٩/١) •

وقال تعالى : « من بعد ما جاءكم اليّنات » • (سورة النساء ١٥٣) •

وقال تعالى : « فأصابهم سيئات ما كسبوا » • (سورة الزمر ٥١) •

واذا كان الفعل المسند « نعم » أو « بئس » فالحذف أجود من الانيات
فقولهم : « نعم المرأة زينب » أحسن من « نعمت المرأة زينب » • ولا تلزم
التاء الفعل اذا كان الفاعل جمع سلامة لمذكر فلا يقال (جاءت المسلمون) •

أقول ورد في لغة التنزيل : « قال آمنت لا اله الا الذي آمنت به بنو
إسرائيل » • (سورة يونس ٩٠) • ومن المعلوم ان (بنون مما الحق بجمع
المذكر السالم وهو في هذا الاستعمال خارج على القاعدة ، غير أن وروده في
(بنو إسرائيل) في الآية كان محمولاً على معنى (الجماعة) أو (الفرقة)
أو نحو هذا • ولهذا اكتسب التأنيث باعتبار المعنى • ويدل الاستقرار على أن
التأنيث في العربية حتى عصر القرآن لم يكن على شيء من الاستقرار • وفي
لغة التنزيل ادلة كثيرة تؤيد ما نذهب اليه • واليك شيء من ذلك :

قال تعالى : « والسحاب المسخر بين السماء والارض » سورة البقرة ١٦٤

وقال تعالى : « وينشى السحاب الثقال » سورة الرعد ١٢ •

وقال تعالى : « حتى اذا أقلّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت » • سورة

الأعراف ٥٧ •

وقال تعالى : « والفلك التي تجري في البحر » • سورة البقرة ١٦٤ •

وقال تعالى : « وترى الفلك مواخر فيه » • سورة النحل ١٤ •

وقال تعالى : « فانجيناه ومن ومن معه في الفلك المشحون » • سورة

الشعراء ١١٩ •

وقال تعالى : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » سورة

المرحمن ٧٦ •

وقال تعالى : « والنخل باسقات لها طلع نضيد » • سورة ق ١٠٠ •

وقال تعالى : « كأنهم أعجاز نخل منقعر » سورة القمر ٢٠ •

وقال تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير »^(١) • سورة التحريم ٤ •
ومن المفيد أن نشير الى مسألة غريبة في هذا الموضوع ، وهي عود
الفعل على المضاف اليه في حين أن الفاعل هو المضاف نحو قوله تعالى :
« يوم تجد كل نفس ما عملت » • سورة آل عمران ٣٠ •
ونحو قوله تعالى : « ثم توفي كل نفس ما كسبت » • سورة آل
عمران ١٦٣ •

وفي لغة القرآن من عود الفعل على المضاف اليه ، أو عود الخبر على
المضاف اليه أمثلة واضحة مفيدة نحو قوله تعالى : « وكتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها » آل عمران ١٠٣ •
وقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » سورة آل عمران ١٨٥ •
ومثل هذا قد ورد في أشعارهم نحو قول جرير :
رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال
كقول العجاج :

طول الليالي أسرع في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

وقد قال النحويون في باب « الإضافة » أن المضاف قد يكتسب التأنيث
من المضاف اليه ومثلوا لذلك قولهم : « قُطِعت بعض أصابعه » ومنه قول
ذى الرمة :

مشين كما اهتزت رماح تسفحت أعاليتها مرّ الرياح النواسم

وعلي هذا فإن « بعض » اكتسب التأنيث بلحاق تاء التأنيث للفعل من
المضاف اليه المؤنث وهو « أصابعه » • ومثل هذا فإن « مرّ » اكتسب التأنيث
من المضاف اليه المؤنث وهو « الرياح » •

(١) ذكر أهل اللغة أن فعيل للمذكر والمؤنث إذا كان بمعنى
« مفعول » كثير نحو رجل جريح وامرأة جريح وبمعنى فاعل قليلا وجعلوا
منه قول الشاعر :

خير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت
ومثل (فعيل) (فعول) نحو (عجوز) للمرأة والرجل •

وقد قالوا : وربما كان المضاف مؤنثاً فاكسب التذكير من المذكر المضاف
اليه كقوله تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » سورة الاعراف ٥٦ •
وفي لغتنا الحديثة الشيء الكثير من عود الفعل على المضاف اليه ،
وكأنه هذا هو الغالب في الاستعمال نحو قولنا : « تصرمت معظم الساعات »
وقولنا : « لا زالت كل ايامك اعياداً » ونحو هذا كثير •

ولا بد لي من القول : ان تاء التأنيث التي تلحق الفعل لا تختلف
كثيراً عن الواو في قولنا : « الرجال حضروا » ، وعن الالف في قولنا :
« الولدان حضروا » ، وعن النون في قولنا : « النسوة حضرن » فهي اشارات
تدل على أن المسند اليه جمع مذكر أو مثنى أو جمع مؤنث ، ولا يمكن
أن تكون فاعلين للفعل « حضر » فالفاعل في كل جملة هو المسند اليه المتقدم •
واذا كان النحويون الاقدمون قد قالوا فيما اسموه بلغة « أكلوني
البراغيث » : ان هذه الاحرف اشارات أي أحرف وليست ضمائر ، فأحر
بنا ألا نذهب في الضلال فنقلدهم في القول في حقيقة هذه الاشارات •

ذكروا : « ومذهب طائفة من العرب - وهم بنو الحارث بن كعب -
ان الفعل اذا اسند الى ظاهر مثنى أو مجموع أتى فيه بعلامة تدل على التثنية
أو الجمع فتقول : « قاما الزيدان وقاموا الزيدون وقمن الهندات » فتكون
الالف والواو والنون حروفاً تدل على التثنية والجمع ، كما كانت التاء في
(قامت هند) حرفاً تدل على التأنيث عند جميع العرب ، والاسم الذي بعد
الفعل المذكور مرفوع بل كما ارتفعت « هند » بـ « قامت » ومن ذلك قول
عبدالله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد اسلماه مبعد وحميم
وقول الشاعر :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل

وقوله :

رأين الفواني الشيب لاح بعارضي

فأعرضن عني بالخدود النواضر

وفي الحديث الشريف : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار •
ومن المفيد ان نشير الى ما ذكره ابن الانباري في « أسرار العربية »
وذلك ان من العرب من يجتزيء بالضمّة عن الواو فيقول في « قاموا »
« قام' » ، وفي « كانوا » « كان' » قال الشاعر :
فلو أن الأطباء كان' حولي وكانَ مع الأطباء الشفاء' (٢)
واشارة ابن الانباري الى هذا الوجه مما يشعر انهم اعتبروا الواو حرفاً
فهم يقصرونه الى الضمة ، وعلى هذا فهو اشارة وليس ضميراً •

(٢) ابن الانباري ، اسرار العربية (ليدن) ص ١٢٥ •

الاعراب في (الالفاظ والجمل)

البحث في هذا الموضوع ينصب على مسألة الاعراب وكيف كانت ، ومسألة الاعراب ولاسيما في العربية من المسائل الثقيلة لدى الباحثين في فقه اللغة ، فقد تصدى لها القدامى من علماء العربية ، كما بحث فيها المحدثون من عرب ومستشرقين • ولقد اهتم بها النحاة واللغويون منذ عهود ازدهار العربية ، ان الحفاظ على الاعراب كان ضرورة نافعة ومعنى هذا ان الاعراب كان ثقيلا على الالسنه ، فقد فشا اللحن ، وفسدت الطبيعة اللغوية ، وصار الناس يسمعون فستكرون هذا الاعوجاج في الالسنه • وقد جاء في الاخبار ان أبا الاسود الدؤلي سمع رجلا يقرأ في كتاب الله : ان الله بريء من المشركين ورسوله بالخفض ، فاستغظم ذلك منه^(١) • وكان هذا سبب وضعه للنحو ، والاخبار كثيرة في هذا الموضوع وان كان يلوح على طائفة منها طابع الوضع والافتعال •

وما دام هذا الاعراب ثقيلا على الالسنه فقد تخفف منه كثير من الناس ، بحيث صار للناس لغة في التخاطب لم يلتزم فيها هذا القيد الثقيل في حين أنهم ملتزمون بالاعراب اذا كتبوا • فقد ذكر الجاحظ في كتاب البخلاء شيئا عن شيوع اللحن بين العامة من الناس^(٢) •

على ان هذا لا يعني ان الناس عامة لا يعربون كلامهم ، فقد ذكر الجاحظ شيئا من ذلك • فهو يعد من أجل المتع أن يستمع المرء الى حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، أو الى محاضرة العلماء البلغاء^(٣) •

(١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٠ •

(٢) البخلاء طبعة الحاجري ص ٣٣ •

(٣) البيان ٦٢/١ •

وقد بقيت مسألة الاعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة ، وما زالت كذلك حتى يومنا هذا • ومن أجل ذلك كان من المفيد النافع أن تدرس هذه القضية دراسة دقيقة •

لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب وهي من صفات العربية الموهلة في القدم ، في حين ان سائر اللغات السامية - ما عدا الاكدية - قد فقدت هذه الظاهرة منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقايا كما في العبرية مثلا •

أما في اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية القديمة في النصوص التي ترجع لعهد حمورابي ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجهر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهي الكسرة الممالة •

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب في النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها • وقد ذهب Nöldke المستشرق الالماني الى أن النبط يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجهر • ولا يعقبون هذه الحركات بالنون^(٤) •

ويرى المستشرق Lithman ان أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغير بحسب موضعها في الاعراب^(٥) • وللأعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتها المفعول به وفي ضمير التبعية^(٦) • على أن هذا الأثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو من الاعراب ولا نريد هنا أن نعرض للرد على هذا الرأي لان ذلك يخرجنا عن

(٤)

“Nöldke, Die Semitischen Sprachen, Lepizig 1899, S.51f.

Enno Littmann, Incrptions, Leiden 1914p. 37ff. (٥)

(٦) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٥ •

لغة العهد القديم • غير ان علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف العلة • وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر في آخر الظرف المنصوب (ليلا)^(٧) وتعني (ليل) ، و (عتا)^(٨) وتعني (حين) • وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحق المصدر فينصب كما هي الحال في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتميم) الذي يقابل التنوين في العربية^(٩) مثال ذلك (يومام) وتعني (يوما) و (حنام) وتعني (مجانا) ، والمتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثارا تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة لعلهما بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة •

ويكاد يجمع المستشرقون على ان الاعراب ظاهرة سامية فالمستشرق الالماني Bergstraesser يقول : ان الاعراب سامي الاصل تشترك اللغة الاكدية وفي بعضه اللغة الاثيوبية (الحبشية) ونجد آثارا منه في غيرها^(١٠) • على ان هؤلاء يعللون سبب وجود هذه الظاهرة فيرجعون ذلك لخلو اللغات السامية من ادغام للكلمات أي وصل كلمة باخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما في اللغات الآرية^(١١) • ذكر هذا اسرائيل ولفنسون كما ذكره غيره^(١٢) •

(٧) تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ •

(٨) ربما قابلت هذه الكلمة (حتى) في العربية ، فقد جاء في

القراءات ان احدهم قرأ (عتي حين) •

(٩) راجع مقالتنا (النون في اللغة العربية) المنشورة في الجزء

الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨ •

(١٠) بجشتراسر : التطور النحوي ص ٧٥ •

(١١) ولفنسون ص ١٥ •

(١٢)

Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908. I. S. 5.

طادة الموضوع • ولكننا نكتفي بالقول ان في العربية شيئاً مما يقولون
فالتركيب والنحت من الادوات في هذا الموضوع وقد استفيد من النحت
في بناء الافعال الرباعية وغير الرباعية •

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء
والمحدثين في اللغة العربية • وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدماء
هو الخليل بن أحمد^(١٣) • ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على
المعاني الاعرابية وعدم دلالتها ، دار بين تلامذة سيويه والكسائي فذهب
جمهورهم الى الاول وذهب آخرون الى الثاني^(١٤) •

ويمثل رأي الذاهبين الى أن الحركات دوال على معاني اعرابية ، أبو
القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه
والنظائر^(١٥) قوله : « ان الاسماء لما كانت تتطورها المعاني وتكون فاعلة
ومفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وأبنيها أدلة على هذه المعاني ، جعلت
حركات الاعراب تين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة
ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » •

ويمثل رأي الطائفة الاخرى قطرب • أبو علي محمد بن المستنير^(١٦)
وهو تلميذ سيويه • وقد انفرد « قطرب » في هذا الرأي ، ولم يقل
بمقالته نحوي أو لغوي آخر غيره •

على أن المحدثين قد عرضوا للموضوع نفسه فكانوا فريقين
كالمتقدمين • وهؤلاء بين عرب وبين مستشرقين ، فطائفة منهم تذهب
مذهب الزجاجي النحوي ، وطائفة أخرى تذهب مذهب ابي علي محمد بن
المستنير (قطرب) •

وممن ذهب مذهب هذا الاخير الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (من

(١٣) سيويه : الكتاب، ٣/٣١٥ •

(١٤) المخزومي : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣ •

(١٥) السيوطي : الاشباه والنظائر ٧٦/١ - ٧٨ •

(١٦) المصدر السابق ٧٩/١ •

أسرار اللغة العربية) (١٧) على انه يحلو له أن يتعصب للرأي بشكل يخيّل للقارىء انه اول الذين قالوا بهذا القول • وكأنه لم يكن هناك في القرن الثاني الهجري رجل اسمه (قطرب) (١٨) • وهذا الرأي في جملة غريب وقد انفرد فيه صاحبه ولم يؤيده فيه الا الدكتور ابراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرناً ووجه الخطأ في هذا الرأي ان العربية كانت معربة منذ أقدم العصور ، والنصوص شاهدة على ذلك • وقد كان هذا الاعراب سهلاً على اللسان ثم ثقل وصعب حين فسدت الطبائع العربية وفشا اللحن وتحول المجتمع العربي الخالص الى مجتمع ضخم كبير فيه اجناس شتى ، ولا سيما في الحواضر العربية • فلم يلجأ للاعراب في فترة متأخرة للسبب الذي ذكره صاحب الرأي المتقدم • على أن وجود الاعراب في اللغات السامية الاخرى في عهودها السحيقة في القدم ثم اضمحلال هذا الاعراب لا يؤيد مذهب قطرب في شيء وقد عرضنا للموضوع فيما تقدم • على أن الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول بهذا الرأي ينتهي الى « انه ليس للحركات الاعرابية مدلول وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الاقدمين وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها » (١٩) • ثم انه يرى « ان النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض الاصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة » (٢٠) ثم هو يفترض افتراضاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي فيقول « ولعلمهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كال يونانية ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى Cases ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة » (٢١) • وفات الاستاذ ان اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ولم يكن واضح

(١٧) انيس : من أسرار اللغة ص ١٣٤ •

(١٨) قطرب أبو علي محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة •

(١٩) انيس : من أسرار اللغة ص ١٥٨ •

(٢٠) المصدر نفسه ص ١٣٩ •

(٢١) المصدر نفسه ص ١٧١ •

النحو عارفاً أو قل متأثراً باليونانية بأي وجه من الوجوه » •

ثم يستدل بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب • ولم يبق له من أثر في لهجات الافاليم العربية ويعجب من هذا^(٢٢) على اننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلاً على أن الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى^(٢٣) • وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال هذا الاعراب في العهود التي تعاقبت عليها •

وقد أفاض الدكتور علي عبدالواحد وافي في الرد على الرأي المتقدم في كتابه « فقه اللغة » •

وقد عرض للموضوع نفسه الاستاذ ابراهيم مصطفى^(٢٤) وقرر أن الحركات دوال على معنى أن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني^(٢٥) ثم هو يقول « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً • ونحن نعلم أن العربية لغة الايجاز ، وان العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ملجئها إليها » وعنده ان الفتحة ليست علامة اعراب ولا دالة على شيء وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة^(٢٦) ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة^(٢٧) • ورأى الاستاذ مصطفى في الفتحة غريب في بابه ولا يستند الى سند علمي فقد دلت المقارنات الى أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ولم يكن هناك سبب للفتحة المستحبة •

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ •

(٢٣) الدكتور وافي : فقه اللغة ص ١٣ •

(٢٤) ابراهيم مصطفى : احياء النحو ص ٤٨ ، ٤٩ •

(٢٥) واستخدام الحركات في الدلالة على المعاني وتعددتها يخرج

عن هذا الباب وربما افرد له مقالة خاصة •

(٢٦) احياء النحو ص ٥٠ •

(٢٧) المصدر نفسه ص ٨٠ - ١٠٠ •

ويرى الاستاذ Marcel Cohen ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، أما لغة التخاطب فلم تكن معربة^(٢٨) . وهو يستدل على ذلك (بأن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهذبة) . وقد فات صاحب هذا الرأي الحقيقة التاريخية ، ولم يكن ملما بأن اللغة المعربة كانت لغة العرب في الجاهلية ولغة القرآن التي عمت العرب جميعا وأخضعت لها لهجات الاقاليم . ولم تكن لغة القرآن مهياة للقراءة والكتابة فحسب ، بل كانت لغة يستعملها الناس على اختلاف طبقاتهم . وكتب الادب والاخبار تؤيد هذا . ولا سبيل الى افتراض هذه الصعوبة على اللغة في وقت نحسها نحن الآن .

أما الاستاذ (فك) المستشرق الالماني فيرى ان حركات الاعراب هي صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة^(٢٩) . وعنده ان العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر .

أما النحاة القدماء فقد تناولوا الاعراب على أنه من صفات العربية ، وان أغلب الالفاظ في هذه اللغة معربة تظهر على أواخرها الحركات الثلاث وهي : الضمة والكسرة والفتحة . وقد خصوا كل حركة من هذه الحركات بحالة اعرابية ، فالضمة للرفع والكسرة للخفض والفتحة للنصب .

ولم يكتف النحاة بهذه الحركات وذلك لأنهم لاحظوا ان طائفة من الالفاظ لا تظهر عليها هذه الحركات ، غير انه يعرض لها تغير فمهي تزد

(٢٨) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٣٠ عن
Cohen, Les Langues du monde.

(٢٩) يوهان فك : العربية ترجمة الدكتور النجار ص ٣ .

بالواو أو الالف في حالة الرفع ، وبالياء في حالتي النصب والجزم . كما لاحظوا أن الفتحة قد ترد علامة للجزم خلافاً للكثير الغالب ، وأن الكسرة قد ترد علامة للنصب .

وعلى هذا ابتكروا شيئاً جديداً فقالوا ان الضمة والكسرة والفتحة علامات أصلية ، ويتبع هذه الثلاث السكون ، وأن ماعدا هذه علامات فرعية .

وقد وجد النحاة ان القليل من الفاظ العربية مألزم آخره حركة واحدة فقالوا : انها غير معربة واخترع مصطلح « البناء » اسماً لهذه الحالة ، كما في « هو » و « أنت » و « منذ » و « جاءت » .

غير أنهم فرطوا كثيراً في مسألة البناء ومن أمثلة ذلك ان الفعل الماضي عندهم مبني على حركات عدة فهو مفتوح الآخر نحو : « ضَرَبَ » و « ضَرَبَهُ » و « ضَرَبَنِي » ، وهو مبني على الضم أن اتصلت به واو الجماعة نحو « ضربوا » ، وهو مبني على السكون ان اتصلت به نون النسوة نحو : « ضَرَبْنَ » .

وكذلك فعل الامر مبني على السكون كما في « اضرب » و اضربن » ومبني على الضم كما في « اضربوا » ، ومبني على الفتح كما في « اضربن » . وعندهم ان هذه الحركات في هذين الفعلين حركات بناء لا حركات اعراب .

ثم ادركوا ان الفعل الامر المعتل الآخر تخزم أحرف العلة من آخره فقالوا : انه مبني على حذف هذه الأحرف نحو : « ادع » و « ارم » و « اخش » .

ثم قالوا في المضارع بمسألة ثبوت النون وحذفها كما في « يضربون » و « لم يضربوا » ولن « يضربوا » . وقد اخذوا انفسهم بالاعراب وعلاماته ، وان اللفظ لا بد ان يكون معرباً ان لم يكن في عداد طائفة قليلة مما اصطلح عليه ب « المبني » . فان لم يكن اللفظ أحد أفراد هذه الطائفة المعروفة فهو معرب ، فان لم تظهر الحركة في آخره فلا بد أن تقدّر . ومن هنا نشأت فذلكة الاعراب التقديرية .

وجاء النحاة المحدثون وعلى رأس هؤلاء ابراهيم مصطفى فذهب الى ان الضمة والكسرة علامتا اعراب وان الفتحة ، لاتدل على معنى كالضمة والكسرة فليست بتعلم اعراب وانما هي الحركة الخفيفة المستجابة عند العرب الذين يحبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام فهي في العربية ، نظير السكون في لغتنا العامية «^(١)» .

وتابع الاستاذ ابراهيم مصطفى نفر من طلابه فقال الدكتور المخزومي: الضمة علم الاسناد دالة على ان الكلمة مسند اليه أو تابع للمسند اليه ، وهي في العربية تؤدي ما يؤديه الفعل المساعد في غير العربية ، وتدل على تحقق النسبة بين المسند اليه والمسند أو تحقق الارتباط بين هذين الركنين . وليس في العربية من علم للاسناد غير الضمة . أما الواو في الاسماء الخمسة أو الواو في جمع المذكر السالم فليست بعلامة مستقلة ، وانما هي ضمة مطولة لان الضمة من الواو والفتحة من الالف والكسرة من الياء «^(٢)» .

أقول : ان تفسير هذه الحركات بهذه المعاني لا يؤيده الاستقراء في العربية نفسها فضلاً عن البحث في اللغات السامية .

اذا كانت الضمة علماً للاسناد فلم كان اسم « إن » منصوباً وهو باقٍ على حاله طرفاً في اسناد ، وعلى هذا ايضاً نستطيع القول لم كان خبر (كان) منصوباً وهو طرف في الاسناد .

والقول بان الضمة في العربية تؤدي ما يؤديه الفعل المساعد في غير العربية شيء يقتصر الى الدليل . ولماذا نجتهد هذا الاجتهاد البعيد دون سند تاريخي لاثبات حقيقة لا تدخل في جوهر العربية لنقول ان العربية تتوفر على الفعل المساعد is و est و ist كما هي في غير العربية . من لغات هذا العصر الحديث .

ثم ان القول بان « الواو » ضمة مطولة تخلص من العلامات الفرعية التي قال بها النحاة القدامى .

(١) ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٧٨ .

(٢) المخزومي ، في النحو العربي ص ٧٠ .

وهذا شيء حسن غير ان القول : ان الضمة من الواو ، والكسرة من الياء والفتحة من الألف ينبغي أن يعبر عنه بشيء آخر ، وهو ان ما ندعوه بالحركات وما ندعوه بالأحرف وهي الواو والالف والياء شيء واحد ، فان هذه وتلك داخلة في حيز أصوات المد والخلاف بينها يرجع الى القصر والطول •

كذلك جرى اصحابنا من النحويين على نحو ما قرره ابراهيم مصطفى في الكسرة والفتحة ، فقد كرر الاستاذ المخزومي عبارة الاستاذ مصطفى فقال : والفتحة هي الحركة الخفيفة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلاً « (٣) » •

وينسب الاستاذ هذا الرأي للخليل ويذكر قوله : « انهم نصبوا المضاف ، نحو : يا عبدالله ويا أخانا والنكرة حين قالوا : يا رجلاً صالحاً ، حين طال الكلام كما نصبوا هو قبلك ، وهو بعدك » (٤) •

أقول : ليس في قول الخليل المشار اليه دليل على الحركة الخفيفة المستحبة • واذا كان الخليل قد لمح هذه الخفة لمحاً باهتاً فهل يجوز لنا ان نتمسك بمقالته العابرة • وفي الفاظ العربية أدلة على أن الفتحة غير مبتغاة للخفة المستحبة •

كما ذهب الى مثل هذا جماعة منهم : عباس حسن في « النحو الوافي » والدكتور أحمد عبدالستار الجوارى في « نحو التيسير » ثم طلع علينا الدكتور صفاء خلوصي في مقالة وسمها بـ « النحو المنطقي » (٥) فقال : « ... وباعتقادي أنه ينبغي لنا ان نثبت اسس النحو والصرف على مبدأ قوة الحركات فالضمة أقوىها وتليها الفتحة ثم الكسرة فالسكون ، والسكون بحكم رسمه « صفر » يشير الى انعدام كل حركة واذا ما طرأ على احدى هذه الحركات طارئ ،

(٣) المصدر السابق ص ٨١ •

(٤) الكتاب ج ١ ص ٣٠٣ (عن الكتاب السابق) •

(٥) صفاء خلوصي ، في النحو المنطقي (مجلة الاستاذ المجلد الثالث

عشر ص ٩) •

انتقل الى الحركة التي تمثل مرتبة أعلى على الوجه الآتي :

- (١) الحركة القوية : (') الضمة •
- (٢) الحركة المتوسطة : (^) الفتحة •
- (٣) الحركة الضعيفة : (_) الكسرة •
- (٤) انعدام الحركة : (°) السكون •

فعندما يلتقي الساكنان تزداد قوة اللفظة فينقلب السكون الى كسرة ،
من نحو قولك :

« أَمِطِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » •

فقد انقلب سكون فعل الأمر الى كسرة نتيجة التقاء الساكنين وزيادة
قوة الطاء •

وتنقلب الكسرة الى فتحة نتيجة نزع الخافض كما في المفعول به
وانتقلت الى مرتبة أعلى في سلم القوة والارتقاء •

ويقول السيد خلوصي « أما الجزم فأكثر تعبيراً عن الذاتية كما في
حالاتي الأمر والشرط فهو على درجة من الذاتية بحيث لا يتسع لك المجال
لتشكيل أواخر الكلمات كما في قولك : اذهب واسمع •

ويسرف الدكتور خلوصي في هذا الخيال الطريف فيقول : ونجد
انطباق هذه « النظرية » في القوة والضعف حتى في حركة عين المضارع
فالأفعال الدالة على القوة مضمومة العين والدالة على الانبساط والاسترخاء
مفتوحاتها والدالة على الانكسار المادي أو المعنوي مكسورتها •

وقد يكون عين الفعل مثلث الحركات فنقول : نَسَخَ يَنْسِغُ (بضم
الباب وكسرها) وانما فعلوا ذلك للدلالة على ثلاث درجات من النبوغ •

أقول : ان مقالة السيد خلوصي لا يؤياها الاستقراء وان « نظريته »
غير قائمة على اسس علمية فالقوة والضعف لا يمكن أن يكونا في مادة
واحدة متشابهة هي الحركة فهي من طبيعة واحدة هي « المد » أو « اللين » •
والقوة والضعف من مواد علم الأصوات والعارف بهذا العلم يبصر ان العلماء في

عصرنا قد انتهوا في هذا الموضوع الى اشياء علمية ثابتة • على أن هذه
المقالة في مجموعها غنية بالخيال الطريف وما أبعد علم اللغة عن موضوعات
التصور والخيال •

أما القول باعراب الجمل فهو فذلكة ينبغي الاقتلاع عنها ولم يقل
بها النحويون الأقدمون الا بسبب من تعلقهم بالاعراب وسيطرته على جميع
ما جاءوا به في النحو • وقد عرضنا لهذه المسألة في غير هذا المكان •

الخاتمة

هذا عرض موجز في « الفعل » ، ولكن ايجازه لم يفتقر الى التثبت والاستقصاء والرجوع الى الرأي المبني على الاصول الثابتة في هذه المادة الواسعة .

وأود أن أقول : ان الاقدمين لم يطيلوا القول في الفعل ووجوه الرأي فيه ، ولم يستقصوا دلالة الزمان فيه .

وتقسيمات الفعل عندهم الى ماضٍ ومضارع وأمر تشعر بهذا النقص الذي ظهر في دراسات الاولين من النحاة . ومن أجل ذلك كان على الباحثين أن يعيدوا النظر في الفعل واستعماله وزمانه وابنيته ليستدركوا على اولئك النحاة شيئاً فاتهم . على ان هذا يدعونا الى ان تكبر اولئك السلف الصالح الاكابر كله ، لما بذلوا في سبيل هذه العربية الشريفة من نصب وكد .

المصادر باللغات الافرنجية :

1. W. Wright, A Grammar of the Arabic Language, London 1951.
2. Gaudefroy-Demombeynes et R. Blachère, Grammaire de l'Arabe Classique, Paris 19
3. Henri Fleisch, Etudes Sur Le Verbe Arabe, Extrait des Mélanges Louis Massignon.
4. H. Reckendorf, Arabische syntax Heideberg 1921.
5. Nöldke, Die semitischen Sprachen, Leipzig 1899.
6. E. Littman, Inscriptions, Leiden 1914
7. C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908.
8. M. Cohen, Les Langues du monde, Paris.

ثبت بهواد الكتاب

ص	
٣	تمهيد •
٥ - ١٤	المقدمة •
١٥ - ٢٢	الفعل وأقسامه •
٢٣ - ٤٧	الفعل والزمن •
٤٨	فعل الامر •
٤٩ - ٥٠	قدم الفعلية في العربية
٥١ - ٥٣	بين الفعل والاسم
٥٤ - ٦٣	الأفعال الناقصة
٦٤ - ٦٦	ليس
٦٧ - ٧١	« كان » ووظيفتها
٧٢ - ٨١	الفعل والاساليب الخاصة
٨٢ - ٩٢	المتعدي واللازم
٩٣ - ١٠٤	صيغة ما يسمى بالمجهول من الأفعال
١٠٥ - ١١٩	الفعل الثلاثي
١٠٩ - ١١٩	بناء الثلاثي واحرف المد
١٢٠ - ١٣٢	أفعال خاصة
١٣٣ - ١٤٩	بناء الرباعي الفصيح
١٤٩ - ١٨٣	بناء الرباعي العامي مرتبا على حروف الهجاء
١٨٤ - ١٩٢	ما جاء من الرباعي مأخوذا من الاسماء مرتبا على حروف الهجاء
١٩٣ - ١٩٤	طريقة في بناء الرباعي في العامية •

المضعف الرباعي	١٩٥ - ١٩٩
ما زاد على الأفعال الرباعية	٢٠٠
الجملة الفعلية	٢٠١ - ٢١٣
تأنيث الفعل للفاعل	٢١٤ - ٢١٩
الأعراب في (الألفاظ والجمل)	٢٢٠ - ٢٣١
الخاتمة	٢٣٢

فهرس الشواهد الشعرية (مرتبة على القوافي مع نسبتها الى قائلها)

الصفحة الشاعر

قافية الهمزة

فلو أن الأطباء كان حولي
وكان مع الاطباء الشفاء ٢١٩ —

قافية الباء

سراة بني بكر تسامى
على كان المسومة العراب ٦٨ —
فلو ولدت قفيرة جرو كلب
لسبب بذلك الجرو الكلابا ٩٦ —

قافية التاء

خير بنو لهب فلاتك ملغيا
مقالة لهبي اذا الطير مرّت ٢١٧ —

قافية الدال

قد اترك القرن مصفراً أنامله
كان أثوابه مُجَّتَ بفِرصاد ٢٦ الهذلي
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له باب المسجد ٢٩ —
وما كل من يدي البشاشة كائنا
أخاك اذا لم تلفه لك منجدا ٧٠ —

- تبو يدها اذا ما قل ناصره
ويأنف الضيم ان أثرى له عدد ٩١ يزيد بن الحكم
فلالعمر الذي مسحت كعبته
وما هريق على الانصاب من جسد ١٣١ النابغة
انفت صوارمه الجفون فاصبحت
بالنصر في قمم الخوارج تغمد ٩٢ ابن النيه

قافية الرء

- يا كوكباً ما كان أقصر عمره
وكذاك عمر كواكب الاسحار ٦٧ أبو الحسن التهامي
خل الطريق لمن يبني النار به
وابرز ببرزة حيث اضطر كقدر ١٣٠ جرير
يا هيء مالي قلقت محاورى
وصار أمثال الفغا ضرائري ١٤٥ —

مخرنطحات عسراً عواسري

• • • • •

- تقضى البازي اذا البازي كسره ١١٥ العجاج
رأين الفواني الشيب لاح بعارضي
فاعرضن غني بالخدود التواضر ٢١٨ —
ختنى الفحول من الكماة بصبغة
ما يلبسون من الحديد معصفرا ١٣٢ المتنبى
لا تحسبني كأقوام عبث بهم
لن يأنفوا الذل حتى يأنف الحمر ٩١ وهب بن الحارث

• • • • •

- تلهو وتضحك والزمان يسير ٣٢ —

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة
ليالي لاقينا جذاماً وحميراً ٣٩ زفر بن الحارث
نحن في المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الأدب فينا يتفر ٢٠٧ —

قافية السين

• • • • •

وفي الوجوه صفرة وإبلاس ١٣٩ —
قافية الصاد
لما رأني بالبراز حصصاً
في الأرض مني هرباً وخلصاً ١٤٥ —

قافية الضاد

طول الليالي أسرع في تقضي
طوين طولي وطوين بعضي ٢١٧ المعاج

قافية العين

بناتين وجذموراً أقيم بها
صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا ١٤١ عبدالله بن سبرة

• • • • •

وقد كربت أعناقها أن تقطعا ٦٠ —
طوى النخر والأجراز ما في غروضها
وما بقيت الا الضلوع الجراشع ٢١٥ ذو الرمة
انما النحو قياس يتبع
وبه في كل أمر يتفجع ٧ الكسائي

وكنْتَ اظن البعد سهلاً فمذ أتى
شرى البين مني ما أراد وباعا ٣٤ الرصافي

قافية القاف

لا يَألف الدرهم المضروب صرتنا
لكن يمر عليها وهو ينطلق ٢٠٢ —
لي نفس حر تأنف الضيم مركباً
وتكره ورد المنهل المترنق ٩٢ —
رب كأس هرقنها ابن لؤي
حذر الموت لم تكن مهراقه ١٣١
فأصبحت كالمهريق فضلة مائة
لضاحي سراب بالملأ يترقرق ١٣١ كثير

قافية اللام

• • • • •

ولا يدي في حيت السكن تتدخل ١٠٠ —
تق الله لا تنظر اليهن يا قى
وما خلّنتي في الحج ملتصا وصلا ١٣٢ الشعبي
وفي اختيار لا يجيء المنفصل
إذا تأتّى أن يجيء المتصل ١٣ ابن مالك
يلومني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل ٢١٨ —
وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني
نوبي فانهض نهض الشارب الثمل ٦٠ —
ربت وربا في حجرها ابن مدينة
يظل على مسـحاته يتركـل ١١٩ الاخطل

• • • • •

- تري الملوكة حوله .مرعبله ١٤٨ —
فلا مزنة ودقت ودقها
ولا ارض اقبل ابقالها ٢١٥ —
استغفر الله ذنباً لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل ٨٨ —
انت تكون ماجد نييل
اذا تهب شمأل بيل ٧٠ ام عقيل ابن ابي طالب
رأت مر السنين أخذن مني
كما أخذ السرار من الهلال ٢١٧ جرير
وان شفاي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول ١٣١ امرؤ القيس
فمئلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتهما عن ذي تمانم مغيل ١١١ امرؤ القيس

• • • • •

- لا جعريات ولا طهامسلا ١٤٢ رؤبة
حلفت لها بالله حلفة قاجر
لناموا فما إن من حديث ولا صالي ٢٧ —

قافية الميم

- فكيف اذا مررت بدار قوم
وجيران لنا كانوا كرام ٦٨ —
تمرون الديار ولم تموجوا
كلامكم علي اذا حرام ٨٤ —

- وكان قد استسقى الغمام وقد بدا
 له عارض من جانبيه جهام ٢٩ —
 ما عناني من سابق يأنف المرتبط
 في العنق والتطهير ٩٢ ابن زيدون
 صددت فاطولت الصدود وقلما
 وصال على طول الصدود يدوم ١١١ عمر بن ابي ربيعة
 تولى قتال المارقين بنفسه
 وقد أسلماه مبعد وحميم ٢١٨ عبدالله بن قيس الرقيان
 مشين كما اهتزت رماح تسفحت
 أعاليها من الرياح النواسم ٢١٧ ذو الرمة

قافية النون

- قد كان شاهد دفني قبل قولهم
 جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا ٢٨ المتبي
 فلما دنت إهراقه الماء أنصت
 لأعزله عنها وفي النفس أن أتني ١٣١ ذو الرمة

قافية الهاء

- قالوا لخدمته دعاك محمد
 فأنفتها وزهدت في التويبه ٩١ لسان الدين بن الخطيب

قافية الياء

- بدا لي أنني لست مدرك ما مضى
 ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً ٦ زهير

وتضحك مني شيخه عبسمية

كأن لم تر قلبي أسيراً يمانياً ١٣٤ —
ألا جذا أهل الملا غير أنه

إذا ذكرت مي فلا جذا هيّا ٧٨ —

فهرس الآيات الكريمة حسب ورودها في الكتاب

الآية	الصفحة	السورة
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا إن يشاء الله		
٣٨٠٢٤		
٩	٢٦	الملك
٤٣	٢٦	الأعراف
١	٢٦	المؤمنون
٩١	٢٧	يوسف
٧	٢٨	الفاتحة
٤٠	٢٨	البقرة
١١٣	٣٢	البقرة
٢٢٧	٣٣	الشعراء
٣	٣٣	التكاثر
٩١	٣٣	البقرة
٣٦	٣٣	الأنفال
٣	٣٣	يونس
١٨٥	٣٨	آل عمران
٢٩	٥٧	النساء
١٣٦	٧٥	آل عمران
١٧٣	٧٥	آل عمران
قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا لقد جاءت رسل ربنا بالحق قد أفلح المؤمنون تالله لقد آثرك علينا صراط الذين أنعمت عليهم اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم فالله يحكم بينهم يوم القيامة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون كلا سوف تعلمون فلم تقتلون أنبياء الله من قبل والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ثم استوى على العرش يدبر الأمر كل نفس ذائقة الموت إلا أن تكون تجارة ونعم أجر العاملين وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل		

الآية	الصفحة	السورة
وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى		
ونعم النصير		
٤٠	٧٥	الانفال
بسلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار		
٢٤	٧٥	الرعد
ولدار الآخرة ولنعم دار المتقين		
٣٠	٧٥	النحل
نعم الثواب وحسنت مرتقفا		
٣١	٧٦	الكهف
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم		
٧٨	٧٦	الحج
النصير		
نعم أجر العاملين		
٥٨	٧٦	العنكبوت
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون		
٧٥	٧٦	الصافات
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب		
٣٠	٧٦	ص
انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب		
٤٤	٧٦	ص
فنعم أجر العاملين		
٧٤	٧٦	الزمر
والارض فرشناها فنعم الماهدون		
٤٨	٧٦	الذاريات
فقدرونا فنعم القادرون		
٢٣	٧٦	المرسلات
ان تبدو الصدقات فنعم هي		
٢٧١	٧٦	البقرة
ان الله نعم يعظكم به		
٥٨	٧٦	النساء
ولبئس ما شروا به انفسهم		
١٠٣	٧٦	البقرة
ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير		
١٢٦	٧٦	البقرة
فحسبه جهنم ولبئس المهاد		
٢٠٦	٧٦	البقرة
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد		
١٢	٧٦	آل عمران
وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين		
١٥١	٧٦	آل عمران
وماواهم جهنم وبئس المصير		
١٦٢	٧٦	آل عمران
واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون		
١٨٧	٧٦	آل عمران
ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد		
١٩٧	٧٦	آل عمران

الآية	الصفحة	السورة
٦٢	٧٦	المائدة
٦٣	٧٦	المائدة
٧٩	٧٧	المائدة
٨٠	٧٧	المائدة
١٦	٧٧	الانفال
٧٣	٧٧	التوبة
٩٨	٧٧	هود
٩٩	٧٧	هود
١٨	٧٧	الرعد
٢٩	٧٧	ابراهيم
٢٩	٧٧	النحل
٢٩	٧٧	الكهف
٥٠	٧٧	الكهف
١٣	٧٧	الحج
٧٢	٧٧	الحج
٥٧	٧٧	النور
٥٦	٧٧	ص
٦٠	٧٧	ص
٧٢	٧٧	الزمر
٧٦	٧٧	غافر
٣٨	٧٧	الزخرف
١١	٧٧	الحجرات
ولبئس ما كانوا يعملون		
لبئس ما كانوا يصنعون.		
لبئس ما كانوا يفعلون		
لبئس ما قدمت لهم انفسهم		
ومأواذ جهنم وبئس المصير		
ومأواهم جهنم وبئس المصير		
فأوردتهم النار وبئس الورد والمورود		
بئس الرفد المرفود		
ومأواهم جهنم وبئس المهاد		
جهنم يصلونها وبئس القرار		
فلبئس مثوى المتكبرين		
يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا		
بئس للظالمين بدلا		
لبئس المولى ولبئس العشير		
وبئس المصير		
ومأواهم النار ولبئس المصير		
جهنم يصلونها وبئس المهاد		
فبئس القرار		
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى		
المتكبرين		
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى		
المتكبرين		
يا ليت بني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين		
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان		

الآية	الصفحة	السورة	
١٥	٧٠	الحديد	مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير
٨	٧٧	المجادلة	حسبهم جهنم وبئس المصير
٥	٧٧	الجمعة	بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
١٠	٧٨	التغابن	أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
٩	٧٨	التحریم	ومأواهم جهنم وبئس المصير
			وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس
٦	٧٨	الملک	المصير
٩٠	٧٨	البقرة	بئسما اشتروا به أنفسهم
٩٣	٧٨	البقرة	قل بئسما يأمرکم به ایمانکم
١٥٠	٧٨	الاعراف	بئسما خلفتموني من بعدي
٢	٨٤	النصر	ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا
٣٠، ٢٩	٨٤	الفجر	ادخلي في عبادي وادخلي جنتي
٣٧	٨٤	آل عمران	كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا
٦١	٨٤	المائدة	وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
٥٨	٨٥	يوسف	وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
٧	٨٥	الاسراء	وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة
٢١٤	٨٥	البقرة	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
٢٢	٨٥	المائدة	وإن تدخلوها حتى يخرجوا منها
٣٨	٨٥	الاعراف	كلما دخلت أمة لعنت أختها
٢٣	٨٥	النساء	فإن لم تكونوا دخلتم بهن
١٤	٨٥	الحجرات	ولما يدخل الايمان في قلوبكم
٢٠٨	٨٥	البقرة	يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
١٤	٨٥	الاحزاب	ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها
١٥	٨٦	النازعات	هل أئناك حديث موسى

الآية	الصفحة	السورة	
			فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ
٢٧	٨٦	مريم	وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
١٨٩	٨٦	البقرة	أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
٨٠	٨٦	الاعراف	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ
١	٨٦	الانسان	لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
٨٨	٨٦	الاسراء	هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ
			عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ
١٥	٨٦	الكهف	وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ
١	٨٦	الطلاق	وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى
٦٩	٨٦	طه	أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ
١	٨٦	النحل	وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا
١٥٥	٨٨	الاعراف	لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
١٤	٩٥	الحجّية	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ
١	١٠٢	التكوير	وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ
٢	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ
٣	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْعُشُورُ عَطَلَتْ
٤	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
٥	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ
٦	١٠٢	التكوير	وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ
٧	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ
٨	١٠٢	التكوير	بِأَيِّ ذَنْتٍ قُتِلَتْ
٩	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
١٠	١٠٢	التكوير	وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ
١١	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ
١٢	١٠٢	التكوير	وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
١٣	١٠٢	التكوير	

الآية	الصفحة	السورة	
١٩	١١١	المجادلة	واستحوذ عليهم الشيطان
١٨٣	٢١٥	آل عمران	قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
١٤	٢١٥	فصلت	اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم
٣٠	٢١٥	يوسف	وقال نسوة في المدينة
١٥٣	٢١٦	النساء	من بعد ما جاءكم البينات
٥١	٢١٦	الزمر	فأصابهم سيئات ما كسبوا
٩٠	٢١٦	يونس	قال آمنت لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
١٦٤	٢١٦	البقرة	والسحاب المسخر بين السماء والارض
١٢	٢١٦	الرعد	وينشئ السحاب الثقال
٥٧	٢١٦	الاعراف	حتى اذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت
١٦٤	٢١٦	البقرة	والفلك التي تجري في البحر
١٤	٢١٦	النحل	وترى الفلك مواخر فيه
١١٩	٢١٦	الشعراء	فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
٧٦	٢١٦	الرحمن	متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
١٠٠	٢١٦	ق	والنخل باسقات لها طلع نضيد
٢٠	٢١٦	القمر	كأنهم أعجاز نخل منقعر
٤	٢١٧	التحريم	والملائكة بعد ذلك ظهير
٣٠	٢١٧	آل عمران	يوم تجد كل نفس ما عملت
١٦٣	٢١٧	آل عمران	ثم توفى كل نفس ما كسبت
١٠٣	٢١٧	آل عمران	وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
١٨٥	٢١٧	آل عمران	كل نفس ذائقة الموت
٥٦	٢١٨	الاعراف	ان رحمة الله قريب من المحسنين

فهرس بأهم مصادر البحث

المصادر العربية :

المجلات

- مجلة كلية الآداب والعلوم ، بغداد ١٩٥٨م
- مجلة الاستاذ ، بغداد ١٩٦٦م
- الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، القاهرة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م
- احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ، القاهرة ١٩٣٧م
- أخبار النحويين البصريين ، السيرافي ، بيروت ١٩٣٦م
- أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، القاهرة ١٣٥٥هـ
- أساس البلاغة ، الزمخشري ، القاهرة ١٣٤١هـ
- اسرار العربية ، ابن الانباري ، لندن ، ١٨٨٦م
- الأشباه والنظائر ، السيوطي ، حيدر آباد
- الاشتقاق ، ابن دريد ، القاهرة ١٩٥٨م
- الاشتقاق ، عبدالله أمين ، القاهرة ١٩٥٦م
- الاصابة ، ابن حجر ، القاهرة ١٣٥٨هـ
- الاغانى ، ابو الفرج الاصفاني ، القاهرة (ساسي) و (دار الكتب)
- الاقتضاب ، ابن السيد البطليوسي ، بيروت ١٩٠١م
- انباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي القاهرة ١٩٥٠م - ١٩٥٥م
- الانصاف في مسائل الخلاف ، ابن الانباري القاهرة ١٣٦٤هـ
- الايضاح في علل النحو ، الزجاجي (تحقيق مازن المبارك) القاهرة
- البخلاء ، الجاحظ ، القاهرة (تحقيق طه الحاجر) ، دمشق (مكتب النشر العربي).
- بغية الوعاة ، السيوطي القاهرة ١٣٣٦هـ
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، القاهرة ١٩٤٨م - ١٩٥٠م

- تاج العروس ، الزبيدي ، مصر ١٣٠٧ هـ
- تاريخ اللغات السامية ، اسرائيل والفسون ، القاهرة ١٩٢٩ م
- التطور النحوي ، برجستراسر ، القاهرة ١٩٢٩ م
- تلخيص المفتاح ، القزويني
- الجمل ، الزجاجي (تحقيق ابن شنب) باريس
- الجمهرة ، ابن دريد ، حيدر آباد (١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ)
- حاشية الصبان على الاشموني ، مصر
- الحيوان ، الجاحظ (تحقيق عبدالسلام محمد هارون)
- الخصائص ، ابن جني ، القاهرة ١٩٥٦ م
- دراسات نقدية في النحو العربي ، عبدالرحمن أيوب القاهرة ١٩٥٧ م
- دراسات في اللغة ، ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٦١ م
- الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، القاهرة ١٩٤٧ م
- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ١٩٤٧ م
- شرح الرضي على كافة ابن الحاجب ، الاستانة ١٣١٠ هـ
- شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ، القاهرة (بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد وآخرين)
- شرح الشواهد الكبرى ، العيني (على هامش خزانة البغدادي)
- شرح المفصل ، ابن يعيش (الطبعة المصرية)
- الصاحبى ، وابن فارس ، القاهرة ١٩١٠ م
- الصحاح ، الجوهري ، القاهرة (بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار)
- فقه اللغة ، الثعالبي ، القاهرة (مطبعة الاستقامة)
- فقه اللغة ، علي عبدالواحد وافي ، القاهرة ١٩٥٠ م
- في النحو العربي ، مهدي المخزومي ، بيروت ١٩٦٤ م
- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، القاهرة ١٣٣٢ هـ
- الكتاب ، سيويه ، بولاق ١٣١٦ هـ
- الكشف ، الزمخشري ، القاهرة ١٩٤٦ م
- لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م

- الباحث اللغوية في العراق ، مصطفى جواد ، القاهرة ١٩٥٥م
- مدرسة الكوفة ، مهدي المخزومي ، بغداد ١٩٥٥م
- المزهر ، السيوطي ، القاهرة (مطبعة السعادة)
- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، القاهرة ١٣٦٨هـ
- المفصل ، الزمخشري ، (الطبعة المصرية)
- مغني اللبيب ، ابن هشام ، القاهرة ١٣١٧هـ
- من اسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، القاهرة (مكتبة الانجلو)
- همع الهوامع ، السيوطي ، القاهرة ١٣٢٧هـ
- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، القاهرة (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)

